عبد الله البخاري

مزاعم أعداء الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسبتة

الجزء الأول

المقدمة

مقدمة

من اعلام الفكر المعاصر

بالعدوتين : الرباط وسلا

عبد الله الجراري

الاهداء

الى مكوني الاجيال ومعلمي النشء عبر التاريخ- قديماً وحديثاً - أهدي هذه المقدمة التي سيرى المعاصرون في طيات مراحلها وبين ثنايا فصولها، مايقضي لهم بالفخر والسؤدد بما أسدوه لاوطانهم من خدمات وقدموا للناشئين فيها من معارف في شتى ميادين العلم والثقافة- ماحمدوه ويحمدون مغبته طوال المدد والحقب مما لايجازي عليه إلا الله تعالى ويكفي ماورد «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر»(١)

---

١) حديث رواه الطبراني في الاوسط، والبزار في المسند عن عائشة واسناده حسن (من الجامع الصغير للسيوطي).

بسم الذي لايستعان إلا به والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله

بعدما أتممت تأليفي من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين ـ الرباط وسلا ـ اقترح علي (١) أن أضع عليه مقدمة،وفعلا لبيت الاقتراح وكتبت المقدمة راغباً أن تكشف ماانطوت عليه الدراسات فى عهودها العتيقة من الكتّاب (المدرسة الاولى) ومراحله الى المسجد ومالعبه كل منهما فى تعليم وتهذيب النشء عبر التاريخ ، الى ان فاجأ الاستعمار البلاد ، واندفع يؤسس المدارس والمعاهد. واضعا برامجه ومناهجه المنبثقة عن غايات تبشيرية خطيرة في مقدمتها إضعاف اللغة العربية ووضع حصة ضئيلة منها فى برامجها كخيال وتمويه يستهوى بها بسطاء العقول من المواطنين للاقبال على تعليمها، والتسابق على مقاعد مدارسها الجديدة، ورغم ماكانت تقوم به من مرغبات ودعوات بواسطة عملائها، كان الناس يحاربونها ويقاطعون من دفع بأبنائه فى جحيمها هذا فى المدن أما فى القرى والبوادي فكانت السلطة رغم رجال القبيلة من قواد وشيوخ ومقدمين وباقي السكان على حشر أبنائهم فى معاهدها الاستعمارية لحد سجنت معه بعض الممتنعين من إدخال أولادهم اليها.

---

١) المقترح ـ هو النجل عباس عبد الله الجراري الاستاذ بكلية الآداب.

واذ رأى الواعون من أبناء المغرب خطورة الموقف وحراجة المـآل على مستقبل الاولاد ـ فكروا فى وضع تعليم يحفظ عليهم لغتهم ومبادئهم، وينقذهم فى ذات الوقت من سموم المدرسة الجديدة ـ فكانت النتيجة وضع تعليم حر يصطبغ بصبغة الجدة فى نظمه وبرامجه مع الحفاظ على مقومات اللغة والدين كل هذا تحت ستار الكتاب القرآني والسير به نحو تطوير يرفعه الى مكان يضمن تثقيف المنخرطين فى صفوفه، ولكن فى حذر اذكان الاستعمار يرصده فى رقابة صارمة لحد كان لايطيق معه سماع كلمة مدرسة ان هو الا المسيد بكل ماله وما عليه ـ كما سيراه القارىء داخل المقدمـة.

ولكن مابعد الشدة إلا الفرج فقد شاءت الاقدار ان يعتلي عرش المغـرب بطل من أبطال الدولة العـلوية ـ هو المغفور له محمد الخامس الذى كانت فرنسا ترى فيه ساعدها القوى فيما وضعت وتضع من خطط، وتنشده من أطماع وأهداف طالما حاكها الساسة من رجالها، بيد أنها ظنون باءت بالخيبة اذ أصبح العاهل مع شعبه الوفى يداً فى يد لا يفكر كالكتـلة الحرة وراءه الا فى صالح الامة، والسير بها الى مايتفق وكرامتها ـ فاتجه أول ماتجه الى نشر العـلم وفتح معاهده فى أطراف المغرب جنوباً وشمالا شرقاً وغرباً. فكنت لاتسمع الا حجراً أساسياً يوضع لمعهد هنا او مدرسة تفتح هناك، هكذا والحمـاس ينمو فى النفوس ـ وجذوة التحرر تتأجـج فى الشرايين مندفعة عن طواعية للبذل فى سخاء وتنافس، وعم التعليم الجنسين ـ فتية وفتيات على حيطة اتخذت حول تعـليم الفتاة رغم ما كان يلاقيه تعليمها من معـارضة، على أنه ـ كانت بالمغرب منذ عصور بعيدة الى تاريخنا المعاصر دور

لتعـليم البنات تعليما أولياً لا يـكاد يعد ورفع الامية جملة مع حفظ سور من الذكر الحكيم. كما كانت دور لتعـليم بعض الصناعات اليدوية من خياطة وطرز وما يمت اليهما بصلة مما لا يسمح للفتاة كربة بيت ينتظرها أن تجهله.

نعم فاجأها التعليم الجديد وانغمرت فى معاهده كأخيها الفتى رغم الاشواك التي كانت تعترضها فى الطريق.

ثم فكر الشعب فى نقطة حيوية هامة هى الخروج من الامية البغيضة فقام يعالج المشكل ويقاومه خصوصاً من فاتهم التعليم إبان الشباب لعارض يتم أو فقر فأخذوا يسترجعون ماضـاع فى حسرة وندم ـ سالكين فى هذا التعليم ماخطته الشعوب الاخرى فى تصميماتها من طرق للمقاومة، غير ان قوة الاستعمار الغاشمة كانت تحول دون هذا التعليم وتسعى بكل جهودها لاقباره فى مهده كما سنرى ذلك بعد.

وجاء الاستقلال بعد كفاح مرير كان فى حظيرته إبعاد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه هو وأسرته الكريمة الى منفى سحيق (كرسيكا) ثم (مدغشقر) بيد انها محنة فاتنة تنطبق عليها الحكمة الماثورة :«كم من نقمة فى طيها نعمة» فتجدد الحماس فى النفـوس، وقويت حساسية المغـامرة يقظة واعية لحد التضحية فقـام الشعب المغربي يكافح ويطالب بالتحرر وعود صاحب العرش الى عرشه مستميتاً الى النهاية، فلم يلبث ان عاد المبعد رحمة الله عليه حاملا راية النصر والتحرير، واستأنف الرسالة من جديد فى حيوية انشط واجدي ـ مردداً فى غير مافرصة : «رجعنا من الجهـاد الاصغر الى

الجهاد الاكبر»(١)، لافتا نظره السديد نحو سائر المرافق الجديرة بالاهتمام- اقتصاديا وسياسياً واجتماعياً وثقافياً- خاصة منها المعرفة ومحاربة الجهل المتفشي في الاوساط مكملا رسالته الخالدة التي كانت هجيراه منذ اعتلائه على عرش أسلافه المنعمين، كما تكفلت المقدمة ببسط ماأمكن من مراحل إيجابية في تسلسل موجز ومشوق يبعث على ترقب ماضمه الاصل-من اعلام الفكر بالعاصمة- وشقيقتها سلا، وماخلده رجال الثقافة في العدوتين من إنتاج في الحقل الثقافي طوال القرن الرابع عشر الهجري وأواخر التاسع عشر والعشرين للميلاد(٢) راجياً من الله تعالى التوفيق.

المؤلف

---

١) قالوا وماالجهاد الاكبر؟ قال : جهاد القلب، قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الالسنة، وهو من كلام ابراهيم بن علية انتهى (انظر الجزء الاول من كشف الخفا ص. ٤٢٤.)

٢) لذا يكون الاصل- كوفيات لعلماء القرن المذكور احتوى بقسميه-الاول والثاني نحو مائتين ونيف وأربعين ترجمة.

وإذ كان العمران سبق فى الضفة اليمنى السلوية، وكانت الضفة اليسرى فضاء واسعاً ليس فيه إلا الفصبة ـ كانت أوفق محل لتدبير الحركة السياسية والعسكرية الى الاندلس لقربها أولا من بغاز جبل طارق، والثغور البحرية التي يعبر منها الغزاة الى الجزيرة ، وكان عددهم يبلغ أزيد من مائة ألف ١٠٠ ٠٠٠، ولقتال البلغواطيين ثانياً، ولتوسطها ثالثاً بين مخلاتي الغرب والحوز لهذه الغاية ـ اختط عبد المؤمن: «المهدية» ـ وهى القصبة التي كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش.(١)

وكانت همة الموحدين تطمح الى إعادة عظمة عصر بني أمية ـ من علوم وفنون وصنائع ـ خاصة منهم المنصور فقد اشتهر بحب العلم وجمع الكتب بل كان يتناقش مع ابن رشد الفيلسوف الشهير، وظهر لعهده جمهرة من العلماء والشعراء والفلاسفة، وكان يختار لاقامة تلك الآثار وتشييدها مدينتي العدوتين ومراكش وإشبيلية .

وشيد جامع حسان بربوة تشرف على مصب النهر المزين بمناره الاعظم المضروب به المثل فى الشموخ وروائع الصنعة والهندسة، وقد نقش حول إحدى نوافذه من جهة البحر ـ صورة سيفين عظيمين مصلتين، رؤوسهما إلى السماء ـ وفى تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين ـ إرهاب للعدو

١) معجم البلدان لياقوت.

المهاجم من البحر، ورمز الى التهيؤ له والاستعداد.

مدينة رباط الفتح — العاصمة اليوم

ابتدأ تـأسيسها يوسف بن عبد المومن الموحدي، وشيدها ابنه يعقوب المنصور ـ وأعطيت لقب ـ رباط الفتح ـ تـذكاراً للفتح الاندلسي الذى كان بناؤه من غنائمه ، ولانه بنى لغرض الجهاد والفتح ، وبه فتح على الموحدين، لهذا فهو رباط الفتوحات والفاتحين ، ومعترك الجهاد والمجاهدين ، ومعبر العساكر والجنود ، ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود.

قال ابن الاثير : بني يعقوب المنصور مدينة محادية لسلا من أحسن البلاد وأنزهها. ويقـول ليون الافريقى فى تاريخه إن المنصور لما اختـط رباط الفتح سنـة ٥٩٣هـ ١١٩٦م جعل عليها من أمناء المصامدة من ينظر فى أمر نفقاتها، ومايصلحها من الفرق الاحتياطية، والقوات العسرية، ولم يزل العمل فيها مدة ١٥ سنة، وكان يقـطن بها نحو الستة أشهر فى السنة، وقد وضع تخطيطها على تصميم الاسكندرية المدينة المصرية الجميلة الواقعة على شاطىء المتوسط، ومن رأى هذا الشاطىء يؤمن بالتشابه والتقـارب الواقـع بين الشاطئين طولا وجمالا واتساعاً، وحسن تقسيم . وللشاعر الفحل (١) قائلا:

رباط الفتح مـاوى الفاتحينـا ... بكعبته يطوف الناس حينـا
هو البـلد الامين ومن بنـاه ... عظـيم من مـلوك المسلمينـا
إلى المنـصور نسبته وأعـظـم ... به نسباً يزكـي الناسبينـا

١) محمد الجزولي الرباطي ـ طبع ديوانه أخيراً.

وتتصل بهذه المدينة — بقايا آثار مدينة شالة العتيقة حيث هناك أضرحة أشهر ملوك بني مرين وبعض آثارهم — كالمدرسة والمسجد

ويقال : إن البناء الاول الموحدي كان يتصل بأبنية شالة إذ كانت الدور والاسواق والمرافق وما إليها فى طول مارة على ما يعرف اليوم بشارع القناصل ووقاصة حارقة المرتفع المتصل بالمنزه والمشرف على شالة الأثرية — المنزه الذى كانت على شرفاته قصور الموحدين ، ومن هذا المعنى أتته تسمية المنزه.

وإذ ندم المؤسس المنصور على تأسيس المدينة — كندمه على غيرها — حيث شاهدها فارغة حين التأسيس فها قد تحققت نيته الاولى — وأصبحت جوانبها تكتظ بالسكان ، وتزدحم عشرات الاحياء الجديدة بحمل الواردين عليها من أطراف المغرب وغيره ، كتوأمتها سلا — ذات الاثر الموحدي المتجلى فى مسجدها الاعظم والمدرسة التي لم يبق عليها الدهر . والاثر المريني الخالد بفنيته البارزة فى المدرسة قرب المسجد.

فبعد وفاته انتقل إليها غالب أهل شالة (الاثرية) وعمروا بعضها ، ولم تتسع عمارتها بالمعنى الكامل إلا عند استيطان أهل الاندلس بها لدا اخراجهم من الجزيرة مشردين بنني العدو — سنة 1017هـ — 1602م فتفرقوا فى بلاد المغرب الادنى ، والاوسط ، والاقصى — وحرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحضنوه وبنوا به القصور والدور والحمامات . وذلك أيام « فيليب الثالث وعددهم 6000 نزلو بقياطينهم بحسان وبنوا سوراً من سيدى مخلوف المطل على أبي رقراق الى باب الحد ، ثم بنوا دورهم بنواحي لعلو من «لبيرة» الى البحيرة قرباً من البحر واستنشاقاً لهوائه . ثم جدد المولى سليمان العلوى

بأب السور المذكور لما بلغه أن نابوليون جاء الى اسبانيا (١) فأصدر قدس الله روحه مكاتبه الى ولاة المغرب وعماله يحثهم على تجديد أبواب البلاد ودروبها ـ كما جاء بتاريخ ابن عبد السلام الضعيف الرباطي ـ وهؤلاء جماعة من أهل الدار البيضاء تقدر بـ : 600 أسرة أخرجهم البرتغال من ديارهم سنة 915 هـ 1510م فنزلوا بالبحيرة من الرباط إذ أنقذهم الله من شر العدو البرتغالي الذى هدم البيضاء وقتئذ وما أبقى حجراً على حجر .

ومن نوازل العلامة — عبد العزيز الزياتي الكبرى فى ترجمة — نوازل الجهاد — من سؤال وجهه أندلسيو سلا الجديدة — يعني رباط الفتح — للعلامة أبي مهدى السكتاني فى شأن نفارهم من طاعة محمد العياشي . منه فى وصف الرباط حين خروجهم من الاندلس إليه « وكان هذا الثغر قبل دخول هذه — الجماعة له وسكناها فيه — فى غاية الاهمال — فبالغوا فى تشييده وتحصينه وبناء مساجده وأسواقه حتى صار حاضرة من الحواضر، وأصبح الناس يؤمونه من كل ناحية ، وكانوا فى نحر الكفرة فى البر فى جزائرهم ، وكانوا يغزونهم فى عقر ديارهم يغيرون عليهم فى كل وقت ويسبون دراريهم ويأسرونهم حتى كان النصارى لهذا السبب يباعون بالبخس فاستعبدهم الغنى والفقير ، وأذلهم العزيز والحقير ، وهم مع ذلك قائمون بحدود الشريعة تحت طاعة ملك البلاد .

نعم بلغ هذا الثغر الطيب — رباط الفتح — أوج العز والسؤدد عندما

---

١) ومن اسبانيا كان يطمع ويطمح فى الاستيلاء على المغرب ـ فبعث أحد عيونه وأقام بالغرب نحو ثلاثة أشهر حضر فيها معلومات كتمهيد لخطته . (توجد باللغة الفرنسية ـ بمكتبة فرنسا).

جلس على كرسيه ملوك دولتنا العلوية الشريفة — فأتموا المرافق ، وأكملو ما كانت المدينة الرباطية فى أمس الحاجة إليه اقتصادياوسياسياًواجتماعياًو ثقافياً— فهدا أبو النصر المولى إسماعيل جر إليها الماء من عين «عتيق» وقد تحدث عن ذلك الفقيه القاضي الحاج محمد مرين فى قطعة شعرية توجد بخزانة الجراري(١) كما أدخل الماء إليه السلطان المقدس المولى محمد بن عبد الله العلوي — لذا وجدت فى المجرى — أنبوبتان إحداهما فوق الاخرى عند حفر الممر خارج باب لعلو حسبما هو مثبت أسفل القطعة المشار إليها .

والمولى محمد بن عبد الله هو الذي اتخذ أبواب القصبة هذه — بيت ماله وخزينة أموال دولته التي كانت تبلغ أحيانا 30 مليون ريال . وهو الذى أسس عدة مساجد بهذه العاصمة — كمسجد السنة العظيم الذى نراه اليوم يوسع ويحسن ، ومسجد أهل فاس ، ومسجد القصر . ومسجد «مولينا» الواقع أمام المسرح الملكي(رويال)حيث لم تبق منه عداصومعته وبعض جدرانه بالحديقة العمومية . — كما أن الكنيسة الكاثوليكية الكائنة قرب قصر العمالة — على أنقاض أحد المساجد أسست ويقال إنه — مسجد سعيد بن صالح .

وهـذا المولى سليمان المالك العالم رحمـة الله عليه عمد إلى اليهود الذين كانوا يسكنون داحل المدينة -- بالسوق التحتي — شارع القناصل — ونقلهم إلى حيث هم — بالملاح(٢) — كما فعل ذلك بيهود التوأمة سلا . وكانت زاوية مولاى العربـي الدرقاوى الـواقعة بالحي الذى كانـوا يسكنونه

---

١) أثبتها في مذكراته.

٢) واليوم غادروا الملاح متخذين مساكنهم بالاحياء الجديدة كغيرهم .

— بالحرارين — : بيعة لهم مسجداً وإلى عهد قريب كان بسقفها فوهة ينظر اليهود منها «أضناى» «الله» فى زعمهم. وكان هذا سنة 1222هـ — 1840م كما أنه جدد عدة مساجد كمسجد المولى سليمان الذى كان اسمه قبل ـ مسجد السوق وبعد التجديد أعطى اسم المجدد «المولى سليمان» وخطب فيه قدس الله روحه.

أما الدار الواقعة بالمدرسة المسماة ـ مدرسة الاوداية ـ وكانت مدرسة بحرية ملاحية يتكون منها البحارة المغاربة. فمن تأسيس المولى إسماعيل؛ والطرى الذى نشاهد بها ليس بمرقب ولامرصدو، انما هو مرتفع يشرف منه الملك على الجهات بدل أن يشاهد من خارج، والسور المحاط بالدار هو من بناء الاسارى الذين كان منهم ـ مويط الفرنسي ـ صاحب التاريخ فى سيرتي المولى الرشيد والمولى اسماعيل، ومويط هذا بقي أسيراً بسجن القصبة عشرة أعوام حتى أعانه على افتكاك نفسه أحد رهبان فرنسا على مال.

وهكذا استمرت إصلاحات الدولة للمساجد والمصالح والمرافق والعناية بها، فهذا المولى يوسف طيب الله ثراه يقوم بإصلاح المسجد الاعظم الواقع قرب باب شالة. والمغفور له محمد الخامس برد الله مضجعه يزيد فى صومعته نحو السبعة أمتار (١).

---

١) شرع فيها أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٧ الموافق لاوائل يبراير ١٩٣٩ وتم ذلك في أواسط شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٨ الموافق لمستهل شهر يونيه ١٩٣٩ وكان علو المنار سابقاً عن سطح الارض 23,25م وقد هدمت الطبقة العلوية من المنار والتي كان بها فى «الشرافات» علو 1,25 متر وفي «العزري» 6 أمتار المجموع 7,25 متر هدمت كلها فزيدت سبعة أمتار ونصف في العلو بانضمام «الشرافات» وأصبح في «العزرى» 4,40 أمتار وفى «الكنداري» 3,25 م وعلى هذا تكون مجموع الزيادة العلوية بانضمام البناء المهدوم 14,75 متراً فى حين أن العلو المزاد على البناء السابق 7,50 متر إلى رأس الكنداري وكانت هذه الزيادة فى وزارة المرحوم الفقيه السيد محمد ملين والناظر المرحوم السيد الحاج محمد بنمسعود.

وإلى حد الساعة نجد ملكنا الحسن الثاني نصره الله يسير بخطى سريعة في سائر الميادين تأسيساً وإصلاحاً.

ومما عرضناه يتضح ان الرباط منذ نشأته الاولى وهو مركز الدول القومية والامراء الفاتحين رابط فيه وتصدر منه أوامرها السياسية والعسكرية كقاعدة أساسية بالقصبة فى عهدي المرابطين والموحدين وكذلك فى عهد بني مرين وفى عهد السعديين وفى عهد دولتنا العلوية الشريفة اذ تركت كل دولة أثراً لها سواء بالقصبة أو بالمدينة كالقصور الملكية والحصون الحربية والمراكز الادارية التى هى من لوازم الدولة المستقرة فى عاصمة من العواصم.

وهذا مايؤكد ان العدوتين التوأمتين — الرباط وسلا — كانتا مهيأتين لهذه الغاية، وليس ذلك جديداً فى تاريخهما.

ثم ماادخرته الاقدار لرباط الفتح أنه ضم رفات ثلاثة ملوك من ملوك الدولة العلوية الماجدة ملوك يعتبرون واسطة عقد هذه الاسرة الكريمة سياسياً وإداريا وعلمياً:

محمد بن عبد الله ـ والحسن الاول ـ ومحمد الخامس، قدس الله أرواحهم.

وهاك شخصيتين عاشت إحداهما فى العصر الموحدي، والثانية معاصرة

١ـ أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي القاضي العالم المحدث الشاعر الناثر الذي يعد ثاني رجل تولى القضاء بالرباط فى القرن السابع للـرشيد الموحدى ولاخيه أبي الحسن ترجمه ابن الخطيب فى الاحاطة، وصاحب الجذوة[1]، وصرحا معاً بقضائه على الرباط، عرف بقوة الادراك والتضلع فى العلوم حديثاً وتاريخاً وأخباراً ـ مع التبريز فى الاصلين، غزير

١) والمؤلف في كتابه ـ من اعلام الثقافة والفكر فى الرباط وسلا.

المعاني والمحاسن، شفاف اللفظ حر المعنى.

من شعره مفتتحاً به رسالة

ياغائباً سلبتني الانس غيبته فكيف صبري وقد كابدت بينهما
دعواى انك فى قلبي فعارضها شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

فكرة وجيهة ومشكلة فى ذات اللحظة توقع فى الحيرة لامحالة، حبيب فى القلب وبه امتزج، وأنت تتوق اليه وتتشوق.

له تآليف وكتابات تنبيء عن مقدرته وكفاءته الثقافية، وتعطينا فى ذات الوقت صورة حية عن رجالات المغرب وعلماء عواصمه كالرباط وسلا مما لاينفك يهدينا بأجلى وضوح الى الامتداد المتسلسل الحلقات منذ القرن السابع الهجرى-الثالث عشر الميلادي الى عصرنا الماثل-القرن الرابع عشر-القرن العشرين،حيث هناك أفذاذ وأفذاذ لايقلون معرفة عن تلك البذور الاولى-

٢- المحدث الواعية الحافظ المحاضر الشريف محمد المدني ابن الحسني الحسني الرباطي الذى قد لانحتاج لتقديمه بأكثر من هذه التحلية مادام الكل يعرفه شباب وكهول وشيوخ.

ومن ميميته التاريخية، والموجهة الشباب فى نهضته الاولى ، قوله

ويعقوب ذو رباط الفتح لما تمادى المتعدون فى الانتقام
فكان جوابه ما قد رأوه من البطش القوي المستدام
وقد سالت بطاح الارض طرا بنبال وسيف ورام

وصب على الاعادى فى البوادي سياطاً من عذاب كالضرام[1]

ومن نظم شيخنا المدني المذكور ملمحاً الى تاريخ بناء الرباط هذان البيتان :

واما رباط الفتح مسقط رأسنا فثدى[2] العلوم فى رباه تسلسلا

بناه لنا المنصور يعقوب فازدهى وزاد بهاء فى عيون ذوي الملا

وكم لهاتين الشخصيتين البارزتين ماضياً وحاضراً فى عالم المعرفة من أمثال وأمثال.

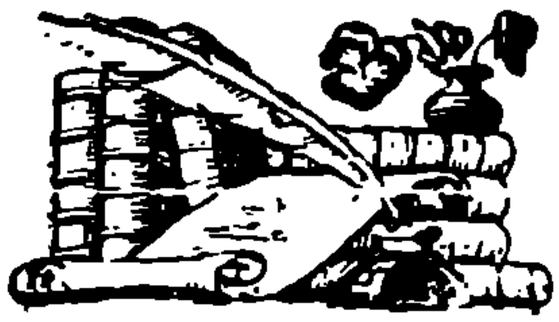

---

١) القاها الشاعر نفسه ليلة الاحد ٢٣ صفر عام ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م فى حفل المدرسة الكتانية الحرة التي كان يديرها المرحوم الصديق الشدادي كايقاظ لتلاميذها .

٢) يشير بثدى بطريقة حروف الجمل إلى تاريخ التأسيس (٥٩٤) .

امكنة التعليم والدراسة

يطلق لفظ مسيد فى عدة مدن كفاس والرباط، على محل تعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ويلوح فى الكلمة أنها منحدرة من مسجد فابدلت جيمها ياء بعدنقل حركته الى السين كلغة فقيل «مسيد» (١)

ومن نظم الاستاذ المذكور فى تربية الصبيان فى الكتاب قوله

ثم توضأ واخرجن للمكتب وهو المسيد عندنا بالمغرب

والكتاب كرمان ـ الكاتبون ـ والمكتب كمقعد موضع التعليم، وقول الجوهري فى صحاحه الكتاب. والمكتب واحد غلط.

يقال كتبه كتباً وكتاباً خطه ككتبه بالتشديد والاديب المتحسر:

تبا لدهر قد أتانا بالعجب ومحا فنون العلم والآداب

وأتى بكتاب لو انبسطت يدى فيهم رددتم الى الكتاب

والكاتب العالم، واحتجوا لهذا بقول الله تعالى:

— «أم عندهم الغيب فهم يكتبون»

والاكتاب تعليم الكتابة، والمكتب معلمها، وقد كان الحجاج بن يوسف مكتباً.

ويعبر البعض عن الكتاب بـ (الحضر) وللمتعلم فيه (بالمحضر) كاهل مراكش ـ كانهم لحوا فيه مدلول التحضر والتمدن بمعنى أنه مكان لتحضير

---

١) الى هذه اللغة ـ يشير الشاعر العربي

إذا لم يكس فيكن ظل ولا جنى ❁ فابعد كن الله من شيرات

كسروا السين ليلا تبدل الياء ألفاً لانفتاح ماقبلها، وقد أشار الى هذه العلاقة بين الحرفين ـ الجيم والياء ـ الشيخ المرحوم محمد المهدي متجنوش الرباطي في نظمه المتعلق بمخارج الحروف قال:

والياء الاخرة تبدو من وسط ❁ الحنك الاعلى ولكن بشترط

مع مايلي من وسط اللسان ❁ فالياء كالجيم بلا نقصان

الانسان وتهذيبه وتربيته تربية لائقة بتعاليم الاسلام ومبادئه الطيبة. ولا بدع فمنذ عرف الاسلام ـ ورجاله يقومون بتلقين النشء أوليات العلوم وفى المقدمة : حفظ الكتاب الكريم واستظهاره.

وقد اتصلت حلقات هذه المدرسة منذ عهود الاسلام الاولى الى عصرنا الحاضر تثمر وتنتج كما سرى ذلك بعد.

وهناك كلمة : مدراس كمفتاح تطلق هى الاخرى على المكان يقرأ فيه القرآن ، ومنه مدراس اليهود كنيستهم والجمع مدارس ومنه المدرس كمعلم لكثير الدرس ـ وكمعظم المجرب ـ والمدارس كمسالم المقارىء فى القرآن ـ وفى الكتاب المبين :

— «وليقولوا درست».

قرأت على اليهود، وقرأوا عليك.

ويعرف المسيد فى بعض البوادي والقرى ـ بالجامع ـ إما لاجتماع التلاميذ فيه للتعليم، أو لاجتماع الناس فيه لاداء الصلوات، وفعلا فالمكتب فى البادية يستعمل فى كلا المعنيين : للتعليم والصلاة جميعاً غير أنهم يحتاطون فى الفرش ، فعند الصلاة تفرش حصر أخرى نقية غير مايجلس عليه الصبيان المتعلمون اتقاء ما يمكن ان يصيبها من نجاسات وقذورات الصغار الغير المستحفظين.

وتوجد لفظة «صغارى» التي هى فى الاصل جمع صغير وصغار وصغران بضم أولهما، نسب اليه (رغم كونه جمعا) الاطفال الناشئون قصد التعلم والتربية فأصبح من أجل هذا الاستعمال يطلق على المحل الذي يرد عليه الصغار للمعنى

المـلمح اليه (التربية والتعليم) أما كلمة ـ عطارى ومادته ـ فهي بمناها الاصلي تدل على عطر الاشياء ومعالجتها بالطيب، ولاعجب ان تكون المعالجة هنا أدبية أكثر منها مادية وهى معالجة النشء وتهذيبه وتعطير نفسه وتطييبها وتغذيتها بالتربية النـافعة، ثم توسعوا فيها فأطـلقوها على نفس المحل المعد لهذا العلاج النفسانى.

حـرمـة المكتب

فالمكتب المتحدث عنه الذي هو مكان خصص للتربية والتعليم، وحبس لهذه الغاية النبيلة حتى أطلق البعض عليه اسم الجامع ـ يعطى بلا شك حرمة المسجد وقداسته وتنزيهه عما لايليق بيقـاع القدس والطهارة، فمـا حبسه المسلمون إلا ليعـلم فيه أولاد المومنين كتاب الله العزيز لاليصبح مأوى الجمـوع واحداث ماهو من قبيل اللهو البعيد عن مقاصد الدين ـ أضف إلى هذا ان الصغار من أبناء المسلمين تكون قلوبهم خالية يروم آباؤهم وأولياؤهم من إدخالهم المكتب : ان يكون أول شيء يلج صدورهم وتسمعه آذانهم ـ هو كلام الله تعالى الذي هو جماع الدين، وأساس القواعد التي قعدها أهل المذهب من علماء الاجتهاد، وأئمة المسلمين لالسماع مبادىء الدخول فى الموسيقى والطرب كطريق اللهو، واتباع مايجر إلى مالايحل وشغل أفكارهم بذلك مما لا يفتأ ان يصبح ذريعة لاجتماع الشبان ومن يتعلق بهم من المجان وذوي الاغراض المحظورة شرعاً وفى ذلـك تلبيس وتشويش على العقول تحت ستار مايسمى بالمديح النبوي المستحسن شرعاً فيمتزج الجد بغير الجد.

أما المباسطات وسماع المستلذات من الاصوات الحسنة ومـايتبع ذلك من التساهل ويرمي الى المجون وان استحسنته الطباع فلا تناسبه إلا أمكنته لامحل الوقار والجد ومقر تعليم الاولاد(١).

ويفتح المكتب فى الزقاق والدروب وحتى فى الشوارع والاسواق إظهاراً للشعائر، وأمناً فى ذات الوقت من تسرب مايهدف الى النقد مما لو تأسس فيما يخفى من الامكنة.

ويتأكد اجتناب المساجد حذراً مما يمكن أن يصيبها من الصبيان الذين لايتحفظون من النجاسات عملا بحديث :

«جنبوا مساجدكم صبيانكم» أخرجه بن ماجه مطولا عن واثلة مرفوعاً وسنده ضعيف، بل قال البزار : ليس له أصل.

وفى المعنى يقول شيخنا الاستاذ محمد المهدى متجنوش فى رجزه المسمى «هدية المؤدب» (٢)

ياتـون بالصبيان للكتاب	فويق عـامين بلا ارتياب
لايملكون بطنهم من فعل	بول وغائط وصوت الحطل (٣)
يلوثون الثوب والمكانا	فاحذر من اقرائه حيث كانا
إذ ليس فى اقرائه إلا التعب	وليس تـلويث المكان بادب

وللمرحوم محمد بن عبد العزيز الاندلسي الآسفي الملقب بكردل نظم فى تعليم الصبيان وآداب الكتاب وأحكام التعليم سماه « نكتة المعلمين »

١) ملخص معنى فتوى للمرابي بردلة (من المجلد الثاني من نوازل العلمي.)
٢) احتوى ثمانمائة بيت (٨٠٠).
٣) الحطل الذيب كنى به عن الضراط،

كنظم الشيخ المهدي المذكور، مطلعه

الحمد لله الذي أورثنا(١) كتابه العزيز وانتخبنا

حفظه من كل تبديل كما سهل حفظه لمن تعلما

يقول في خاتمته

أبياتها ضحى وكه عامها من بعد قش فبها ختامها

نسبه اليه القاضي العلامة الجيلاني بوخريص الآسفي حسبما وجد بخطه رحم الله الجميع.

شرحه محمد بن أحمد التريكي الآسفي ت١٣٤٤هـ-١٩٢٥م شرحاً سماه:

(دلالة المؤدبين على نكتة المعلمين) (٢)

ومن أبيات النظم التي يشير فيها الى سنة عمر الفاروق في عطلة الخميس

واثر كتب اللوح قل بالثبت يوم الخميس لصباح السبت

قد سن ذلك أبو حفص عمر فمن أماتها فلا شك افتقر

كما دعا به ومن أحياها يكون في الامة من أغناها

ذكروا في السبب أن عمر رضي الله عنه كان في سفر فلما قدم خرج الصبيان يرحبون بقدومه وتهنئته بالاياب، فأمر رضي الله بتسريح الصبيان من صباح

---

١) الشطر الاول لابن برى الرباطي التازي في نظمه لمقرإ الامام نافع فهو اول شطر منه، ضمنه الاسفي المذكور في قصيدته التعليمية.

٢) ومما تحدث عنه في الشرح تنازع بعض المعلمين فيما إذا خرج تلميذ من مكتب إلى آخر لمن تكون الاجرة، فإن كانت من الختم الى براءة فللاول، وإن كانت دون فللثاني قال: والمعول عليه في ذلك الرجوع إلى العرف الجاري به العمل في المحل وعليه يبنى الحكم، ترجم التريكي هذا ابو عبد الله الكانوني في كتابه «آسفي وما إليه قديماً وحديثاً».

الخميس إلى صباح السبت — فالأدب اتباع سنته وسنة سائر أصحاب الرسول. (١)

ومن النظم أيضاً

لولا المعلمون للصبيان لانقرضت رواية القرءان
واندرست رسوم كل علم فهي لدين الله أى رسم (٢)

اختيار المعلم

يعد المعلم نموذجاً مثالياً لتلاميذه — فهو كما يقول الغزالي — كالعود وتلميذه بمنزلة الظل فمتى استقام العود استقام الظل بالطبع، والعكس فإن اعوج اعوج الظل.

لهذا كان المتقدمون فى المدرسة العتيقة — أو المسيد بتعبير فني — وقد عشنا أواخرها لا يرشحون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته، وطابت سريرته، وكان مثال الطيبوبة والعفاف فى الوسط الذي يحياه، حتى كانوا لا يولون العزب تعليم الاطفال، يقول العلامة أبو عبد الله ابن عرفة

١) وقد أورد القصة ابو القاسم العميري في فهرسته الخطية قال: إنه كان فى بعض الايام بمجلس درس شيخه محمد بن سعيد المرغيثى، واتفق ان كان ذلك اليوم يوم الثلاثاء فتذاكر الشيخ حول مايجده الطلبة من السرور بالاربعاء والخميس، ثم حضره بيت على البديهة فقال

ألا يانسيم الاربعاء الذي سرى عشيتنا أمهل يسايك طالب

وقال لهم: أجيزوا فقال ولد له رحمه الله:

لعلك عن يوم الخميس مخبر

وقال والدي: فشوقي إليه حاضر وهو غائب

إلى آخر القصة

٢) انظر النظم والشرح بمجموع مخطوط يوجد بخزانة الفقيه الحسن واعزيز الآسفي رحمه الله اطلع عليه المؤلف بواسطه أخى الجميع مدير مدرسة الهداية الاسلامية بآسفي — الاستاذ محمد بن أحمد المسكوري.

يكفي فى إباحة تعليمه ستر الحال للمتزوج، ويسئل عن غيره—فإن اتصف بالعفاف جاز تكليفه بالتلقين وإلا منع —وبهذا جرى العمل وهو الحق، قبل والصواب اليوم المنع مطلقاً من تعليم العزب مـالم يكن شيخاً يستطيع التغـلب على نفسه من الميل لما لا تحمد مغبته. وهذا ما كان يحفز الآباء والاولياء للتشدد فى اختيار من يتولى تعليم وتهذيب أبنائهم، وكان الاختيار غالبا يسند للقضاة. الذين لهم الخبرة كمدو لهم وأعوانهم باحوال الناس وسلوكهم بطريق المخالطة والتعايش .

نعم كان أحيانا يتولى هذه المهنة الشريفة ـ شيوخ كبار تتوفر فيهم النزاهة والعفة باسمي ما تدلان عليه من معان . ومن أهم ما يتأكد أويجب على المعلم التحلي به .. التقوى ومقامات اليقين والحفظ والاتقان، أضف إلى هذا أن صنفاً من هذا القبيل اتصف بهذه الصفات الحميدة هو وهو فقط الذي يستطيع أن يسير النشء الصغير والصبيان الذين لا يزالون فى بكر الحياة ـ وفواتحها ـ لا يدركون هدف ما رشحوا له من تعليم وتنشيء ، وينزل إلى مستواهم لحـد يفسح المجال للبعض فيرمي أمثاله بنقصان فى العقل والتفكير كالجاحظ فقد عقد لذلك فصلا فى الجزء الاول من كتابه البيان والتبيين (١) حتى قال شاعرهم :

كفى المرء نقصاً ان يقال بأنه معلم صبيان وان كان عاقلا

ويقول الشاعر صقلاب :

وكيف يرجي العقل والرأي عند من يروح على انثى ويغدو على طفل

---

١) ص١٧٣ الكتاب هذا يقع فى ثلاثة أجزاء .

وقد نقل الجاحظ فى الكتاب المذكور عن بعض الحكماء : لا تشتشيروا معلماً ، ولا راعي غنم ، ولا كثير القعود مع النساء ، وقال: لا تدع أمر صبيك تضربه فإنه أعقل منها وإن كانت أسن منه . وقد جلب الشيخ عبد الرحمن بن احمد العباسي ت : 963 ه 1555 م فى كتابه: «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص جملة من هذا النوع المزري.

اجرة المعلم

الاجرة على تعليم الابناء تكون حسب اليسر والعسر وليست محدودة، بهذا صدرت فتوى «السيد احمد بن عرضون الشفشاوني»، وسئل السراج عن أهل قرية شارطوا فقيها بدراهم وغلة الزيتون فلما مضت مدة يسيرة أرادوا عزله حين بدو الصلاح فقال لهم :ان الغلة لي لظهور الطيب ، وقال أهل القرية : هى لنا لان العام لم يمض منه إلا القليل ـ فأجاب انهم إن أرادوا عزله فإنهم لا يمكنون ، ولا يحكم عليهم بأن يبقى يؤمهم حتى يتم عامه إلا ان يثبتوا جرحة فيه .. فلهم عزله حينئذ قبل العام، يكون له من الاجرة التي دخل عليها بنسبة ما مضى من شهور العام،ويترك الباقي للخلف ومثله لابن لب.

والذي عشناه فى تعليمنا بالكتاب ـ ان التلاميذ (لمحضر) يؤدون عن تعلمهم أجرة ـ منها الاسبوعي على رأس كل أربعاء ـ تعرف (بحق لربع) ومنها الشهري ، ومن التلاميذ من يؤدى الاجرتين معاً . هذا فضلا عما يمنحه المعلم عند انتقال التلميذ من سورة إلى أخرى حيث يحمل لوحه الى منزله ، وأحيانا يزوق اطار اللوح والسورة أو بعضها وسطه قصد اطلاع أبويه على تقدمه ـ الشيء الذى يحفز الاب أو الولي أن يقدم دراهم الى المعلم عرفت

آنذاك بـ(الحذقة) وينشأ عن هذا اطلاق سراح التلاميذ يوماً أو نصفه وقد يصحبه والده الى المكتب رغبة فى التعجيل بتحرير التلاميذ .

فى بعض الظروف يتعذر هذا النوع أويطول أمده ـ فيضطر التلاميذ لراحة نصف يوم الاحد والمعلم بدوره الى المادة ، فيلجأون لجمع قدر من الدراهم كل وما يستطيع ويقدمونه للمعلم الذى لا يسعه (وهو كما نعلم) الا أن يطلق سراحهم ويسمي هذا : «حق الحد أو حق التحرير» وان كان فى هذا ما فيه من ضياع أوقات المتعلمين الثمينة ، على أن لهم راحة أسبوعية تقرب من يومين : جل يوم الخميس ونصف يوم الجمعة الاول ـ راحة كافية لاستجمامهم وجمع قواهم للعمل ، ثم تساهل المعلم وعدم تقييمه للحظات الزمن الذهبية أمام ما يتقاضاه من دريهمات ـ أفضت به إلى التضحية بمصلحة النشء الواجب رعايتها ، والحفاظ عليها وعلى أمانتها .

ولو وجدت يومئذ رقابة على العطل وتحديد أوقاتها ـ ما كان هذا الاستبداد وما ينطوي عليه من تفويت أوقات وأوقات ما كان أجدر التلاميذ بملئها بالجد والعمل . بيد أن هذه المسؤولية لا يتحمل عبأها المعلم وحده بل للآباء والاولياء قسط فيها ليس باليسير .

حكم الاجرة على تعلم القرءان

قد بحث العلماء هذه الاجرة هل هى سائغة تكسوها سمة الحلية أو هى على العكس ، والذي انتهى اليه البحث انها حلال ـ فى صحيح البخارى أثناء كتاب الاجارة فى الباب الخامس عشر : وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» وقال الشعبي:

لايشترط المعلم إلا ان يعطي شيئاً فليقبله، وقال الحكم : لم أسمع أحداً كره أجر المعلم.

وقول ابن عباس : طرف حديث وصله البخارى رحمه الله فى الطب. واستدل به الجمهور فى جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن، وخالف الحنفية فمنعوه فى التعليم ،وأجازوه فى الرقي كما لدواء. قالوا : لان تعليم القرآن عبادة والاجر فيه على الله وهو القياس فى الرقي إلا أنهم أجازوه فيها لهذا الخبر،(١) وحمل بعضهم الاجر فى هذا الحديث على الثواب، وسياق القصة التي فى الحديث يأبى هذا التأويل،وادعى بعضهم نسخه بالاحاديث الواردة فى الوعيد على أخذ الاجرة على تعليم القرآن، وقد رواها أبو داود وغيره، وتعقب بأنه اثبات النسخ بالاحتمال، وهو مردود،وبأن الاحاديث ليس فيها تصريح بالمنع على الاطلاق بل هى وقائع أحوال محتملة للتاويل لتوافق الاحاديث الصحيحة كحديثي الباب (٢) وبأن الاحاديث المذكورة أيضاً ليس فيها ماتقوم به الحجة فلا تعارض الاحاديث الصحيحة (٣) ويدعم حلية الاجرة ان تلقين الولدان الكتاب وماإليه من علوم أصبح مهنة وحرفة

---

١) يقول ابن عابدين الفقيه الحنفى المتأخر ان الاحكام المبنية على العرف يجرى فيها التغيير بتغير العرف فقد كانت العطايا الكافية تعطي للمتشغلين بتعليم القرآن مما جعل ابا حنيفة يمنع اعطاء الاجر على تعليمهم القرآن ونحوه ، فلما انقطعت هذه العطايا بعد ذلك ـ افتي المتأخرون بجواز الاجر على القيام ببعض الاعمال الدينية كالامامة وخطبة الجمعة، وتعليم القرآن والعلم حرصاً على إقامة الشعائر الدينية بين الناس ونشر علوم الدين اهـ (من كتاب مدخل الفقه الاسلامي الدكتور محمد سلام مدكور).

٢) المثبتين في كتاب الاجارة من الصحيح (المجلد الرابع من فتح البارى).

٣) انظر المجلد الرابع من الفتح ص. ٣٠٤ الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية للخشاب.

يحترفها الشخص الحافظ حيث لامورد له يتعيش منه عدا اعتكافه على تعليم النشء وتربيته. والناظر من هذه الزاوية قد لايخامره شك فى ذلك. (١)

سـن التعـلم

يدخل الطفل إلى المسيد (الكتاّب) فى سن مبكرة- ثلاث سنوات فما فوق بيد أنه يقطع مدة طويلة لايحصل فيها على شيء إذ حسبه ان يقضي النهار كله داخل المكتب فى جملة أطفال من سنه وبيده لوح صغير يتلهى به أياما وشهوراً وأحيانا سنوات. حالة يكون معها كانه فى مركز من مراكز دور الحضانة أو روض الاطفال. ثم بعد هذه المرحلة يكلف تلميذ (محضر) من المتقدمين فى الكتاب من مرة لاخرى ويعقد حلقة من هؤلاء الاطفال ويأخذ يلقنهم آيات من الكتاب المبين فى تكرار وتقطيع بطريق التهجي علهم يحفظونها سماعا.

وإثر هذه الطريقة التي ينشأ عليها أبناء الكتاب العتيق - يعطى كل صغير لوحا كتبت له فيه حروف الهجاء كلها. ثم من بين آونة وأخرى يكلف مرة أخرى تلميذ من متقدمي المسيد ليلقن طفلا فأكثر ما كتب باللوح من حروف - وبالطبع يطول هذا التعلم مدة تستغرق سنوات. فإذا ما قدر للطفل استظهار ماكتب لايعدو ان يكون عن سماع فى تتابع - أ،ب،ت، الى آخرها دون تمكن من ذات الحرف وضبطه حيث لا يلتبس بغيره.

هكذا يقطع الطفل مرحلة من حياته وهو يعاني سوء التـلقين، وعقم

١) يقول ابن ياقوت اما اجرة معـلم القرآن - فجائزة كما في الحديث - إن كان يعلم احكام القرآن - وإلا فما يأخذه فهو سحت.

الطريقة ـ حالة تبغضه فى الكتاب والمعلم جميعاً مع مايلاقيه فى تلك الاثناء من مشاق واتعاب تلحقه من غلظة المعلم وشدته وسوطه الذى لايفتأ يضعه الا على ظهور الصغار وأطرافهم (أحشفا وسوء (١) كيلة) لحد يكون المعلم والمتعلم فيه على طرفى نقيض كل منهما يبغض الآخر، وان كان بغض الاول راجعاً لمصلحة الطفل، وبغض المتعلم لمكان مايحسه من ضيق وشدة لايخفى أصلهما حالة تجعله لايرى ألد عدو إلا المعلم، ولاعجب فقد كانت الفكرة السائدة لدا الآباء والاولياء المنطوية تحت الكلمة المأثورة عنهم التي يطبقها جمهرة من المعلمين هى : اقتل وأنا أدفن ـ قتل وتا ندفن ـ ضائقة يقع الطفل فيها بين نارين : ١ـ ضغط البيت من جهة. ٢ـ ضغط المعلم من جهة أخرى. شيء يدفع بعض الاطفال للنفور من التعلم بل ومغـادرة البيت أحيانا، حتى كان بعض متطرفى الآباء يضع القيد فى رجل ابنه المتأفف من الكتاب وحالته المزرية، ويساق اليه سوق العجماوات ـ يغدو ويروح على حالة شوهاء وهو بين الغلظة والسوط يقاسي آلام سوء التكوين وقطع الزمان الطويل فى تعـليم هو الى العقم أمس منه بالانتاج المنتظر من الكتاب.

هكدا يستمر الطفل المسكين فى صراع مديد طوال سنين وسنين وهو يدور فى حلقة جوفاء نهايتها ـ الوصول الى إمساك لوح فى يده وقد كتب له المعلم فيه سورة من سور القرآن كالاخلاص بعدما استظهر حروف الهجاء استظهاراً قد لايميز معه حرفاً من آخر اذا ما خولف له الترتيب الذي عهده وعلى ضوئه استظهر الحروف طوال المدة المتحدث عنها.

---

١) مثل عربي يضرب فيمن جمع بين خصلـتين مذمومتين.

الحـذقــة

فى هذه المرحلة يمد الطفل حذقاً فى تعلمه بلغ درجة مرموقة بين رفاقه الصغار ـ يزوّق له اللوح وينمق ويحمله معه الى المنزل حيث يفرح والداه بذلك،وبعد يوم أو يومين يرجع اللوح الى المكتب وقد صحبه والداه مقدما مكافأة الى المعلم الذى كابد مع الابن الى أن بلغ درجة حمل اللوح فى يديه وربما هيأ الوالدان فى هذا الحذق الاول(١) طعاما هو عبارة عن مائدة فاخرة مليئـة بالرغائف والفول والزبيب حيث يوزع على التلاميـذ لـكل رغيف محشو بالفول والزبيب ، ويطلق سراحهم محررين من القراءة يومـاً أو يومين وتسمى (التحرير) . ولهذه العناية مغزاها الحميد فى تشجيع باقي الاطفال على الوصول إلى هذه المرتبة بل وتشجيع المعلم وتنشيطه على المضي فى السير بتلاميذه للالتحاق بهذه المرحلة .

بعد هذا يأخذ الطفل يعلم من طرف غيره ـ المتقدمين فى الكتاب ـ كيفية تهجي الكلمات ومعرفة القراءة وربط الحروف بعضها ببعض مع الحركات تارة والسكون والتنوين تارة أخرى بواسطة لوحه المكتوب ، وأثر لحظات من العملية يستطيع مع التكرار معرفة القراءة فى استقلال .

---

١) الحذاق بكسر الحاء وفتح الذال المعجمة ـ الطعام الذي يعمل عند حذق الصبي اي ختمه القرآن . قال الشيخ زروق الحذاق بكسر الحاء والذال المهملتين. قال الحطاب في ابواب الاجارة وفيه نظر فاني لم اره لغيره .

محو اللوح وكتبه وما يتبع ذلك

يصبح الطفل كلما استظهر لوحه وتقدم بعرضه على المعلم فى أوقات مضبوطة – محاه فى الممحاة التي هى عبارة عن إناء أو آنية من فخار مملوءة ماء. وقد تكون مثبتة فى الارض ببناء محكم داخل المكتب يمحو فيها التلاميذ ألواحهم، ثم يمرون عليها بالصلصال (الطين الحر) فإذا يبست تلقائياً أوذهب البعض بها إلى فرن (السفاج) رغبة فى التعجيل باليبس خاصة إبان البرد ـ رسم لهم المعلم آية أو آيتين (حسب المستوى) من السور القصيرة ـ من قصار المفصل ـ بأسفل القلم ، ويعرف هذا فى اصطلاح المسيد العتيق بـ (التحنش) يكتب التلميذ فوقه بقلم القصب من دواة الصمغ (أصمق) ـ المصنوع من صوف الغنم النابت بين فخذي الشياه بقليه على النار وسط اناءين بطريقة فنية إلى أن يجمد ويوضع فى الدوايا ممزوجاً بماء مع قطعة قطن أو صوف[1] ، عمليات يستطيع الطفل التدريب بها على تعلم القراءة والكتابة متدرجاً فى سلم التعلم ومتقدماً فى الاستظهار والحفظ للآي والسور الى أن يبلغ سورة الرحمان. ومن عناية بعض معلمي القرآن بالرباط ـ اعنى الفقيه المرحوم محمد التدلاوى[2] حسبما أخبر المؤلف من قرأ عليه انه كان يكتب فى طرة ألواح التلاميذ ـ قبل الشروع فى الكتابة حروفاً بارزة غليظة ـ ا ب ت الى آخرها ويقول لهم :

---

١) اختلفوا في طهارة هذا النوع من المداد ونجاسته ، ومنهم من فصل ذلك قائلا : إن كان التلاميذ يتحفظون من النجاسات فهو طاهر والا فهو نجس وهذا مادرج عليه ابو عمران ، نعم يندب غسله اذا ما وقع في الثوب او الجسم .

٢) توفى في شهر رمضان عام ١٣٣٣هـ ١٩١٤م

اكتبوا هذا الحرف كيف حلقه الله مشيراً الى ما كتبه من حروف على الهامش، ذلك منه (رحمه الله) كتدريب لهم على الخط والعناية به

ومن اعتناء هذا الفقيه النادر — بالصبيان انه يجمعهم ظهر يوم الخميس الذي هو يوم عطلة ويخرج بهم الى ضواحي المدينة والشواطىء ليتروضوا ويتدربوا على الجري والقفز من أنواع الرياضة،ومن لطفه ـ انه يجلس مراقباً أعمالهم من جهة وحافظاً ثيابهم ونعالهم من جهة أخرى خوف الضياع

فى هذا الوقت وفيه بالذات يصبح الطفل وقد دخل مرحلة جديدة علا بها كعبه فى معرفة القراءة والكتابة وحفظ قطع من الكتاب الكريم وأحزاب من أحزابه المقدسة .

هنا يقوم الوالدان أو من يقوم على الغلام ـ بتهيىء حفل رائع تكريماً للمعلم الذى بلغ بتلميذه الى هذه المرحلة المشرفة يعرف بـ «حدقة الرحمان»(١) فى هذا الحدق يزوق لوح الطفل أو لوح أكبر منه بعد أن يجلد بورق أبيض ـ ويسطر تسطيراً هندسياً بواسطة مسطرة وبيكار عرف (بالدبد) ويشرع فى تلوين أركانه بألوان فنية حسبما رسم من تخاريم تصبح معها لوحة فنية تلفت أنظار هواة الفن وعشاقه

وكان اللوح المزوق فى هذه الحدقات: ١ـ الرحمان ٢ـ طه . ٣ـ التخرجة التى هى عبارة عن ختم القرآن واستظهاره جميعه ـ يستعاض بالرباط من الفقيه ابن العربي معلم الصبيان بمسيد جامع النخلة من شارع بوقرون ؛ وبعد

---

١) اشير الى هذا المعنى و الفصل قبل . وللحذقة خمسة مواضع : ١ـ ان عرف الكتابة ٢ـ سورة الملك . ٣ـ سورة الفتح ٤ـ مريم : كهيعص . ٥ـ ختم القرآن .

انتهاء حفل الحدقة يرد اليه صحبة دراهم كحق على لوحه .

صورة الحفل ـ يقوم ابو الطفل باستدعاء بعض اصدقائه للحضور بالمنزل ابتداء من الساعة العاشرة صباحاً، ويستدعى المعلم بدوره بعض فقهاء الكتاتيب وكبار تلاميذهم الى الكتاب (المسيد) وبعد اكتمال الجمع يخرج الكل والطفل الحاذق وسط الجميع وقد لبس احسن ثيابه مرتديا سلهاماً ـ برنساً ـ وهو بين تلميذين يحملان اللوح المزخرف والمكتوب وسطه ـ سورة الرحمان ـ فوق رأسه ، رافعين اصواتهم بالكلمات التالية : «كلام الله حق علينا وما محمد الا نبينا ـ كلام الله حق محقق ، وما محمد الا مصدق »وما اليها من كلمات تشيد بالكتاب المبين وتقدسه قاصدين منزل الطفل فى ابهة وروعة يوحيان بالعظمة ويبعثان على التأثر والخشوع امام هذه الكلمات وسواها من سجعات واشعار تعلن عظمة القرآن الكريم.

وفى هذه الاثناء يضع بعض المارة دراهم على اللوح كاكرام منهم للمعلم وتنشيط له على عمله . فإذا ما قربوا من المنزل ـ رفعوا اصواتهم بما يلي «فرحت يمه وبيه فرحت لفق اللقره» وبالباب يتلقاهم الاب واقاربه بترحاب وتقدير فيدخلون وهم ينشدون اشعاراً او ادعية تحرك من المستمعين وجميع الحاضرين كامن الاطمئنان والايمان ، وقد تفتحت القلوب لسماع ما يتلى من آى الذكر الحكيم . يجلس الطفل الحاذق على منصة خاصة توضع وسط ساحة المنزل ، والتلميذان اللذان صحباه ازاءه، والتلاميذ والمعلمون (المدررون) والفقهاء بالساحة المفروشة بالبسط والزرابي الفاخرة يتلون كتاب الله تعالى.

ثم بعد يأتي دور المنشدين فيأخذون فى سرد الامداح النبوية مخللينها

بقصيدتي ـ البوصيرى البردة والهمزية وما اليهما من اشعار صوفية فى مدح الرسول الاكرم صلـوات الله عليه ، وفى فترة هذا الظرف تكون كؤوس الشاى وأطباق الحلويات تدار على الحاضرين.

بعد هذا يقدم الطعـام المدعوين من أقـارب وأصدقاء ابي الحـاذق (المحذوق) (١) الكسكوس وعليه البيض واللوز، فإذا طعموا يأخذون فى مغادرة المنزل وقد تقدم الكثير منهم الى اللوح الموضوع على حجر الطفل ـ فوضعوا قدراً من الدراهم كهدية منهم الى الحـاذق التى هى فى الحـقيقة اكرام المعلم على جهوده، وتشجيع له على المضي فى نشاطه فى المهنة، علاوة على المكافأة المشرفة التي يقدمها الاب للمعلم.وبعد انتهاء الحفل ترسل مائدة خاصة أو مائدتان مصحوبة بما درج فى الحفل من حلويات ـ الى منزل المعلم كما تبعث موائد اخرى من نوع الطعام ومامعه الى بعض أصدقاء الاب اذ يري المجموع فى هذا الطعام بركة وفضلا فى تناوله.

ثم يعطل المكتب يومين أو ثلاثة، وهذا مايهم الصبيـان والتلاميذ أكـثر من غـيره.

وأحيانا تقوم النساء بحفل مماثل عشية اليوم يجرى فيه مامضى صباحاً بحضور فقيهات(فقيرات) (٢) فيضعن على لوح الطفل دراهم تقدم للمعلم أيضاً. وربما حضرت زوجه كشرفة على ذلك. ثم العناية بهذه الحذقات وحفلاتها متقاربة فى جل مدن المغرب وعواصمه ـ ففي مراكش يحمل التلميذ لوحه الى المنزل

---

١) بهذه الكلمة المصطلح عليها والتي اصبحت فنية في الوسط

٢) سنتحدث عن دور الفقيرات بعد.

قبل الحفل بيوم أو يومين حيث يحاط بإطار من ثوب رفيع يتخذ من حرير أو مطروز به يكون كحرز للوح ووقاية من قبضه باليد مباشرة زيادة فى التعظيم.

وأحيانا تهيؤ فرس للمحذوق يركب عليها ـ قد يستعيرها البعض ان لم تكن فى ملك أهله من عامل البلد وباشاه مصحوباً ـ بأعوان يحاديان التلميذ حال ركوبه مروحين عليه بمناديل جميلة.

وبعد انقضاء الحفل فى نفس اليوم ـ تهيؤ أفراس لجماعة من كبار الطلبة وفى المقدمة المحذوق, فيركب فرساً عتيقة ويذهبون به الى زيارة ضريح أبي العباس السبتى فى حفل بهيج وأبهة فائقة تلفت أنظار السكان والمارة لروعتها البارزة والمشجعة على اقتباس أنوار الكتاب العزيز، ووراء الكل أصحاب الطبول والابواق فكلما سكت الطلبة من أناشيدهم وأدعيتهم المليئة ضراعة وإيمانا ـ يقوم أصحاب الطبول بنقرهافى أنغام ذات ذبذبات رقيقة حلوة،وأحيانا يجري الطلبة ألعابا على الخيول كما يفعل أبطال القبائل والبوادي فى الاعراس والمواسم والحفلات.

ومن القصائد الذائـع إنشادها فى هذه الحفلات القرءانية والتي يمتني التلاميذ بحفظها قبل الحفل بايام ـ القصيدة الشهيرة التي نظمها سيدي عبد السلام القادري المسماة : «التماس الرحمة فيما يقوله الصبيان عند الختمة» نصـها : (١)

---

١) وهى الى اللحن أمس منها بالموزون. (ولد الناظم القادري عام ١٠٥٨هـ وتوفى سنة : ١١١٠هـ)

احبينا يامحـــــد ❀ الصلاة على محمد ❀ طابت الجنة وفاحت
وبسر الخلد باحت ❀ ولها الانوار لاحت ❀ بالحبيب مولاي محمد
احبينا يامحمد ❀ الصلاة على محمد ❀ اعبقت مسكا وعنبر
واكتست دراً وجوهر ❀ وازددت حسناً ومنظر ❀ بالحبيب مولاي محمد
احبينا يامحـــد ❀ الصلاة على محمـــد ❀ يسرت للمومنين
أمة الهادى الامينا ❀ سعدهم من فائزين ❀ بالحبيب مولاي محمد
احبينا يامحـــد ❀ الصلاة على محمـــد ❀ أزلفت للمتقين
هم لها فى السابقينا ❀ فتحها حقا يقينا ❀ بالحبيب مولاى محمد
عرفوا منها قصوراً ❀ ونعـــيما وسرورا ❀ انزلت فيها بدورا
بالحبيب مولاي محمد ❀ ولهم كانت تمنت ❀ وبكل الشوق حنت
فرأتهم واطمأنت ❀ بالحبيب مولاى محمد ❀ ربي إنا قد دعونا
اعطنا ما قد رجونا ❀ ونفعنا بما تـــلونا ❀ بالحبيب مولاى محمد
وامح ذنبا قد أتينا ❀ واعف عما قد جنينا ❀ تب علينا تب علينا
بالحبيب مولاى محمد ❀ رب وفقنا وعـــلم ❀ ثم فهمنا وألهم
ثم بالرضوان أنعم ❀ بالحبيب مولاى محمد ❀ هب لمن قد كان أجرا
فى كتاب الله أقرا ❀ وفى بحر العلم أجرا ❀ بالحبيب مولاى محمد
رب واجعل والدينا ❀ فى نعيم خالدينا ❀ واسقهم حوضاً معينا
وارحم الاشياخ طرا ❀ ومن فى الكتاب اقرا ❀ رحمة دنيا وأخرى
بالحبيب مولاى محمد ❀ واغفر للمذنبين ❀ وجميع المســـلمين
بإلاه العالمين * بالحبيب مولاى محمد * صل يارب وسلم

ثم مجد ثم عظم * ثم اتحف ثم اكرم * بالحبيب مولاى محمد.
وعارضها سيدى حمدون ابن الحاج بقصيدة أخرى يقول فى مطلعها :
صلوات الله سرور * لحبيب الله أحمد * ذي البها والخلق الاحمد
خاتم الرسل محمد * من له الفتح المبين * والكتاب المستبين
وبه الحتم يزين * خاتم الرسل محمد *.

وبعد العطلة (التحررة) يفتح المسيد بابه لاستئناف الدراسة القرءانية بنفس النشاط او ازيد.

طريقة الدراسة القرءانية

يحضر التلميذ (لمحضر) [1] الى الكتاب فى الصباح الباكر وبعد التعوذ والبسملة يقرأ محفوظ اليوم (محايت) ثم يشرع فى قراءة لوحه الجديد وحفظ ماكتب من أسطر ـ ثمن حزب أو ربعه أو مايقدر عليه حسب مستواه معتنياً فى قراءته بالالفاظ ومخارجها مستغرقاً ساعة فأزيد، ثم يعرض على المعلم ماباللوح ـ بالجهر والترتيل، ولعرض اللوح واستظهاره أوقات معلومة. وكلما استظهر لوحه تقدم إلى الممحى (المحايا) فمحا لوحه بمائها الطاهر الذي يبدل أسبوعياً لمكان تغيره ـ فيراق فى بئر أو حديقة حرمة لما خالطه، ثم يبالغ البعض فيدهن به بل يحسو منه حسوات، وهذا ماتأباه قوانين النظافة وتمجه مصالح الصحة ـ لعدم تحفظ الصغار على نقاوته بمايعلق بأيديهم من أوساخ، ومايمكن ان يطرحوه بالممحى من أزبال وعفونات، ورغم هذا

---

١) الكلمة الجارية في الموضوع. تطلق على تلميذ الكتاب العتيق.

فقد عرفنا : ان المـاء هذا يحمل أحيانا للتداوى شربا ودهناً بالاخص للحوامل اللائي تعسر عليهن الولادة ـ وللنيات مفعولها الذى لاينكر ، والاعمال بها، ثم مايمحى من آي الكتاب يعرف (بالمحايا) يتأكد فى حق التلميذ ترداده وتكراره ليرسخ مضافاً الى ماسبق، فإذا يبس اللوح سطر بأسفل القلم بسطرة أو بلوح آخر مستقيم.

فى هذا الظرف يقال للتلميذ : أصلح قلمك القصبي، ومدادك المعروف (بصمق) فى اصطلاح المسيد وقد أشير اليه قبل ـ لانه المادة التى تمحى وتزول ويستطيع الطفل معها ان يكتب على لوحه يومياً مايطيق حفظه من آى ـ لا المداد المعروف بالسورى المركب من العفص والسواد والملك التي يشير اليها الكاتب :

(جزءان من عفص وجزء من سواد ثلاثة من علك تصلح المداد)

فهذا خـاص بالكتابة على الورق لدوامـه وعسر محوه، ولله در الاديب الوديد إذ يقول

عز المـداد بأرضكم ❀ فنسيتم حق الوداد
افطـال عهدكم بنـا ❀ أم قد بخلتم بالمداد

ويتأكد بل يجب ان تتولى الكتابة بيدك، والكتابة باليد تعد نصف الحفظ كما يقول الكتاب، ولاغرابة فقد كان بعض التلاميذ من أقوياء الحافظة بمجرد فراغه من الكتابة يستظهر لوحه ويعرضه.

كيفية الجلوس لدا الكتابة

حالته ان يثنى التلميذ رجله اليسرى ويضع لوحته على ركبته اليمنى قابضاً لها باليد اليسرى والقلم باليمنى وقد عقد كلا من الخنصر والبنصر، ثم يأخذ يكتب بالاستفتاء ـ من المعلم الذى يكون أمامه جماعة من التلاميذ قد يبلغون أحيانا العشرين، وقد اختلفوا فى السور والآي وهو يجيب كل واحد عما يطلب تباعاً لما كتب، نعم هناك جماعة من الحفاظ يكتبون من حفظهم، وهؤلاء يساعدون المعلم فى الافتاء لجماعة، ويحنشون للصغار ـ يرسمون لهم بمؤخر القلم بعض الآي ـ وقد المع الكاتب لهذا قبل.

ثم هناك دور الاستظهار والعرض للمحفوظ تخصص له أوقات كيوم السبت وهو من أشد الايام على الاطفال فى الكتاب، إذ يكون فيه المعلم أغلظ مايكون وقد حمل قضيباً أو قضبانا بيده، والتلاميذ يمرون بين يديه واحداً واحداً، وإذا ماعثر أو دهش أو اشكلت عليه آية باخرى ـ أرجعه إلى ماقبل فإن أصاب فذاك، وإلا ضربه ضرباً قد يشينه أحيانا وهو متشبث بالوصية الشائنة (قتل وندفن) وقد تقدم التلميح اليها، وإنها و يم الحق غلظة تتسم بنوع من الجهل والوحشية ـ قد أدت ببعض الاطفال الى الفرار والانقطاع وكراهة الكتاب والتعليم نهائياً ـ والعذر باد فى جانب المنقطع حيث يفقده هذا الجبروت صوابه، ويصبح الكتاب لديه أعدى مكان يراه فى الحياة، على ان هناك عذاباً أشد وأمر : هو اتخاذ المعلم الفلقة، التى هى عبارة عن هراوة غليظة قدر المتر يثقب وسطها ثقبين متباعدين يسلك فيهما

حبل متين يعقد طرفاه عقداً محكما ويرسل البـاقي كعروة تدخل فيها رجلا التـلميذ، ويقبض تلمـيذان على طرفى الهراوة ويأخذان فى ليها وشدها على الرجلين شداً لا يستطيع الغلام إفلاتهما فى هذه الساعة الحرجة. والحـالة الشوهاء ـ يشرع المعلم فى وضع سياطه ورفعه دون شفقة، والطفل يصيح لحـد يكاد يفقد معه صوابه، ومن المعلمين من يكلف بعض الكبار لاقامة الحـد إذا ماعيى ولم يشبع وحشيته من إتمام مأأراد من سوط ، شيء يفـوق فى بعض الاوقات الحدود المقننة شرعاً مع الجناة والمجرمين،إنها وحشية بنيت فى الحقيقة على الجهل بكرامة الانسان ، والجهل بقوانين التربية المسنونة لدا المربين وعلماء النفس.

ثم الحفاظ المشار اليهم آنفا يكتبون فى مؤخر اللوح بعض المتون العـلمية — عربية وفقهية وسواها من النصوص — كمقدمـة الاستاذ ابن آجروم والمرشد المعين، والالفية، والرسالة، ورجز ابن برى فى التجويد هكذا تأخذ هذه الطبقة من الحفـاظ تستعد لتلقى الدروس العـلمية التي ستغشي بعد حـلقاتها.

هذا علاوة على مايكتبه المعلم أسفل اللوح من نصوص تتصل برسم القرآن ومعرفة كتابة بعض كلماته التي قد تخالف قواعد الرسم المصطلح عليها عربية من حذف وإثبات،وإمالة وفتح ورسم أواخر الكلم بالالف تارة، والياء تارة أخرى، وربط التاء أو طلقها، وتسهيلا على طالب الكتاب وإتقان رسمه ـ حصروا بعض الكلمات بالعدد ـ كقولهم يوجد من هذه ثلاثة، ومن تلك عشرة، واضعين ذلك فى نصوص موزونة مرة وملحونة مرة اخرى.

واتباعاً لرسم المصحف العثماني قالوا : «خطان لا يتبعان أو لا يقاس عليهما :
١ـ خط المصحف ٢ـ خط العروض. من هذا قولهم فى رسم كلمة :
«لاتامنا على يوسف وإنا له لحافظون » من سورة يوسف الآية الحادية عشرة:

ياسائلا عن رسم لاتامنا والنون محذوفة قبل النونا
ونقطة الاشمام فاجعل بينهم فهكذا جا لا تخالف رسمهم

وأمثال هذا كثير، اذ عندما يكون المعلم يصحح ألواح الكبار ويجد غلطاً فى بعض الكلمات يبادر بوضع القلم عليه نازلا الى مؤخر اللوح مصلحاً له بقلمه الغليظ المعد للاصلاح قصد أن يظهر بارزاً يلفت نظر التلميذ الى التمكن من معرفة رسمه، وقد يتبع المعلم هذا الاصلاح بنص يكون كقاعدة تجمع شتات اللفظ المصلح وما يمت اليه بصلة رسمية حسبما جاء فى المصحف. وقدسئل العلامة عبد القادر الفاسي(١) عن هذا الاصلاح فأجاب : «ان نظر المعلم فى ألواح الصبيان وإصلاح ما فيها من خطأ لازم له . أما الكبار منهم فلا اشكال، وأما الصغار فليراضوا على ذلك . وتجرى ألسنتهم وكتابتهم على الصواب، لانهم اذا كبروا وربوا على الخطأ عسر زواله، وصعب تقويمه ». وفى نوازل الامام أبي القاسم البرزلى (٢) أنه سئل أبو محمد عن المعلم هل يلزمه أن ينظر فى ألواح الصبيان هل فيها خطأ فى الاحرف أم لا ؟ وكيف لو شرط المعلم أن لا ينظر فى ذلك ؟ فأجاب بما نصه

«يجب عليه أن ينظر فى ألواحهم وإصلاح مافيها من الخطأ، وشرطه عدم النظر خطأ لايجوز».

---

١) ت : ١٠٩١هـ ١٦٨٠م ولد ونشأ بالقصر الكبير ٢) ت : ٨٤٤هـ ١٤٤٠م

العنايـة بالرسم القرءاني

لمكانة رسم المصحف وفضل الاعتناء به : كتب فيه جماعة من الأئمة والفقهاء وعلماء الفن والاحصائيين فى القراءات، وافرغوا جهداًطيباًفى ترتيب ذلك وتنظيمه نظماونثراً، كما عنوا بالمخارج وصفاتها عناية خاصة. منهم الامام الشاطبي صاحب اللامية له :«عقيلة اتراب القصائد فى اسنى المقاصد» الشهيرة بالرائية فى الرسم مطلعها :

الحمد لله موصولا كما امرا مباركا طيبا يستنزل الدررا

ومنهم الاستاذ المقرىء محمد الجزري فقد ختم نظمه الموسوم بالجزرية، ببحث فى رسم هاء التأنيث فى المصحف الكريم ، ومنهم من كتب حول مخرج بعض الحروف — كالضاد والظاء والفرق بينهما — كابن مالك صاحب الالفية ، والتسهيل ، والمقصور والممدود وسواها صنف فى الموضوع ما سماه :«الاعتضاد فى الفرق بين الظاء والضاد». وكتب فيهما الاستاذ المقرىء : محمد بن عبد السلام الفاسي فى حاشيته على الجعبري وأطال النفس فى ذلك بما كانت نهايته ـ قوله ما معناه : ورغم هذا كله فلم أتوصل الى حقيقة الفرق ـ بينهما . بل قالوا : انهما يتعاقبان ـ يقال : فاظت نفسه تفيظ ـ مات ـ وناس من بني تميم يقولون : فاضت نفسه تفيض(١)

وممن كتبوا فى الرسم القرآني وعلومه : الدكتور صبحي الصالح، كما كتب الشيخ احمد بن مبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ أن النبي صلوات الله عليه — أمر الصحابة بالعناية بالرسم — ككتب الالف فى كلمة وحذفها

١) أنظر الجزء ١ من المزهر للسيوطي(ص ٥٦١ وما بعدها طبعة عيسى بابا الحلبي.)

فى أخرى ، وهذا يدل على أنه توقيفي ، وعليه الجمهور ، حتى قال الامام أحمد ابن حنبل — ان الخروج عنه وتغييره حرام ، نعم هناك بعض رجال الفن قال : انه اصطلاحي وهم قلة — منهم القاضي أبوبكر الباقلاني صاحب اعجاز القرآن، والانصاف وغيرهما ، وأيد هذا القول العز بن عبد السلام ؛ وللسجلماسي نظم فى الهمز وكيف يوقف عليه شرحه الاستاذ المقرىء عبدالرحمان المنجرة الفاسي.

ومن عنايتهم بفقر القرآن وفواصله ، مسألة الوقف على رؤوس الآي بل قالوا بسنيتها .

وممن اعتنى بذلك عناية خاصة ـ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي المولود سنة ١١٣٥هـ١٧٢٢م وعلى وقفاته التي وضعها للآي الكريمة جرى أهل المغرب ، بيد أنه وقع لـه شيء فى بعض الوقفات ، وقد كتب العلامـة الصوفى محمـد بن المهدي بن احمد الفاسي شارح دليل الخيرات ـ رسالة ضمنها أحكام تلك المواضع سماها : « الدرة الغراء فى وقف القراء » .

كما ألف فى الموضوع الاستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي تأليفاً مستقلا.

ومما لاحظه شيخنا المحدث السلفي المقرىء أبو شعيب الدكالي فى بعض دروسه بالزاوية الناصرية(١) مخاطباً الحاضرين خاصة الطلبة منهم قائلا : أيها الطلبة الراغبون فى فهم القراءة وأحكام القرآن ، ان الشيخ الهبطي ارتكب غلطة بل أغلاطاً فى الوقف تقديماً وتأخيراً بالاخص ما يسطر من الوقفات التالية، فالمرجو حفظه أو على الاقل تقييده ونشره ليكون نبراساً لمن يرغب فيه ، وذلك فى ثلاثة عشر موضعاً

---

١) بالرباط أثناء دراسة الشاطبية .

١) بسم الله الرحمان الرحيم الم ذلك الكتاب لاريب، وكان حقه أن يقول : لاريب فيه .

٢) وفى آية الكرسي ـ الله لاإلاه إلا هو، وكان من حقه أن يقول الحي القيوم كما هو الصواب.

٣) وفى حزب[1] ـ الله لا إلاه إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه .

٤) وفى آية يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا .

٥) وفى آية ـ فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل.

٦) وفى آية — يقولون سبعة وثامنهم كلبهم.

٧) وفى سورة طه — الله لا إلاه إلا هو له الاسماء الحسنى .

٨) وفى سورة الرعد — إنما يتذكر اولوا الالباب الذين

٩) وفى سورة الانفال — كما أخرجك ربك من بيتك بالحق

١٠) وفى سورة الكهف — واتخذ سبيله فى البحر عجبا .

١١) وفى سورة اليقطين — سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين.

١٢) وفى سورة القمر — بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر.

١٣) وفى سورة عم ـ يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون

قال الشيخ رحمه الله ينبغي للهبطي أن يقف فى المعوذتين — خمس وقفات فى كل من السورتين كما يلي :

---

١) من سورة النساء الآية ٨٧ .

١) بسم الله الرحمان الرحيم ـ قل أعوذ برب الفلق،من شر ما خلق،ومن شر غاسق إذا وقب،ومن شر النفاثات فى العقد، ومن شر حاسد إذا حسد .

٢) بسم الله الرحمان الرحيم ـ قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إلاه الناس من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس.

وهناك وقفات أخرى فى غير موضعها منها فى البقرة : كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف، فلفظ الوصية نائب فاعل كتب، وبه يتم المعنى الاسنادي. ومنها فى سورة تبت ـ سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد.

والذي يتحصل أخيراً وعليه القراء ـ انه ليس فى القرآن المبين وقف واجب أو محرم الا ما كان له سبب من الاسباب كما يقول المقرىء الجزري:

وليس فى القرآن من وقف وجب ولا حرام الا ما له سبب

على أن بعض القراء كحمزة بن حبيب الزيات ت ١٧٦هـ — ٧٧٣م فإنه لا يتقيد بوقف من الوقفات فيمكنه أن يتلو القرآن كله دون أن يلتزم وقفاً فى آية من الآيات الا اضطراراً، والا ما يمكن أن يؤدى الى ما أشير اليه.

لأعد الى ما ألمعت اليه سابقاً ـ ذلك أن البعض من الحفاظ الذين يكتبون أسفل اللوح بعض النصوص العلمية ، يسمح لهم المعلم بالخروج فى أوقات خاصة للحضور فى بعض الدروس الاولية من توحيد وفقه ونحو وما اليها، ثم يعودون الى الكتاب، ومن هؤلاء المستظهرين من لا يغادرون المسيد اذ هوايتهم الانكباب على تكرار الكتاب وختمه فينة بعد أخرى رغبة فى التمكن من تصفية كل ما يمكن أن يعترضهم حفظاً ورسما ـ والكبار من هذه

الطبقة قد يكون لهم مكان خاص بالمكتب يعرف ـ بالسدة ـ[1] فيه يدرسون القرآن ويحفظون المتون (الامهات) .

وقد يوجد فى صفوف المعلمين من لهم إلمام علمي ببعض الفنون : كمبادىء الفقه والنحو والحساب والتجويد فهؤلاء يقومون أحيانا باعطاء دروس للطبقة المتحدث عنها فى أوقات خاصة ، وأيام معلومة كالاربعاء وصباح الخميس بالاخص الحساب، وقد كنا ندرسه على بعض الاساتيذ كالاستاذ الميقاتي المعدل محمد المهدي متجنوش ، وكان فى بعض العشايا والتلاميذ على وشك الانصراف ـ يلقي أسئلة علمية فى النحو وغيره على نجباء المكتب كتدريب فى صورة اختبار لما يتلقونه خارج المكتب من دروس.

نعم اولئك الطلبة الذين يعكفون على الكتاب فى المسيد ـ كلما ختموا ختمة ، استأنفوا الكتاب الكريم ، ومنهم من يصبح فى الكتاب كمساعد للمعلم، ومنهم من يفتح لنفسه كتابا بإذن من قاضي المحل وواسطته حيث يجري بحثاً عن سيرته وحالته الخلقية ليقف على سلوكه فى الوسط ، اما الاستظهار للقرآن فحاصل .

الكتاب القرءاني اثنـاء رمضان

يتقمص المكتب القرءاني أيام رمضان حالة جديدة غير ماكان عليه قبل ـ فكبار التلاميذ يضعون الالواح (يمـلقونها كما يقولون) وفعلا تعلق فى مسامير خاصة يسلك فيها عود من خشب معوج الطرف كالمحجن يحمل

---

١) السدة بالضم لغة ـ باب الدار وفي الحديث : الشعث الذين لا تفتح لهم السدد .

ماشاء الله من ألواح. ثم ياخذون فى دراسة القرآن الكريم وتكراره متهيئين لاداء التراويح فى اختلاف المساجد، وحتى الصغار الذين استظهروا حصة من الكتاب يدربون بنفس المسيد على أداء التراويح بما معهم من محفوظ، وبين العشاءين يصحبهم المعلم الى المسجد الذى يؤم فيه كامام راتب أو يؤدي فيه التراويح أيام رمضان، ويقدمهم بعد صلاة العشاء لاداء التراويح بالمصلين بحزب أو نصفه، فإذا فرغ تقدم آخر برعاية المعلم، وقد يحضر أبو الطفل أو وليه رغبة فى رؤية ابنه أو قريبه يستظهر ءايا من الكتاب العزيز وقد تقدم للتراويح بها وخلفه جماعة من المصلين. انها ويم الله لحصلة حميدة يمرّن الصغار بها على أداء الصلوات وتمكنها من أنفسهم — فصادف قلباً خالياً فتمكنا —

ومن مظاهر رمضان التي تلفت النظر أكثر ويصبح المسيد معها — مدرسة فنية تعنى بالرسم وتهييء التلاميذ — لمايعرف بـ «اللاّ بيض» فتوقف ألواح الدراسة كما أشير إليه قبل — ويامر المعلم الصغار — ان ياتي كل واحد ببيضة(١) وحامضة — ليمونة — وقدر من الدراهم — لتزوق لوحته التي يدرس بها القرآن أو ياتي بورق سميك لهذه الغاية، ثم يشرع الفقيه فى تهيء أدوات العمل الفني، فيحضر الورق الابيض الجيد الذى يلصق بالالواح او ماينوب عنها، كما يحضر الالوان (الاصباغ) من أحمر وأصفر وأخضر وأزرق — لتحل فى دوايا خاصة ذات عيون تبلغ الواحدة أحيانا العشرة — كل لون يوضع

١) البيضة ومامعها لادخل لها في الادوات وإنما هى للمعلم خاصة فى رمضان الذي لابد فيه عادة من الحريرة وهى لا تستغنى فى خليطها غالبا عن البيض وماء الليمون تحسيناً يضفي عليها لذة طيبة.

فى عين وتسمى هذه الدواة «المجمع» يصنع من فخار بمعمل الفخـارة ويطلى بطلاء كالمقور (١) فى لون أزرق يعطيه رونقاً مع تزويق وترخيم جوانبه ونقشها، ويحضر كذلك مساطر وأقلام - كالمسطار (بكار) المعروف عندنا بـ (الدبد).

وبعد إيجاد هذه الادوات وتهيئها، يشرع كبار التلاميذ فى العمل - فيبدأون بتجليد بعض الالواح بالورق، وإثر جفافها ياخذون فى الرسم بالمسطار أو (الدبد) واضعين عليها أشكالا بديعة من التراحيم والتزويق الرقيق البسيط منه والمركب حسب مقدرة الرسام وباعه فى الفن، بل وابتغاء صاحب اللوح وطلبه، إذ هناك أنواع من الرسم، منها نوع يسمى (القصبـة) وهو عبارة عن رسم يحتوى أعمدة في طول إلى علو على صورة - مخروط - هندسي، ومنها المربع الذى ترقم جوانبه بتراخيم هندسية بداخلها بلاليط وتماريج فنية جـذابة وفى هذه الاثناء يكون بعض التلاميذ إزاء الرسامين قصد الاقتباس منهم والاخذ عنهم مايستطيعون الوصول اليه من فن الرسم الذى له مزيته فى شحذ الاذهان، وإذكاء العقول.

عقب هذا - ياتي دور التلوين وتناسب الالوان بعضها مع بعض فى الوضع حيث تجذب النظر وتلفته الى تنسيقها وترتيبها.

فى هذا الوقت يكلف الراسمون بعض التلاميذ بمساعدتهم على التلوين، ويصبحون وقتئذ كمدربين على الفن يتمرنون عليه بتلوين الالواح المعبر عنه فى اصطلاح الكتاب بـ «التمهار» بل منهم من يحمل المسطار بمجرد مشاهدته تسطير

---

١) المقور كمعظم المطلى بالقطران .

لوحة أولوحتين، ويجعل يرسم رسماً قدلا يفرق بينه وبين رسم الكبار من التلاميذ.

لذا تكون هذه الفترة من السنة التي تصادف شهر رمضان .. فترة ملحوظة فى الكتاب العتيق تساعد التلاميذ على التدرج الى ميدان الفن والفن الجميل الذى يذكى فيهم روح الترتيث والترتيب والتنظيم، ووضع الاشياء فى نصاب ونسق رتيب. وغير خاف ماللفن اليوم من عناية واعتبار فى النفوس والهيئات والمتاحف ـ مما أصبح له أبطال عالميون بما سطروه من ألواح زيتية فنية ـ نالت الاعجاب والتشجيع المشرف حيث يحصل .. رساموها على جوائز قيمة وأحيانا تشترى بأثمان باهظة لتعلق فى صدور الحجرات والقاعات رغبة فى ان تكون أمام الانظار والعيون تتملى من لحظة لاخرى بالنظر اليها.

لهذا يكون طلبة المكتب العتيق استيقظوا قبل سباقين الى ميدان الفن مقدرين قيمته ومزيته، ومعبرين عنه بريشتهم أحسن تعبير قبل ان يدرج فى حلبته أبناء العصر الجديد، وتظهر به المدرسة الحديثية كشيء مبتكر غريب.

وعندما تكاد عمليات الفن تشرف على الانتهاء ـ يطلب مدير المكتب ومسيره من التلاميذ : «حق اللوحة» للابيض،وفكها ليحملها الى منزله يوم ستة وعشرى رمضان (ليلة القدر المباركة) وحق العيد المعروف ـ بحق لعواشر ـ وعشية اليوم يطلق سراح التلاميذ حيث يقضون آخر رمضان وسبعة أيام من شوال ، فى راحة هى عطلة العيد .

ومما جرت به عادة الاطفال ـ أنهم ينشدون على لوحهم المزوق نشيداً طال العهد به، وقد لايعرفه ويسمع به النشء الجديد اليوم أوله : لال بيض بيض واعطن واحد البيض باش نزوق لوح لوح عند الطالب الخ . . نشيد ملحون

يشيد باللوح المزخرف والفن بالطبع فى توحيد وإيمان ببعض السمعيات كالجنة والتضرع اليه تعالى فى تحقيق المنى والرجاء اللذين يعدان فى مقدمة مطالب المسلم المؤمن.

مرحلة تهدف الى اليقظة

بينما نحن نعيش فى أخريات هذه المراحل العتيقة كما صورت قبل ـ اذا بالمغرب يبتلي بالاستعمار الفرنسي الذي سعى فيه بكل ما يملك من وسائل الخداع والمكر ـ فى تنافس مع غيره من الدول ـ فانعقدت بينه وبين المغرب ـ أيام المغفور له السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الاول قدس الله روحه ـ الحماية المشؤومة تاريخ ثلاثين مارس سنة اثنتي عشرة وتسعمائة و ألف (١٩١٢) ١٣٣٠هـ وساد الرقعة المغربية حزن عميق ما عرف المغاربة له نظيراً طوال ثلاثة عشر قرنا، فمنهم من غادر المغرب بنفسه وأهله حفاظاً على عقيدته، ومنهم من قبع فى بيته ولم يتجاوز فناءه إلى ان لقي ربه .

أما الفرنسيون فاحتلوا المغرب (فى صورة حماية) وأصبحوا فيه أصحاب الكلمة .. يبنون ويشيدون، ويفتحون المصالح والادارات، ويؤسسون المدارس هنا وهناك ـ لتعليم أبنائهم ـ وأبناء الوطن يحشرون بدورهم فى مدارس كانوا يفرون منها فرار السليم من المجذوم اذ كان الآباء والاولياء يشفقون على أبنائهم وفلذات أكبادهم من الالحاد أو التنصير والوقوع فيما حذر منه علماء الاسلام ومصلحوه ـ كابن الحاج صاحب المدخل ـ والشيخ النبهاني فى كتابه «ارشاد الحيارى فى منع أبناء المسلمين من الدخول الى مدارس النصارى» وغيرهما من رجال العلم وأحرار العقيدة ـ فكان لا يخالط

مدارس المستعمر فى الغالب إلا أبناء بعض الاثرياء، أو المنخرطين فى سلك إدارة الحماية ؛ وأحيانا كان الحكام الفرنسيون فى بعض المدن والقرى يضغطون على الآباء ويضطرونهم لادخال أبنائهم إلى المدارس الجديدة بل سجن البعض لامتناعه من بعث ابنه اليها

نعم كل ما كان يحذره هؤلاء ويفكرون فيه من بعيد ـ أدركنا بعضه يجري فى المدرسة الاستعمارية على العموم من بين فترة وأخرى ، فتبث سموم الالحاد فى نفوس النشء المسلم وقلبه المؤمن · فكان بعض المسيحيين من المدرسين كلما وجدوا فرصة للتلبيس وإدخال الشكوك على أفكار الاطفال والغلمان إلا وفعلوا غير هيابين ولا متورعين، ومعلوم تربويا أن التلميذ أمام الشيخ لا يسمه إلا الامتثال بل ما حضر المعهد إلا لذلك خاصة الصغار الفارغي البال الذين لا يتأثرون بشيء تأثرهم بما يتلقونه صباح مساء من المربي حيث لا يلبث أن يتمكن من نفوسهم، ويصبحوا وقد نشأوا عليه فى فجر الحياة ـ ويلمح فى هذا الظرف الاليم لهذا المدلول السيء بحديث (١) «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد بل شرعوا يرسلون الدعوات تلو الاخرى ضد المكتب العتيق ـ يتلبونه ويكيلون له المعايب والنقائص من ناحية جوهره وشكله — ضيقاً وظلمة ووسخاً — فضلا عن التشديد الذي يواجهه من المعلمين، والتعذيب الذى يحفزهم لاتخاذ القضبان والسياط بل وما معها مما

---

١) رواه أبو يعلى في مسنده، والطبراني والبيهقي عن الاسود بن سريع ، قال الشيخ حديث صحيح (أنظر جامع السيوطي.)

أسموه (الفلقة) ـ وقد لمح المؤلف لذلك قبل ـ مسترسلين فى التشويه والحط والتنفير من الكتاب بكل ما شاء لهم الخبث والحقد الشيء الذى أثر فى طائفة من الصبيان فكان البعض منهم يمر بالمساجد ويهزأ بالمصلين بل تجرأ أحدهم يوماً فرمى إماماً بحجارة وهو ساجد حتى صاح من الالم ، كما أن آخرين منهم يعيبون فقهاء الكتاتيب القرآنية ومعلميها، ويحكون أصوات العلماء أثناء دروسهم وما إلى هذا من استهزاء وسخرية بالاصفياء والمربين . ولم يقف الامر عند هذا الحد البغيض من تلقين النشء من أبناء المسلمين مبادىء الهدم للقيم والمبادىء فقد جاء فى صحيفة فرنسية عرفت بـ(لفج مروكان) تاريخ الجمعة ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٠ ـ مقال تحت عدد : ٦.٨٢٣ بقلم المفتش الفرنسي للمدارس الفرنسية ورئيسها العام المسمى «برن» ضمنه الكلام على الكتاتيب المغربية ونظامها وأحوالها ـ فأبدأ وأعاد فى التنقيص والتشويه والحط من سيرها مورداً كدليل على التشويه ما كان بعض المعلمين يستعمله فى التأديب كالفلقة التي كانت لا تستعمل دائماً وإنما تدرج وتحضر فى أوقات حرجة ملاحظاً على ذلك مما لا يصل إلى ما حاوله هذا المستعمر الحاقد ، كما لاحظ على المحاة (لمحي) ومائها الذي لا يخلو من تغير وتعفن ؛ نعم قد بسط المؤلف هذا المعنى فيما سبق مما يعد جوابا للكاتب الفرنسي فلا محل لتكراره . كما أنه تحدث عن حالة الكتاب وبنائه وتخطيطه النابي عن أسس الصحة من سعة وهواء وضوء ـ أشياء ضرورية الوجود فى المعهد. بيد أن هذا المعنى الذي رمى به لا يشمل كل الكتاتيب القرآنية وإنما يظهر فى بعضها على أن هذا البعض يوجد به محل علوي لجلوس الكبار

ـ يعرف بالسدة ـ يعطي للسيد انبساطاً وسعة تبعد كل ما يمكن أن يتوقع من أخطار يسببها الضيق وتزاحم الانفاس وانتشارها فى محيط الكتاب. وقد ألمع المؤلف لهذه النقط التي عرضها الكاتب الفرنسي فى مقاله ـ فى كلمة حررها آنذاك ـ لا تزال محفوظة فى خزانته

ثم لا عجب ان يصدر هذا الحط من معمر فرنسي ينشر لواء لغته فى بلد مسلم خدمة لمبادئه وأداء لواجب قومه ودولته، إذ نجد المرحوم الاستاذ(١)

١) كان من خيرة الوطنيين الذين أبعدوا سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف (١٩٣٧) إلى صحراء تافيلالت وعذبوا عذابا شديداً إلى أن مات شهيداً تحت السياط يوم ثاني عيد الفطر سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م رحمة الله عليه، تلك السنة المشؤومة التي مثل فيها الاستعمار الفرنسي أشنع أدوار التنكيل والتعذيب والتقتيل، كان من الادباء المطلعين وهو صاحب رواية : «اليتيم المهمل» الممثلة فى بعض مدن المغرب كالرباط.

أبنه بعض الاخوان بالقصيدة التالية :

ربما غالـــــه الردى ... وهو فى السجن مرهن
لم يشيع بدمعـــــة ... من حبيب ولا سكن
ربما ادرج الـــــترا ... ب سليبا من الكفن
لست تدري بطاحها ... غيبته أم القـــــرن
لا تقل أين جسمه ... واسمه في فم الزمن
انه كوكب الهدى ... لاح في غيهب المحن
أرسل النور فى العيو ... ن فما تعرف الوسن
ورمى النار فى القلوب ... ب فما تملك الضغن
أي وجه تهلـــــلا ... يرد الموت مقبـــــلا
صعد الروح مرسلا ... لحنه ينشد المـــــلا
انا لله والوطـــــن

فاس أنا

عضو نادي الشباب العربي

(عن جريدة الزهرة التونسية ٧ حجة ١٣٥٦ ـ موافق ٨ فبراير ١٩٣٨ عدد : ٩٤٦١م من سنتها ـ ٥٠ .)

محمد القري يغلو في الحط مبالغاً فى وصفه المعهد العتيق (المسيد) وخريجيه بالفاظ نابية سافلة ، إذ قال أثناء ترجمته لنفسه كما جاء فى الجزء الثاني من الادب العربي فى المغرب الاقصى ص : ٤٤ لجامعه الاديب محمد بن العباس القباج الرباطي : لم يشأ والدي أن أكون كاولئك (يعد وصفهم) فالتزم أن يربيني بنفسه ويعلمني فى داره فى بيته لا فى مكتب من المكاتب التي لا يتخرج منها إلا السفهاء والسفلاء ، وان تخرج منها نادراً أحد ـ فقصارى ما يحفظه بها بعد أن يقضي مترددا عليها أزيد من عشر سنين ـ القرآن فقط

هذا ما دفع جماعة من فقهاء الكتاتيب لاستنكار قولة السيد القرى فلم تلبث أن اتصلت بالمؤلف رغبة منها فى القيام بالرد عليه، وبالفعل لبي الرغبة وكتب مقالا فى الموضوع ـ كتقريظ للكتاب الجديد من نوعه وقتئذ ومناقشة الشاعر القرى على حملته الشعواء ضد معهد الدراسة القديم ، وحفظاً لامانة التاريخ أثبت بعض فقرات منه ـ ١٣٤٧ ـ ١٩٢٩ (١) ظهر فى عالم التأليف كتاب يدعى : الادب العربي فى المغرب الاقصى فى جزئين لمؤلفه ـ الاديب محمد بن العباس القباج احتوى بعض شعراء المغرب ازاء تراجمهم مزينة برسومهم وذكر قصائد من منتخبات أشعارهم

وجعلهم طبقات ثلاثا مثبتا تراجمهم بأقلامهم بيد أنه قد اضطر الى اختصار بعضها مرغماً ، غير أن هناك بعض الادباء أخذوا عليه اثبات تراجمهم كاملة فتنازل لمساعدتهم مع علمه أن فى بعضها مبالغات ومخالفات لاسلوب الكتاب ـ من ذلك ترجمة الاديب محمد القرى الفاسي المثبتة بأكملها فى

---

١) نشر المقال الكامل بجريدة النجاح الجزائرية في تاريخه .

الجزء الثاني من الكتاب. صفحة ـ ٤٤ ـ تحدث فيها عن حياته من أول نشأته قائلا : « ان والدى قد اعتنى بي أشد اعتناء فأجلسني للقراءة بين يديه فى السنة الخامسة من عمرى، وصار يلقي علي كلمات من القرآن ، ويعلمني حروف الهجاء تدريجياً الى أن تدرب لساني على اخراج الحروف من مخارجها المعروفة ، وانطلق لساني من كل عقدة ولثغة تكون فى الصغار غالباً بسبب اهمال والديهم اياهم كما أهملتهم الطبيعة فى ابان طفولتهم، واعادة الالفاظ التي نطقوا بها محرفة تلذذاً بها وبسماعها منهم كذلك ، واطلاق السراح لهم ان يتكلموا بما شاء وابل ربما دربوهم على الوقاحة والسباب والحط من اقدار ذوى الاحساب والانساب، وحتى قدر والديهم انفسهم رغبة فى ارضائهم ، وتنازلا مع احلامهم الى ان قال : لم يشأ والدى ان اكون كاولئك الى آخر ما اشير اليه فى العبارات قبل محطما طبقات تكونوا فى احضان الكتاب العتيق وتخرجوا فيه ـ كاقطاب وائمة فى شتى العلوم والمعارف التي قد يكون من بينهم والده وبقية اشياخه ـ كالمرحوم الاستاذ محمد بن العربي[1] انما كان على الكاتب القرى ان يطرق موضوعاً كان التعليم العتيق فى امس الحاجة اليه ـ هو اصلاح معاهده وتنظيمها، والتخفيف من الحقبة الطويلة التي يقضيها التلميذ بين جدرانه خاتماً وفاتحاً الكتاب العزيز مرات ومرات مع الاستظهار التام ، والالمام بالرسم وقواعده — وقتا كان اكيداً ان يفرغه الطالب

---

١) تولى وزارة التاج أوائل الاستقلال ـ وقد كان أيام الحماية رئيسا للاستيناف الشرعي ، ثم وزيرا للعدل حيث اخر عنها سنة ١٩٤٤ في حوادث المطالبة بالاستقلال : ١١ يناير سنة ١٩٤٤ . وفي سنة ١٩٥٣ لما ابعد محمد الخامس ـ نفي إلى سوس ـ

فى طلب العلم وحفظ متونه، والتضلع فى وسائله وآلاته ـ دنا وفى ميدان هذا الحقل كان فى امكان الشاعر ان يكتب ويحرر ما يسير بالكتاب الى حيوية ويقظة ينفضان عن جوه غبار الوقوف والانكماش فى ابتعاد عن التقدم والتجديد الى آخر المقال .

ثم بعد مناورات فرنسا وما كانت تلعبه من أدوار بواسطة مدارسها ومعاهدها المنتشرة هنا وهناك، وادخال حصة للغة العربية لاتكاد تذكر احتوت سوراً قرآنية ومبادىء أولية ديناً وعربية—أخذ المغاربة يفكرون فى وسائل انقاذ النشء من براثن المدرسة الاستعمارية، وتعليمه تعليما صحيحاً روحه الاسلام الحق ـ فجعلوا يفتحون معاهد للتعليم وكتاتيب قرآنية نظامية أطلق عليها فى ستار (مدارس حرة) حذرا من تعرض المستعمر الغاشم الذي كان واضماً رقابته الصارمة على التعليم الاسلامي لما يعلم فى مبادئه من تبرم وامتعاض ضد كل تصرفاته أيا كان نوعها، لذا أجدني مضطراً لاعرض الى هذ االتعليم ونشوئه فى اقتضاب.

جولة في التعـليم الحر

بعدمـا استعمرت فرنسا المغرب الاقصى أو حمته ـ كان من أهدافها الاساسية فتح المدارس ونشر التعليم الابتدائي الفرنسي بـ مدارس أعدت لمقـاومة مبادىء الاسلام الصحيحة، حيث كان الطفل المغربي يستغرق فى الفرنسية نحو الخمس ساعات فى اليوم، وساعة أو نصفها فى لغته ما بين قرآن ودين ولسان، وكان المغاربة لتلك المعاملة الاستعمارية السيئة ـ لايقبلون على هذا التعليم بانشراح واطمئنان ،نم مامر على هذه الحالة السيئة عشر سنوات.

ـ حتى أخذ أبناء المغرب وبعض أحرارهم فى المقدمة ـ يفكرون فى إنشاء مدارس ترمي فى نظامها الى مدارس فرنسا بعد مايئسوا من بعث أبنائهم إلى الشرق وأوربا، ثم مادقت ساعة سنة ١٩٢٠ حتى قوى هذا العزم واشتد الاندفاع من بعض المواطنين ـ بفاس والبيضاء والرباط ـ لانشاء مدارس، فبفاس المدرسة الناصرية التي كان على رأس مدرسيها الاستاذ محمد بن العربى العلوي، والاستاذ محمدغازى، والفقيه عبد السلام السرغيني. وكان فيمن درس فى أبهائها : الاستاذ علال الفاسي.

وبالرباط ـ مدرسة والزهراء التي كانت تسيرها هيأة على رأسها الوطني المرحوم الحاج الفاطمي بركاش، والحر المعطي بوهلال.(١) ثم مدرسة الزاوية المباركية التي كان يديرها الفقيه محمد بن أحمد بناني الرباطي. (٢) والمدرسة الكتانية. وكان يديرها الفقيه الصديق بن محمد الشدادي. ثم المدرسة المعطوية والغازية التي استبدلت أخيراً بمدارس محمد الخامس. وبالبيضاء مدرسة النجاح للمحسن عكور بللاتاجة التي كان يديرها الاديب الشاعر ج محمد بن اليمني الناصري الذي استوطن الحرم المدني وبه ت : ١٣٩١هـ ١٩٧١ (٣) ومن المدارس المنشأة بالرباط : مدرسة «الحياة» بالزاوية

١) تعرض المؤلف لنتفة من حياته في رحلته السطاطية أو السكيرجية.
٢) هذه المدرسة كان المؤلف يعمل فيها كاحد مدرسيها.
٣) كان يتردد على زيارة هذه المدارس عدة شخصيات علمية ووطنية قصد التشجيع وإذكاء روح التنافس في النشء الصاعد ولاتنسى القصيدتان اللتان أنشأهما شيخنا محمد المدني ابن الحسني في كل من مدرستي ـ والزهراء ـ والمدرسة الكتانية بالرباط، مطلع القصيدة اليمية التي ألقيت فى الحفل المقام بالمدرسة الكتانية :

بنى قومي افيقوا من منام ❁ وجدوا فى المعالي باهتمام

ومطلع القصيدة البائية التي ألقيت بالمناسبة على تلاميذ مدرسة «والزهراء» :

ابناء قومي اليكم ترسل الخطب ❁ ونحو حيكم تسلسل الكتب

المعطوية وكان يسيرها الاستاذ الحاج محمد بن اليمنى المذكور، وعندما رأى مخايل التضييق تخلى عنها لاخيه الاستاذ محمد المكي الناصري.

بيد أن حكومة الحماية أخذت تنصب العراقيل والحواجز لطمس هذه البذور الثقافية الاولى التي أصبحت تراها كعرقلة لسير سياسية مدارسها الاستعمارية بالمغرب، وإذ أدرك المغاربة خاصة المخلصين منهم مرمى هذه السياسية وفى قوة ـ مالوا الى سلوك الحكمة فى تسيير هذا التعليم الجديد فى نوعه ونظامه.

ومن دواعي التأييد وتحقيق متمنيات المغرب الغالية ان هيأ الله تعالى له قائداً هو محمد الخامس طيب الله ثراه فجلس على عرش أسلافه الكرام، وكلـه حيوية ويقظة للسير بشعبه الى الغاية المنشودة عكس ماكان يقدره الاستعمار فيه قبـل.

إذ وافى الوقت لوضع لبنات للمغرب وانهاضه النهوض اللائق بمجده وسيادته — فأخذت بعض المعاهد القرآنية تستيقظ من سباتها، وتطمح لادخال نظم جديدة على سيرها — مما تكون فى حظيرته مدارس حرة قامت بأداء رسالتها نحو القرآن والدين واللغة، كما أصدر العاهل المغفور له ظهيراً فى تنظيم الكتاتيب القرآنية والعناية بها والزام أبنائها بدراسة الاجرومية والرسالة تنويراً لاذهانهم، وتهييئهم فى نفس الوقت للانخراط فى التعليم الاعدادي فما بعده.

وقد صدر بهذا منشور من رئيس الوزراء (الصدر الاعظم) ـ حسب اللقب المعطي له قبل — سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة والف موافق

(١٣٦١هـ) أثناء الحرب العالمية الثانية (١) نصه :

الحمد لله وحده ـ «العلم كنز صلاح لانفاد له ـ ولا حياة بغير العلم للبشر .ـ» هذه حقيقة صارت من الضروري لدا كل أحد، فلا حاجة اذاً الى إعادة ماهو من باب تحصيل الحاصل، إذ كل يتحقق مزية العلم وفضله، وإنما نذكر اليوم منقبة أخرى لجلالة سلطان البلاد المفدى، فى سبيل تعميم نشر العلم، فقد أمر نصره الله بتعيين خمسين من العلماء يقسطون على البلاد المغربية ينوب كل واحد منهم ماينـاسبها

ففي الدار البيضاء	٥	وادي زم	١
الرباط	٤	خريبكة	١
مكناس :	٤	أزمـور	١
سـلا :	٣	سطـات	١
وجدة	٣	ابن الرشيد:	١
تـازة	٢	المذاكرة	١
الجـديدة	٢	الزيـايدة	١
أسـفي	٢	فـضـالة : (٢)	١
السـويرة	٢	القنيطرة :	١
تزنيت	١	وزان	١
تارودانت	١	زرهون	١
أكادير	١	صفـرو	١

١) المشتعلة نارها اوائل شتنبر سنة ١٩٣٩. والواضعة اوزارها سنة ١٩٤٥.
٢) المحمدية حاليا.

امزميز	١	تاوريرت :	١
دمنات	١	كرسيف :	١
بني ملال	١	العيون	١
أبو الجعد	١	بركان	١
	١٦		٣٤

المجموع ٥٠

ويقوم هؤلاء العلماء بإلقاء درسين فى كل يوم - أولهما بعد صلاة الصبح، والآخر بين العشاءين، وذلك فى مبادىء النحو بالمقدمة الاجرومية، وضروري الفقه بالرسالة، فالاول يمكن به لكل من يحضره أن يثقف لسانه، ويتدرب بذلك على مزاولة مايريد من العلوم. والثاني تلقن به الامة جمعاء إن شاءت ضرورى علوم دينها، ويمكن للصبيان الذين يزاولون حفظ القرآن فى الكتاتيب أن يحضروا هذه الدروس ليتدربوا بها على ما هو أعلى، على أنهم إذا لازموها واكتفوا بها ليزاولوا بعد حرفة من الحرف يكون مايتلقون هناك حلية كافية فى دينهم ودنياهم.

ينفذ لهؤلاء العلماء مرتب أشبه مايكون بصلة يستلمونها فى رأس كل ثلاثة أشهر لان الدرسين الذين يقومون بهما لايمنعان من يلقيهما من تعاطى مهنة أخرى كالعدالة وغيرها، على أن هذه إنما هى خطوة أولى ونعمت الخطوة هى. فكل مشروع يبدو صغيراً ثم لايزال ينمو بالتعهد والعناية حتى يصل إلى درجة الكمال. مزية لعمر الحق يخلدها التاريخ فى صفحاته الذهبية بل منقبة يصول بها عهد الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

هُكذا تُخطط المشاريع وهكذا تنشأ وسائل التقدم إذ لا تقدم بغير حفظ اللغة والدين فهو رحمه الله ما علم وسيلة من الوسائل إلا قررها وأمر بإجرائها. وحث الواقفين عليها بالتعهد حتى تنجز على أحسن الطرق آتية بالنتائج المتوخاة منها.

ثم بعدما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ـ جد المغرب وراء ملكه فى هذا الصدد، ووضعت أحجار لمدارس جديدة، وفتحت أخرى فى فى جل أنحاء المغرب، وتقدم التعليم الحر خطوات بعيدة ، وسعى حثيثاً لتأسيس فروع ثانوية ـ أطلق عليها مدارس تكميلية تفاديا من عراقيل المستعمر الغاشم، ومازالت عدا بضع سنوات حتى تكونت شهادة ثانوية أحرز عليها فوج كبير من أبناء المغرب — تابع جلهم دراساته بالشرق وأوربا، هذا فضلا عما قام به التعليم الحر بهذه البلاد من خدمات حتى كان جل معلمي المدارس ـ الرسمية (الاستعمارية) من متخرجيه، بل لولا التعليم الحر ومعاهده ـ لكان القضاء على اللغة العربية ومبادىء الاسلام الصحيحة.

وإثر جهود جبارة ومصابرة ـ حصل هذا التعليم على إعانة ضئيلة من ميزانية الدولة سنة ١٩٥٠م.

العود الى الحديث عن الكتاتيب

لأعد إلى الحديث عن الكتاتيب القرآنية (أو التعليم الاولى بتعبير أصح) التعليم الذي يعد الاساس الاصيل فى التقدم واليقظة ـ لهذا المعنى وإليه بالذات أعاره الشعب اهتماماً بالغاً. وسانده ملكه المرحوم محمد الخامس فأصدر ظهيراً شريفاً مؤرخاً بسابع شوال عام ١٣٥٦ هـ الموافق سنة ١٩٣٧ م

اشتمل على فصول فى تنظيم الكتاتيب القرآنية بالمغرب ، والأشراف عليها ، وتحسين أحوالها طبق الظهير الصادر فى ذلك. وحرصاً على سيره سيراً مجديا ـ وضعت عليه مراقبة تلاحظ خطواته فنياً وإدارياً.

وهانص بعض فصول القرار الوزيرى المتعلق بمراقبة الكتاتيب الفصل الرابع ـ يقوم بمراقبة المسايد سواء الموجود منها الآن أو الذي سيفتح فى المستقبل : المندوب بالعلوم والمعارف الاسلامية بمعونة مراقبين يقع تعيينهم بعد المصادقة من طرف الجلالـة الشريفة.

الفصل الخامس ـ تجرى المراقبة على طريقة التعليم القرآني وعلى ترتيب برامج التعليم، واختيار كتب الدراسة، واجتهاد المدرسين، ومواظبة التلاميذ، وبصفة عامة على كيفية تمشي المسيد سواء من الوجهة الاخلاقية أو التعليمية، أو من الوجهة الصحية والمادية.

الفصل السادس ـ يحرر المراقبون بعد كل تفتيش يقومون به ـ تقريراً مبيناً لشهاداتهم يسلمونه المندوب بالعلوم والمعارف الاسلامية الذي يقترح بحسب نتيجة مابالتقارير ـ مجازاة أو معاقبة المدررين أو المدرسين.

الفصل السابع ـ يمكن بصفة مجازاة ـ توزيع جوائز مالية فى كل سنة على المباشرين للتعليم بالمسايد، ولا يمكن ان يتجاوز مقدار هذه الجوائز خمسمائة فرنك لكل شخص، وتمنح هذه الجوائز بقرار وزيري باقتراح من مندوبنا فى المعارف والعلوم الاسلامية بعد استشارة مستشار الدولة الشريفة،(١) وذلك ضمن حدود الاعتمادات المالية المقيدة فى الميزانية الى

---

١) احد الفرنسيين الموظفين بالادارة والواسطة بينها وبين الملك وحكومته.

آخر مابالفصل. وان هذا الالتفاء المولوي ـ ليكون بطابعه الشريف وحدة في التعليم الابتدائي أساسها الانتاج المنتظر.

وقد أتى هذا التنظيم بثمرة لاتنكر اذ كان سبباً قوياً في تطور التعليم وتقدمه بماأصبحت له عدة كتاتيب قرآنية، مدارس حرة تطبق برنامج قسم دراستهم التعليم المقرر بالمدارس المنظمة، بل خطا بعضها خطوات حسنة فأنشأ تعليما ثانويا أخذ يعطي ثمراته، ويكون عدة طلاب غادروا المغرب لاتمام دراستهم بالشرق العربي(١).

من التقارير التي كان المؤلف كتبها بصفته مفتشاً وقتئذ للكتاتيب بتاريخ رجب ١٣٣٥-١٩٤٦ التقرير التالي :

أجري تفتيش على كتاتيب الرباط فكانت النتيجة كما يلي : ان فقهاء الكتاتيب القدماء — لا يزالون — متشبثين بالطرق العتيقة الا قليلا منهم تأثر بالتعاليم الجديدة فأخذ يسعى في تحسين طرق التلقين كاعطاء حروف الهجاء للصغار تدريجياً حرفاً أو حرفين في اليوم في تكرار وتلوين منشطين مع العناية بتلقين النشء دروساً أولية في مبادى الدين كاثر من آثار السنة التي سنها المرحوم محمد الخامس ـ لتلاميذ الكتاتيب القرآنية — كالاجرومية — والرسالة — وان كانت تلك الدروس قد اندرست في جل المدن ولم يبق لها ذكر، وكم نادى المؤلف ملاحظا في هذا الشأن ولافتا انظار القضاة ليمدوا يد المعونة، لكن :

(لقد اسمعت لو ناديت حيا ❀ ولكن لا حياة لمن تنادى)

نعم هذه الكتاتيب القرآنية لا يمكنها اعطاء النتائج المنتظرة الا اذا

---

١) اشير الى هذا المعنى آنفاً .

حسنت أساليبها، وطورت حالتها بادخال نظم جديدة على وضعيتها الحالية كي تصبح فى صف الكتاتيب العلمية الحرة ، وبذلك تستطيع أداء رسالتها المنتظمة على ضوء برامج مندوبية المعارف، وفعلا أخذ هذا الامل يتحقق بمشروع الشهادة الابتدائية العربية الدينية التي أحدثها محمد الخامس قدس الله روحه لتلاميذها - إذا كانت غاية نبيلة جعلها التلاميذ نصب أعينهم، فأخذوا يعملون مجتهدين بجد ونشاط. غير أن النتيجة كانت بالرباط هذه السنة غير سارة، ويبدو أنها ناشئة عن تراخ فى الدراسة، وعقم فى الاسلوب، وانحلال فى الادارة لاسيما فى الغازية وفروعها التي لم يعثر المفتش أثناء دورته الاخيرة على مديرها وقائد فى مركز من مراكز إدارته التعليمية الخمسة ، وهذا شيء بطبيعته يفت فى سير المدرسة سيراً مرضياً تلمس آثاره بعد — بل اطلع على دفاتر مصححة من الفرع الكائن بزنقة «سيدي أبي العباس الكراري (١)» فوجدها مشوهة - قلب وتصحيف يدلان فى وضوح على تفريط و أداء الواجب وقلة العناية.

وعليه فالمفتش يأمل من المندوبية أن تلفت نظرها نحو هذا التراخي المسف والمؤذن بضعف النتائج فتعمل على بعث الهمم بما لها من تعاليم صالحة، وإرشادات مقبولة توجه لكل المديرين كي يجددوا العزم والنشاط فى القيام الجدي بالادارة لتسير سيراً يضمن النتائج المنتظرة.

وعلى العكس من هذا فقد سر المفتش بسير «المدرسة المحمدية» التى يديرها الاستاذ هاشم العلوي لا من ناحية نشاطه الاداري ووقف أوقاته على تمشي المدرسة والسهر على سيرها، ولا من ناحية المدرسين المطبوعين بطابعه ونشاطه.

---

١) الواقع بشارع السويقة من الرباط

كتاتيب قرءانية خاصة بتعليم البنات

لم يقتصر التعليم الاولي بالمغرب على الاطفال بل كانت هناك كتاتيب لتعليم القرآن عرفت بدور الفقيرات أو (الفقيهات) كن يعلمن فى دورهن حيث يخصصن حجرة او حجرتين من بيوتهن للتعليم صيانة لهن عن الخروج الى أمكنة عامة ـ كمساجد الاطفال ـ فكانت البنت بهذا المعهد تتلقى مبادىء — القراءة والكتابة وسوراً من آى الذكر الحكيم، ومن فينة لاخرى تأخذ مبادىء أولية دينية فى الطهارة والصلاة وغيرهما من تعاليم الشعائر الاسلامية. ومن شهيرات الفقيهات التي عرفناهن بالرباط :

الزهرة تدلاوية، وأختها السعدية بشارع بوقرون، وعائشة تدلاوية كذلك بشارع السويقة درب جامع قورية[1] وخديجة ناصرية ـ بشارع بوقرون قرب فرن الزيتونة، وأختها زينب بتحت الحمام درب بناني كان أبوهما عبد المالك الناصري مدرساً (معلم صبيان) باحد كتاتيب الرباط بشارع سيدي فاتح، ومنهن أم الغيث الازرق بنت الفقيه المدرس محمد بن الجيلاني الازرق — بمنزلها الواقع بدرب والزهراء قرب شارع بوقرون، وخديجة قديرية — بدرب الزبدي قرب سقاية ابن المكي كزوجها المدرس بكتاب تحت الحمام وبه ابنه اليوم، والسيدة آمنة طرارية بشارع الجزاء محمد الخامس اليوم.

وفى مقدمتهم حبيبة مكية بشارع بوقرون قرب زاوية سيدى قاسم — التي طورت مكتبها وأدخلت عليه تحسينات وتنظيمات بل تابعت برنامج المدارس الابتدائية الحرة مستعينة بعدة مدرسين كانوا يساعدونها على تطبيق

١) بهذا الدرب كانت سكنى المؤلف الجراري وبه ولد.

البرنامج لغاية أنها كانت تقدم بعض الفتيـات لامتحان الشهادة الابتدائية، وكان النجاح يحالف بعضهن أحيانا.

هذه الحالة فى عمومها توحي الينا فى جلاء – أن البنت المغربية لم تكن مهملة إهمالا يصل الى الحد الذى يلصق بها فتوصف بالجهل الشائن. بل كان الفتيات أثناء هذه الدراسة الاولية ـ يأخذن بعض تعاليم بيتية منزلية ضرورية المعرفة للمرأة داخل البيت الذى ستصبح فى يوم قريب ربته.

دور المعلمـات

كانت إزاء هذا التعليم الاولى للبنات بدور الفقيهات ـ تعليم صناعي هام فى طرز والرقم والرسم ـ رسم المناديل والخرق ـ المعبر عنه ـ بالكتابة ـ تكتب المعلمة فى البداية خرقة بين يدي المتعلمات يعبر عنها بالتلقة ـ قطعة من ثوب.. كتان كمرزاية ـ إما بالزواي أو بكير نوع من الخيط ـ بعد هذا ينتقلن الى الطرز.. طرز ما كتب ورقمه بالحرير الملون، فيرقمن ويطرزن المناديل والسير، وكان البعض منهن يتعاطى نوعاً من هذا المعنى عرف : «بالسلتة» تعمد الفتاة الى القطعة فتسل خيطاً وتضع مكانه آخر حريرياً ملونا بألطف طريقة حيث يصبح المنديل وقد جدول مربعه وإطارة بألوان فنية جذابة بما يعلوها من رقة فى الصنع ودقة فى العمل.

وكن كذلك يصنعن تشامير النساء يتخذنها لرفع الثياب قصد الخفة والسرعة فى العمل كما تهدف المادة لذلك، ويعرف التشمير فى بعض الاوساط ـ بالتخميل ـ كانت الفتيات يتفنن فى صنعه وتلوينه بألوان جذابة حلوة

ورغم اشتغال هؤلاء البنات بهذه المهنة الرقيقة ـ كن يتلقين أحيانا سوراً قرآنية بطريق السماع كالفاتحة للضرورة الملحة فى معرفتها

وإلى القارىء بعض الدور ومواقعها وأسماء النساء اللاتي كن يعملن كمعلمات لهذه المهنة التى عرفها المغرب منذ عهود بعيدة ، فلم تكن فرنسا منشئتها بمدارسها الصناعية الجديدة المبثوثة فى أطراف المغرب : ١) المعلمة كريشبّ بشارع تحت الحمام درب سيدي بو بركات. ٢) رحمة مرسية بنفس الدرب · ٣) عائشة شياظمية ـ قرب الزاوية القادرية. ٤) آمنة كزوليطة بشارع سيدى فاتح أمام زنقة الدورة : ٥) حبيبة غربية بشارع بوقرون . ٦) عائشة جبرية قرب ضريح المولى ابراهيم : ٧) اختها يامنة بشارع تحت الحمام. ٨) زانو صالحة بحومة سيدى بلعباس قرب السويقة ٩) أم كلثوم سلايطنة ـ بدرب العنق زنقة مولاي ابراهيم. ١٠) يامنة فخارة بشارع سيدى فاتح · وغيرهن من المعلمات ممن لا أطيل بذكر أسماءهن .

هذا وكانت هناك دور أخرى للغزل والنسج ـ نسج الزرابي الرفيعة والشهيرة فى الداخل والخارج بجودتها وإتقانها وحسن تخطيطها وتلوينها الفني الرائع الشيء الذى كانت تصادف معه اقبالا زائدا فى أسواق أوربا كفرنسا،بل اندفع بعض الاجانب لذلك لجعل يقلدها فى النسج والتخطيط رغبة فى الرواج والاقتناء الذى صادفته مما كاد يؤثر كساداً على أسواقها الوطنية بالمغرب (١).

---

١) إنها خيانة واضحة ؛ وقد انتقلت هذه الصناعة إلى تطوان بواسطة المرحوم الحاج

ثم ما ألمع إليه المؤلف فى هذه العجالة حول تعليم البنت وتعاطيها بعض المهن اللطيفة لم يكن شيئاً خاصاً برباط الفتح (عاصمة المغرب حالا) بل كان عاماً فى مدن المغرب وقراه بالاخص الغزل ونسج الزرابي ، والكسي الرفيعة (البزيوية والسلاسية) والجبب المتينة الصوفية وغيرها .

تعليم البنت تعليما جديدا

من الواضح ان من مرامي حكومه الحماية الفرنسية ـ أنها كانت تسعى لنشر الثقافة بشتى الوسائل بالمدارس بالاندية بالمحاضرات ـ لهذا ارتأت ان تفتح باب المسامرات باللغتين ـ الفرنسية والعربية بالمعهد العلمي بالرباط.

ففى عشية يوم الاثنين ٢٢ دجنبر سنة ١٩٢٤م موافق ٢٥ جمادى الاولى عام١٣٤٣هـ وقع الافتتاح الرسمي فى حفل بهي رهيب حضره المقيم

= عبد السلام بنونة الذي تولى احدى الوزارات للخليفة السلطاني بالشمال، فقد استورد من الرباط معلمات للنسج إلى تطوان للقيام بصناعة البسط والزرابي الرفيعة ، ومثل هذا ما كان فعله الباشا الكلاوي فقد طلب معلمات من الرباط لهذه الغاية الخاصة به وبفرش بعض قاعات ستينياته حيث يكون رقم الزرابي يماثل ما بالسقف من تنميق وتزويق،وكان يشرف على ذلك المرحوم السيد عبد الرزاق بركاش الرباطي. ويهدف إلى هذا ان كتاب «الحائك» الكناش المتضمن أشعاراً وأزجالا في المدح والطرب المعروف بالطرب الاندلسي أو الآلة الاندلسية لما كان من اصل تطواني لمؤلفه محمد بن الحسين التطواني الاندلسي ـ طلب المولى الحسن الاول رحمه الله من السيد عبد السلام الريسوني أن يبعث إليه بالكناش، كما طلب منه «معلمة للخياطة» وفعلاأجاب الطلب وبعث إليه بالكناش صحبةالمعلمة المسماة :« عشوش كريمس » من هذا ندرك ما كان بين المدن المغربية وقراها من التبادل في الحرف والصنائعوباقى المصالح .

العام المرشال ليوطي بصفته رئيساً، وجماعة من كبار الموظفين الفرنسيين من رؤساء الادارات والاقلام، وهيأة من ضباط الجيش، كما حضره عاية من الموظفين المغاربة كالصدر الاعظم والوزراء، وباشا الرباط وسلا، وكثير من الاعيان. وعلى الساعة الخامسة ـ افتتح الحفل المقيم العام المرشال ليوطي ـ بخطاب مرتجل أجابه عنه الصدر ج محمد المقري مثنياً ومادحاً عناية المقيم، ثم تلاه المدير العام للعلوم والمعارف م هاردي، وبعده م باسي هنرى مدير المعهد العلمي، وأخيراً م دوسينقال مدير الخزانة العامة. وانقضت الجلسة على الساعة السادسة ونصف.

وفى اليوم التالي ـ يوم ٢٣ من التاريخ أعلاه ـ جاء دور المسامرات الفرنسية حضرها من يهمهم الامر من الفرنسيين. ويوم الاربعاء ٢٤ — كان دور المسامرات العربية ـ حضرها جمهور من رجال المخزن وأهالي العدوتين من قضاة وعلماء وأعيان، كما حضر مدير المعارف هاردي، ومدير الامور الشريفة م مارك، وخليفتا مدير المعارف ومدير الامور الشريفة، ومدير المعهد، ومدير المكتبة العامة، ومدير المدرسة الثانوية م نجل. وبعض المستعمرين الفرنسيين. وعلى الساعة الرابعة افتتح الصدر الاعظم الحاج محمد المقرى ـ الجلسة رسمياً بخطاب. ثم تلاه مندوب المعارف الاستاذ محمد بن الحسن الحجوى، ثم الفقيه محمد السائح فألقى كلمة حول رسو الارض بالجبال، وبعده تقدم للمنصة مولاى عبد الرحمن بن زيدان العلوى فألقى محاضرة فى مبادىء علم التاريخ العشرة. وختم الدكتور ليفى بروفنسال مدير قسم المخطوطات من المكتبة العامة، ومدير القسم العربي بالمعهد العلمي ـ بخطاب

هام تناول فيه مزايا البحث فى العلوم على الاطلاق، وعلم التاريخ بوجه خاص.

ثم فى سنة ١٩٢٥ ـ موافق ١٣٤٤هـ جرت دورة ثانية للمحاضرات والمسامرات شارك فيها علية من العلماء والباحثين ـ كالشيخ أبى شعيب الدكالى والاساتذة محمد الحجوى. ومحمد عبد الحي الكتاني. وابنه عبد الاحد. ومحمد السائح تحت رياسة الوزير الاول (الصدر الاعظم تج محمد المقرى). وكان موضوع محاضرة السيد الحجوي ـ تعليم الفتاة ومشاركتها فى الحياة ـ بيد ان الرئيس المقرى أوقف المحاضر الحجوى قائلا له : ان الدين الاسلامي لا يساعد على تعليم البنت تعليما يجعلها تشارك الرجل وتزاحمه فى الحياة ، وملقياً فى نفس الوقت سؤالا على الشيخ أبي شعيب الدكالى — فما قولك أيها الاستاذ فى الموضوع أيجوز هذا ام لايجوز؟ فأجابه الشيخ بالمنع — وان تعليم الفتاة يبلغ بها الى هذا الحد لاتقره مبادىء الاسلام. وللحين سقط فى يد المحاضر الحجوى فجلس دون ان يتم المحاضرة.

ثم تحدث باقي المحاضرين. نعم كان الفكر المغربي وقتئذ ضد الفكرة. فرأي الوزير المقري لم يكن شاذاً استقل به بل كان رأى المجموع المغربي يدين به حفاظاً على كرامة الجنس اللطيف، وصونا له من مخالطة تعليم قد يرمي به الى مالا يتفق وأنوثته الموقرة ـ إنما الاستاذ الحجوي عاجل الفكرة ناظراً اليها من بعيد فصدع بها دون مبالاة بالوسط المغربي الذى كان ضدها على طول.

فها نرى المرحوم الحجوي يسبق الشاعر جميل صادق الزهاوي الذي نشر مقالا فى المؤيد سنة ١٩٢٦ فى الموضوع. فأحدث ضجة فى العالم العربي وتجمهر الناس ضده ورفعوه الى الوالي ـ ناظم باشا ـ وان دل هذا على شيء

فإنه يدل على ان فكرة منع تعـليم البنت كانت سائدة فى المشرق والمغرب جميعاً.ومن هذا الوقت وفرنسا تهتبل الفرص المواتية لتأسيس مدارس للبنات ـ وفى أوائل الحرب العالمية الثانية وأثناءها أخذت تفتح فصولا لتعليم الفتاة فى عدة مدن ـ كفاس ومراكش ووجدة. وكان الملك المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه يهتم بأبناء شعبه وتثقيفهم ويرى اتماماً لذلك تثقيف البنت هى الاخرى ـ فانبرى للتدخل فى هذا التعليم والنظر فى محتواه ماديا وجوهريا، ومعرفة ماتنطوي عـليه برامجه ومناهجه تحريا من وضـع الفتـاة المغربية فيما يتصادم وروح المبادىء الاسلامية من معة وانحلال يمسان القيم والاخلاق. ـ فاستدعى أعزه الله رؤساء قدماء تلاميذ المدارس العصرية (الفرنسية) من فاس والرباط ـ ومراكش طالباً منهم تهييء تقارير حول سير تلك المدارس ثقافياً وصناعياً ـ وفعلا حضر الرؤساء ـ فمن فاس ـ السيد محمد الزغاري (١) ـ وعن الرباط الاستاذ المهدي بن بركة (٢) ـ وعن مراكش الشريف السيد العربي بن الحسن العلوى (٣) ـ وأحضروا تقارير حسب المطلوب، وطلبوا مقابلة العاهل محمد الخامس رحمه الله ـ فإذن لهم،وكان المؤلف من بينهم بصفته مفتشاً للتعليم وكاتبـاً للجنة، ولدا المقابلة دارت أحاديث حول تعليم البنت، وكيف يجب ان يسير هذا التعليم، وماهو نوع برامجه، فى هذه الاثناء قدم مندوب المعـارف الى العـاهل تقرير رئيس جمعية قدماء تلاميذ الادريسية وبعد تصفحه قدم الى الكاتب ليقرأه، وفعلا تلاه بين يدى الملك، ودارت

١) توفي أخيراً رحمه الله
٢) المختطف في واضحة النهار بفرنسا سنة ١٩٦٥.
٣) توفي في أزمة فبراير سنة ١٩٥١ كيل منه لسياسة الاقامة، لغضب القصر عليه .

حوله منـاقشات خفيفة شاركَ فيها الاستاذ محمد المعمري ـ اذ كان موضوعاً وضعا يتلاءم ومتطلبات الواقع المغربي آنذاك، كما قدم رئيس قدماء تلاميذ اليوسفية بالرباط ـ الاستاذ المهدى بن بركة ـ تقريراً تناول فيه مايجب ان تكون عليه مدارس البنات فى سيرها وبرامجها، ولافادتهأحببت ان أثبته بنصه تقرير لجمعية قدمـاء اليوسفية فى تعـليم البنـات رفع الى جلالة المـلك المعظم :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

مولانا الامام حامي حوزة الدين ، القائم بنشر فضائلـه بـين طبقات شعبه ـ سلالة الاماجد الاطهار وعترة الرسول المختار أبا عبد الله سيدنا محمد ابن سيدنا يوسف أيد الله نصره ، وخلد فى الصالحين ذكره .

مولاى تلتمس جمعيتنا من جلالتكم الكريمة وضع اللبنة الاولى فى تعليم الفتاة المغربية بأن تولوها عنايتكم السامية ، فتلقن الدراسة الابتدائية ، الضرورية لكل تعليم ثابت الدعائم، وكل تربية موطدة الاسس بحيث تحرز الفتاة بعد الفراغ من هذ الدراسة ـ على شهادة ابتدائية تهيئها للمهمة الاجتماعية المنوطة بها فى دائرة ديننا الحنيف وأخلاقنا السامية ، وعاداتنا المرعية .

لقد أصبح من الضروري تعليم الفتاة المغربية لاصلاح حالها، وتقويم اعوجاجها حتى تكون عاملا قويا فى رقي مجتمعنا وسعادته. فنحن وإن كنا لانتطلب منها الآن ثقافة عالية ـ فإننا نود أن تصبح فى القريب العاجل لاسرتها خير مثال يتحذى، ولزوجها أحسن مساعد يستشار، ولاولادهاأكبر مرب خبير.

وغرضنا من هـذا التقرير الموجز ـ وضع الاسس التي نرجو لتعليم البنات أن يرتكز عليها حتى يؤدي مهمته على أحسن وجوهها، لاننا لا نرتاح تمام الارتياح إلى التعليم الحالي لعدم توحيد برامجه ، وإهمال العربية والتربيـة الدينية فيه

حالــة التعليم الحاضرة

تنقسم المدارس الموجودة الآن إلى ثلاثة أنواع :

المدارس الثقافية : حيث تعتني معلمات فرنسيات بتعليم اللغة الفرنسية وتلقين مبادىء التدبير المنزلي، وأما الدروس العربية والدينية فهي موكولة إلى بعض (الفقيهات) اللائي لاتتعدى معلوماتهن حفظ القرآن الكريم حتى ان هـذه الدروس كثيراً ما تعهد إلى معلمات فرنسيات لا يحسنن التكلم بلغتنا، فضـلا عن تلقينها غير أننا لانكر بعض النتائج الحسنة التي حصلت عليها هذه المدارس اذ وقفت لتوجيه بعض خريجاتها الى التدريب على فن التوليد (١).

والمدارس الصناعية : حيث تتعلم الفتاة مبادىء اللغة الفرنسية والتدبير المنزلي مع صناعة يدوية ترتزف منها، وأكبر ميزة لهذه المدارس هى الروح التجارية التي تسيطر عليها، ان أسرة التلميذة لاتنتظر الا الفائدة المادية التي تعود عليها من عمل بنتها .

ونوع ثالث وسط : لاهو بالثقافي ولاهو بالصناعي بحيث يجمع بين محاسن النوعين السابقين ومساوئهما، هذه هى حالة تعليم الفتاة فى المدارس الموجودة

١) سأتحدث عن هذا التدريب بعد .

ونحن لانُنكر المجهودات العظيمة التى صرفت لاحداثها ـ ولكننا لن نطمئن على مستقبل الفتاة المغربية الا اذا أدخلت تحسينات مهمة على البرامج، واعتنى اعتناء خاصاً باختيار من يقوم بالتعليم والتربية .

برنامج الدراسة

انا نقترح أن يكون عدد سنوات الدراسة الابتدائية ست سنوات تلقن الفتاة خلالها برنامج الشهادة الابتدائية الموضوع للتلاميذ الذكور مع تحويرات ضرورية ، ونحن نرغب فى توحيد برامج التعليم الابتدائي فى جميع المدارس المنبثة بالمدن المغربية مع تحفظ سنبدية عندما نتعرض لتفصيل مواد الدراسة.

تحديد السن

أما مسألة تحديد السن لانتهاء الفتيات من دراستهن الابتدائية فالاولى أن نتساهل أول الامر ونحن نضع الحجرة الاولى فى تأسيس تعليم البنات على أننا نود أن يكون سن قبول التلميذات يتراوح مابين ست وسبع سنوات.

تفصيل مواد الدراسة

ان جمعيتنا تؤمل أن يحتوي برنامج الدراسة الموحد على ثلاثة مواد :

أولا ـ مبادىء العلوم التى تنقسم الى ـ

١) علوم عربية فتتعلم الطالبة القرآن الكريم والمبادىء الدينية، وتلقن تدريجياً التلاوة والانشاء والتاريخ مع الاهتمام الخاص بالناحية الاخلاقية ، اذ لا عبرة بالتعليم اذا لم يكن مبنياً على المبادىء السامية ، والفضائل الصحيحة حتى يتسنى

للفتاة أن تربي طفلها فى المستقبل على العقيدة الدينية الصحيحة ، وحب اللغة العربيـة

٢) وعلوم فرنسية اذ ينبغي أن تستعمل اللغة الفرنسية كوسيلة لتلقـين الفتاة دروس الاشياء والحساب ومبادىء الجغرافية .

٣) التـدبير المنزلي مـع علم الصحة وتربية الاطفال (فى السنتين الاخيرتين) ونقترح أن يكون هذا التعليم باللغة الفرنسية ولو موقتا لان المغرب يعوزه لحد الآن كتب دراسية واختصاصيون يتقنون هذه الفنون باللغة العربية.

٤) الاشغال اليدوية : نلاحظ أن كثيراً من الاسر لا يهمها من تعليم بناتها الا هذه الناحية ، ونحن أيضاً نرى فائدة الاشغال اليدوية للفتاة اذ فى ذلك ما يساعدها على احكام شؤون بيتها ، هـذا ومن الممكن أن تختلف تلك الاشغال باختلاف طبقات السكان واختلاف المدن فلا تزاول فتاة التطريز والخياطة حيث يجب أن تزاول النسج وما أشبهه .

وهكذا لا تختلف المدارس إلا فى تلقين المادة الرابعة أي الاشغال اليدوية التي ستراعي فيها طبقة التلمذات الاجتماعية وتتفق جميعها فى المادتين الاوليـين ـ مبادىء العلوم والتدبـير المـنزلي . ويحسن بنا قبل الفراغ من محتويات برنامج الدراسة أن نشير الى فائدة الرياضة البدنية الخاصـة بالفتيات، فإذا زاولت الفتاة مبادىء الرياضة ولو بكيفية خفيفة ـ استطاعت أن تستقبل دروسها بجد ونشاط ـ اذ العقل السليم فى الجسم السليم .

تطبيق برنـامج الدراسة

ولضمان تمشي هذا البرنامج وتطبيقه ينبغي انتقاء معلمات قديرات. فأما معلمات اللغةالفرنسية فالاولى ان يحتفظ بهن كذى قبل مع مراعاة الشروط التي بدونها لا يمكنهن مباشرة التعليم الاسلامي، وأما تلقين الدروس العربية فهو لا يتيسر على يد الفقيهات لعدم كفاءتهن،واننا نرى ان يوكل هذا التعليم لاساتذة أكفاء على شرط ان يكون اختيارهم تحت إشراف جلالة الملك كى يحصل اطمئنان الاسر على أخلاق بناتهن،وستكون مهمة هؤلاء الاساتيذ موقتة تنتهي عند ايجاد طبقة من خريجات المدارس تستطعن القيام مقامهم.

وأملنا وطيد فى ان يعتنى أعزه الله بهذه المقترحات الوجيزة التي نضعها تحت نظره السديد، فهي تحتوى على اقل مايجب ان يلقن للفتاة المغربية التي نرجو لها كل تقدم وارتقاء، واقصى أمانينا ان نرى المرأة المغربية فى عهده الزاهر متبوئة مكانها اللائق بها كعضو عامل فى مجتمعنا. ولا يتم هذا الامر الحميد إلا بالتفاتكم الخاص، ورعايتكم الشاملة وما ذلك على همة جلالتكم ببعيد.

كيف لاوأنتم من حماة الدين، وأنصار ركنه المكين، أدام الله عزكم، وخلد فى صفحات التاريخ مجدكم آمين. رباط الفتح فى٩٢صفر الخير ١٣٦٢هـ موافق ٦ مارس ١٩٤٣م رئيس الجمعية.

إثر هذا بقيت قضية تعليم البنت بين أخذ ورد الى اواخر سنة ١٩٤٤م ـ فيها أخذ المشروع يبدو لعالم الوجود والتطبيق، واجريت بالقصر الملكي مباراة لاختيار مدرسين من مختلف مدن المغرب بواسطة القضاة ورؤساء المجالس العلمية حسب المقرر أثناء الاجتماع الملكي ـ أخذ بالاحتياط لجانب

الفتاة المغربية التى كانت وقتئذ ـ جبهة قوية تعارض تعليمها، أو تولية الرجل تعليمها، ومن ذلك الحين أمر الملك المعظم ـ محمد الخامس ـ ان تجرى مباراة سنوية بالقصر لاختيار المدرسين الاكفاء علماً وتقوى. فى هذا الوقت — اختار الملك أيده الله المؤلف مفتشاً عاماً لمدارس البنات بالمغرب، وأصبحت هذه المدارس تتقدم وتزدهر آخذة حظها من التعليم إزاء مدارس الفتيان حيث أصبح الكل ينهل من ينبوع الفنـون والمعارف فى استواء — بفضل مشعل النهضة ونافخ روح اليقظة فى أبناء شعبه وبناته محمد الخامس أيده الله ـ بل أعطى للشعب المغربي النيل مثلا حية فى بناته الاميرات خصوصاً سمو الاميرة عائشة اذ وقفت مواقف مشرفة فى عدة مدن ـ كمراكش والبيضاء وفاس وطنجة اشعرت فيها أخواتها بانهن فى حاجة ملحة الى الثقافة الصحيحة كاخيها، فما دامت شريكته فى الحياة وشقيقته فى خوض غمارها ـ فهي مطالبة بالتعليم الذي ينير لها الطريق ويرفع مكانتها كامرأة كاملة يسعد بها البيت والمجتمع معاً.

ومضى العاهل فى هذا السبيل يرعى شعبه ويحنو عليه ساعياً فى تحقيق أمانيه وآماله الغالية، فاتجه نحو تأسيس المدارس وفتح أبوابها لابناء الشعب وبناته على السواء مكسراً كل السدود والاغلال التي كان الاستعمار الفرنسي ينصب أشواكها وكلاليبها فى طريقه نحو الاصلاح والتقدم.

ففي يوم الاربعاء عاشر ذي القعدة عام ١٣٦٤هـ (١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٥م)[1]: دشن بنفسه مدرسة للبنات بقرية الاحباس بالرباط فى مهرجان

---

١) بعد هذا التاريخ وابتداء من سنة ١٩٤٨م وقتاً تولى نيابة التعليم فيه الاستاذ =

عظيم كان له أثر حسن فى نفوس المغاربة عموماً، وسكان الرباط خصوصاً. ولما كان عليه جمهور الشعب المغربي من معارضة فى تعليم البنت وتثقيفها ـ قام الاستاذ المتحرر الشريف محمد بن العربي العلوي(١) فألقى محاضرة فى تحبيذ هذا التعليم وضرورته للفتاة المغربية بواسطة الاذاعة المغربية يوم ثالث عيد الفطر عام ١٣٦٢هـ موافق ثالث أكتوبر سنة ١٩٤٣م(٢) قال :

الحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً ـ أيها السادة الكرام، وأعنى ذكرانكم وإناثكم جريا عن سنة القرآن، وهدى سيد ولد عدنان، ومتعارف العرب أهل اللسان ـ من جمع الذكور والاناث فى خطاب واحد بصيغة المذكر إشارة إلى أنهما شيء واحد لافرق بينهما فى مسؤولية الحياة إلا فيما اقتضته وجهة كل منهما من الاختصاص كما هو مقرر فى الاصول الفقهية، والقواعد البيانية ـ واحتراماً وإجلالا للمرأة أن تواجه بالخطاب على رؤوس الملا والاشهاد، وغيرة عليها اقتضتها الحشمة والصيانة، ولله در ابن زيدون إذ يقول :

لسنا نسميك إجلالا وتكرمة ❀ فقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
إذا انفردت وماشوركت فى صفة ❀ فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبيينا

سادتي ـ إذا كانت المرأة راعية على بيت زوجها وولده كما فى الحديث

= عبد السلام الفاسى اصبحت تنشر اعلانات على صفحات الجرائد لافتة نظر من يريد المشاركة في مباراة تعليم البنات على شروط دون ماسبق انظر جريدة العلم شوال ١٣٦٧هـ موافق شتنبر ١٩٤٨ م السنة الثالثة عدد ٦١٩.

١) وهو وقتئذ وزير للعدل .

٢) نشرتها صحيفة السعادة في أعداد ثلاثة متوالية ـ ١٢ اكتوبر ١٩٤٣ فما بعده عدد ٥٩٥٢ .

النبوي المتفق عليه، بمعنى أنها أميرة على ذلك ومكلفة بتدبيره ـ كان الواجب أن تدرع بدرع من العلم حصين، وتسلح بالمعارف والاخلاق الدينية الفاضلة، للقيـام برعيتها وإمارتها أتم قيام وأحسنه، أما إذا أسندت اليها هذه المهمة، وحملت هذا العبء الثقيل وهى عزلاء من كل علم ومعرفة ' خالية من كل تربية وتجربة' فإنها تعجز لامحالة، فتضيع ولايتها ويبنى بيتها على جرف هار.

سادتي .. ان المرأة أساس المنزل الذي تنبني عليه جدرانه وأركانه وأوتاده، التي ترسي بها عمده وأسبابه، كما ان الزوج هو عمده وجدرانه؛ ولله در الافوه الاودى فى قولـه

«والبيت لايبتنى إلا لـه عمـد ❀ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد»

ان المرأة هى قهرمانة البيت والقيمة عليه، فهي المسؤولة عن إصلاحه وتربيته، ووضع كل شيء موضعه، واني للجاهلة ان تقوم بذلك كما ينبغي ـ فقد يفعل الجاهل بنفسه مالا يفعل العدو بعدوه، ويرحم الله القائل

«رام نفعـا فضر من غير قصد ❀ ومن البر ما يكون عقوقـا»

ان المرأة هى المدرسة الاولى للاولاد، وهى القالب الذي يصب فيه الناشيء اذ يخرج للدنيا على الفطرة قابلا لكل مايلقنه، وكالماء شفافا يتلون بلون إنائه. فالواجب أن يكون ذلك القالب وذلك الاناء على أجمل شكل وأكمل هندام وأخلاق، ولايكون ذلك الا بالعلم الصحيح، وإلا ففاقد الشيء لايعطيه،

ان المرأة مسؤولة عن معاشرة قرينها وشريكها فى البيت، وروحها الثـانية، فلابد ان تعـلم حقوق الزوج وواجبات الزوجية لتجـلب السعادة

لزوجها ولنفسها وليتها ـ « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف »(١) كما يقول الله جـل ذكره.

هذا بعض ما أجمله مهذبنا الاكبر، ومربينا الاطهر صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، ومسؤولة عن رعيتها.

سادتي : إن المرأة مكلفة قبل ذلك بمعرفة ربها وخالقها ومنشئها وممدها فلا مناص من تعليمها ما تيسر من القرآن، ومن سنة النبي عليه الصلاة والسلام — لتعلم أن لا إلاه إلا الله حق العلم، وأن معنى هذه الكلمات التي هى مفتاح الاسلام ـ انه لاخالق ولا رازق ولا معطي ، ولا مانع، ولا نافع ولا ضار الى آخره إلا الله تعالى ، فإذا تحصنت بهذا الحصن المنيع ، وتدرعت بهذه الدرع السابغة ـ سلمت أمرها كله إلى خالقها آمنة من كل قوة غيبية غيره ـ مستهزئة بالخرافات والمنحرفين والساحرين والمشعوذين إلى غير ذلك مما هو غير خفي .

إن المرأة مسؤولة عن نبيها ومبلغها رسالة ربها لتعلم حقيقة قولها : محمـد رسول الله ، فيكون قوله وما جاء به — هو قائدها ومرشدها ، وسيرته هى مقتداها وأسوتها ـ « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة »(٢) ـ فلا محيد لها عن معرفته ومعرفة سيرته لتامن بسبب ذلك من مخالفته ، وتقديم هدى غيره على هديه، كما أنه لابد لها من معرفة سيرة سلفنا الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأهل بيته وتابعيهم باحسان لتامن الغلط والخطأ

---

١) الآية ٢٢٨ ـ البقرة .
٢) الآية ٢١ ـ سورة الاحزاب .

فى الاتباع والاقتداء.

فكل خير فى اتباع من سلف ❀ وكل شر فى ابتداع من خلف

غيره: وخير أمور الدين ما كان سنة ❀ وشر الامور المحدثات البدائع

هذا اجمال فيما على المرأة تعلمه، وقل من كثر لاتسمح هذه العجالة ببسطه :

تكفى اللبيب إشارة مرموزة ❀ وسواه يدعى بالنداء العالي

سادتي — ان العلم هو العلم وكفى مدحا :

أشر لي بوصف واحد من صفاته ❀ تكون كمن سمى وكنى ولقبا

وقد قال عليه السلام — كفى بالعلم شرفاً أن كلا يدعيه ، وبالجهل خسة ان كلا يتبرأ منه ؛ فبالعلم يمتاز النوع الانساني من أخيه فى الجنس من النوع العجماوي ، فكلما ازداد الانساني علماً ازداد انفصالا عن الحيوان الاعجم، وازداد قدراً وعلاء وقيمة، وكرّم الله وجه علي اذ يقول :«قيمة الانسان مايحسنه»، ونظمه ابن الوردي فقال :

قيمة الانسان مايحسنه ❀ أكثر الاسان منه أواقل

فلو لم يكن هو الوسيلة لكل خير والوقاية من كل شهر ـ لما كان طلبه متعيناً على كل إنسان لان به كماله وشرفه، لذلك تضافرت آي القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مدحه والحث عليه قال تعالى :

ـ «إنما يخشى الله من عباده العلماء»(١)، وقال : «ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم»(٢)، «وإذا قيل انشزوا

---

١) الآية ٢٨ ـ سورة فاطر .

٢) الآية ١١ ـ سورة المجادلة.

فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»، وقال : «وما يعقلها الا العالمـون »(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : وقل رب زدني علما(٢) ـ مع أنه سيد العالمين إرشاداً لنا وتعليما لنكون متعطشين الى العلم، ولذلك قال سلفنا : اطلب العلم من المهد الى اللحد، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عدى والبيهقى وابن عبد البر: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، وقال فيما يرويه ابن عدى والطبراني فى معجمه والخطيب والبيهقي — طـلب العلم فريضة على كل مسلم(٣) أي ومسلمة كما بينا سالفاً من شمول خطاب المذكر للانثى، ولذلك يزيد بعضهم فى الحـديث ومسلمـة فهو بيان وتفسير وليس المراد ورود الروايـة بذلك، فلا يعرض عليه(٤) على ان فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وامره للنساء بالخروج لمصلى العيد، وحضور الجمعات والجماعات ليشهدن الخير ودعوة المسلمين حتى العواتق وذوات الخدور، ولم يعذر فى ذلك من لا جلباب لها ءامراً أختها يعني فى الاسلام أن تسترها معها بجلبابها، وافراده النساء بالوعظ والنصيحة لمن ظن أنهن لم يسمعن خطابه، وسيرة أزواجه الطاهرات وغيرهن من الصحابيات، وماعلمنا من العلم، ونقلن للمسلمين من سيد سيرة المرسلين وتبعن ذلك نساء المومنين فى كل وقت وحين، فالمطلـع على التاريخ يجد فى كل

---

١) الآية ـ ٤٣ ـ سورة العنكبوت.
٢) قرآن كريم من سورة طه الآية ١١٤
٣) هذا اللافظ من تمام الحديث : اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، يروى عن أنس به مرفوعا وهو ضعيف بل قال ابن حبان لاأصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.
٤) نعم عليه أن ينبه على ذلك مصرحاً بأنه تفسير.

وقت منهن طـائفة صالحـة فى كل فن، وخصوصاً رواية الحديث النبوي، فلازلن ياخذن عن الرجال، ويأخذ الرجال عنهن الى الآن — نقول إن فى ذلك كله ما لا يترك ريبة فى وجوب تعليم المرأة شرعاً، كما يجب طبعاً ـ والنهاية القصوى فى الترغيب فى تعليم البنات ـ هو الحديث المتفق عليه، ورجم له البخارى بقوله : «باب تعليم الرجل أمته وأهله» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة يوتون أجرهم مرتين ـ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم اعتقها فتزوجها، وتصور ربـة بيت ربيت تربية دينية، وتعليما إصلاحياً، ألا تتصور السعادة ضاربة اطنابها على أهل ذلك البيت، والاصلاح ناشراً أجنحته عليهم، فلا غش ولاخيانة ولاخداع، ولا مكر ولا تبذير ولا إسراف، ولا كسل ولا عجز، ولا إفراط ولا تفريط ولا انخداع ولا قبول تلبيس.

ثم تصور بيتاً بني على امرأة فاقدة للتربيتين الدينية والدنيوية، جاهلة بحق ربها ونبيها وسلفها وبعلها وأولادها، وسيرة سلفها ـ لاشك انك تتصور بؤرة فساد أخلاق وغش وخداع ونفاق، وتلبيس وتبذير وانخداع لكل مشعوذ وملبس لطلب المكانة عند الزوج من طرف الطلسمات والجداول ـ وضرب الفال وغير ذلك مما يستحيى من ذكره. ولا بأس ان نكرر على الاسماع حكاية يكثر الناس من ذكرها للاعتبار ذلك أنهم قالوا : إن رجلا عرض عبداً للبيع على أنه لاعيب فيه إلا أنه يكذب كذبة فى السنة. فاستهان مشتريه بهذا العيب. فبقى مدة على استقامة حتى اطمأن له اهله الجدد، فقال للزوجة يوماً:

إن سيدى يريد ان يتزوج عليك. وجعل يفتل منها فى الذروة والغارب الى أن صدقته فاستشارته ماالمخلص من هذا ؟ فقال : لابد من سحره ليكف عن التزوج. وذلك متوقف على شعرات من ذقنه فواطأته على ذلك. فذهب لسيده وقال له : إن سيدتي تراكنت مع غيرك على التزوج بها. واتفقت معه على ذبحك فتناعس لترى فأظهر السيد النوم. فأتت البلهاء بموسى فحنت على الزوج لتأخذ الشعر. فأيقن بما قال له العبد. فقتلها وأعلم العبد أقاربها فقتلوه فاحتدم القتال بين أوليائهما حتى خلت القرية وبقي هو يتفرج على ذلك هذا منشأ المثل العامي ـ «اخلاها برك واقعد يشوف».

فلو كانت المسكينة محصنة بالعلم الصحيح لما أمكن لذلك الوغد خداعها وكم من ضحية جهل سقته زوجه إلى ما فيه حتفه قاصدة بذلك التقرب إليه والتودد ، ولكن جهلها وعدم الاعتماد على خالقها تركها تنقاد لكل غاش ومخادع من أصحاب الطلاسم والعزائم ، ومن عجائز النحس من الشوافات والطلاعات — وحم وميرة، وأولاد ابن الاحمر — أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، فلو كانت تلقن المبادىء الاسلامية الحق،والعلوم الصحيحة المبنية على سنن الكون وأسبابه المعقولة لما وجد السبيل إليها غاش ولا خائن ، ولما بذرت ثروتها وثروة زوجها فى السفاسف والاوهام ، وقد ذكروا أن امرأة غني كانت معه فى مذاكرة فقالت له : إن الخير امرأة والشر امرأة — فمر حطاب فى غاية البؤس يتعثر بحزمة حطبه ، فقال لها : هل يمكنك أن تصلحي من حال هذا لو كنت عنده ؟ فقالت : نعم ، فطلقها وتزوجت الحطاب ، فأخذت تقتصد له من ثمن الحطب — ما اشترى به بهيمة تريحه

وتنمي كسبه، ثم ادخرت له من ذلك ما يشتري به مسكناً يسكنه بلا كراء، وهكذا اتخذ دكانا وصار يبيع ويشتري إلى أن أثرى، فدارت الايام دورتها فإذا زوجها الاول يتكفف على باب دارها من غير أن يعرفها، فتعرفت له وأخبرها انه تزوج امرأة جاهلة فصار بتبذيرها وسوء تدبيرها الى هذة الحالة ولامر ما قال عامتنا : « محوَلت كشينة ، تبني مدينة » يريـدون بالمحاولة الاقتصاد ، وقد ورد : ما عال من اقتصـد كما فى المسنـد عن ابن مسعود ' والاقتصاد نصف العيش .

إذاً فالعلم أيها السادة — هو طريق النجاح والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيـه ولا امتا ، وقـد قال جل وعـلا.« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» (١) قال السموأل .

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم ❀ فـليس سواء عـالم وجـهول

لاتقل أيها المستمع الكريم قد اطلت الاحتجاج على الواضح المسلم، واقت الدلائل على الشمس فى رابعة النهار .

وليس يصح فى الاذهان شيء ❀ إذا احتاج النهار إلى دليـل

فمذري إليك أيها الالمعي — هو أنه قد يخال بعض من لم ينظر الى بواطن الامور — ان بالتعليم يمكنها أن تتوصل إلى بعض الاغراض السيئة لما يراه من التهتك فى بعض المتعلمات . غافـلا عن كون ذلك انما نشأ عن تلقين مذهب الماديين الاباحيين لا عن العلم الصحيح كما بينا .

سادتي بهذا التعليم الصحيح تكون المرأة كفؤاً لولاية بيت زوجها ورعايته.

---

١) الآية ٩ ـ سورة الزمر.

فلهذا انبعثت همة مولانا ولى النعم – الى القيام بحق رعيته وولايته العامة إذ هو أول الامراء فى الحديث الشريف المتفق عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم – كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسؤل عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها إلى آخر الحديث .

فبعدما شملت عنايته أرشده الله وأعانه نصف الامة وهو ذكورها بما أسسه وما هو عازم على تأسيسه من المدارس والمعاهد ، التفت إلى النصف الثاني – إذ بـه يتم بناء الامة على الوجه الصحيح فاقتضى نظره أعزه الله الاستشارة مع ذوي الخبرة بأحوال الامة، وأصحاب العلم الصحيح من شيوخ وشباب المغاربة لما لهم من الاطلاع على أحوال قومهم وعلى مقتضيات دينهم الاسلامي (ومن رجال الدولة الحامية) لاطلاعهم الواسع ، وخبرتهم التامة بأساليب الاصلاح والتعليم ـ أن يدخل بعض التعديل على مدارس البنات لتكون أكثر ملاءمة مع التربية الدينية والاهلية، وأنشأ مدارس أخرى علمية على نمطها ، وأخرى صناعية يكون حظ القرآن والاخلاق الدينية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح كافياً وافراً فى الجميع . وكذا حظ اللسان العربي، والتدبير المنزلي، وحيث كان لا يتيسر للفقيهات والمعلمات المسلمات القيام به على وجهه الآن ـ تعين أن يندب له من الذكور من فيه الاهليـة علماً ودياناً على أن يسند اختيارهم لرؤساء مجالس العلم وللقضاة(١) حيث لا رئيس علم بالمحل، وعلى أن يسابق بين المرشحين انتخابا للافضل ـ كما

---

١) وهذا ما وقع بالفعل وقد أشار إليه المؤلف قبل .

يعين مفتشون أهليون بحسب المصلحة لكل ناحية مفتش مراعى فيه الاهلية معرفة وأخلاقاً (١) وذلك ريثما ينبغ من بناتنا من تصلح للقيام بوظيف التعليم والتفتيش ـ لان تعليم المعلمات للبنات أبعد عن القيل والقال على أن تعليم الرجل للمرأة ، والمرأة للرجل فى دائرة الدين والحشمة مما لانزاع فيه ، وإذا كان لا يقبل فى المدرسة إلا من لم تتجاوز السنة الثالثة عشرة من غير تقييد لسنة الدخول الا بكونها لا تقل عن الخامسة كما اقتضاه نظره السامي ـ فلا محل للخوف على البنت حتى لو لم تكن هذه الاحتياطات ، وكيف معها ، نعم قد وقعت المسامحة لبعض التلميذات اللاتي أشرفن على احراز الشهادة الابتدائية فى السنة الدراسية المقبلة فقط ان يتممن دروسهن وان جاوزت الثالثة عشرة الى الرابعة عشرة. والمقصود من هذا هو أن تحصل البنت على الشهادة الابتدائية، ولمن شاءت اتمام دروسها فى المدارس الاخرى أو حيث يمكنها فلا تحجير . وسينشر عليكم باقي البرنامج فى فرصة أخرى إن شاء الله .

إنما المهم فى المسألة هو أن سيدنا أعزه الله ـ أتى بكل مايمكن به نجاح بناتنا فى دائرة قوميتهن ودينهن خاطياً بهن خطوة الى الامام على قدر استعدادنا وأهليتنا، وأول الغيث قطر ثم يهمر.

واذا رأيت من الهلال نموه ❀ أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

فالواجب أن نقدم له يد المساعدة والمناصحة شكراً له على جده واجتهاده ونصحه وإخلاصه، سائلين الله تبارك وتعالى ان يمد فى حياته، وان يمده بتوفيقه

---

١) والذي اقتضاه نظر العاهل محمد الخامس رحمة الله عليه ، آنذاك ترشيح المؤلف مفتشاً عاماً لمدارس البنات بالمغرب كله .

وإعانته. وأن يقر عينه بولي عهده، وباقي أنجاله الكرام
« آمين آمين لاأرضى بواحدة حتى أضيف اليها ألف آمينا »

قصيدة في الموضوع ـ الى الفتاة المغربية

للاديب الشاعر محمد بن هاشم العلوى قصيدة ميمية القاها بمناسبة افتتاح الملك محمد الخامس طيب الله ثراه مدرسة ـ الاميرة عائشة ـ بتواركة جوار القصر الملكي بتاريخ ١٦ نونبر سنة ١٩٤٧(١):

فتاة المغرب الاقصى سلاما أقدمه لمنـاك احترامـــا
يردده فـؤاد مستهـام على عليائك يشتعل اضطراما
فتاة المغرب الاقصى أحقـا اردت السير ناشدة أمـامـا
وقمت الى الزمان بجهد عزم وغادرت المضاجع والمنـامـا
وثبت الى العلا برشاد علم وناشدت الثقـافة والنظامـا
يذكر قـلبنا عهد جميل يعيد لجيـلنا عصراً تسامـى
فقد كنا وكان لنا نفـوذ نحركه فيرفعنـا السناما
بكل معـارف فى كل فن وكل مواطن كنا كراما
وكل نفائس العمران شدنا بـلغنا من أريكتها الزمامـا
نزف الى الورى علماً وعدلا وتغدقـه السعادة والسلامـا
فمـا نسفت قنـابـلنا عروشا ولا زرعت مبادئنا خصامـا
ولا هتكت مدافعنا قصورا ولا جـلدت محاكمنا يتامـا

١) في هذا التاريخ توفي المؤرخ المرحوم عبد الرحمن بن زيدان العلوي.

ولا خنقت إدارتنا شعوبا يشيد بناتها عزا مقاما
ولكن الزمان أبو عظات فخادعنا وصيرنا أيامى
فتاة المغرب الاقصى تعالي فهذا الفجر قد طرد الظلاما
أترضى ان نعيش على جمود وفى جهل يجرعنا الزؤاما
كانا لم تكن فينا بنات من الاستار نبهت الاماما
اذا القراء خانهم بيان فبنت الخدر تمنحهم كلاما
اذا الشعراء فى شعر تباروا فـي الخنساء عيهم أقاما
وذا الاسلام رائدنا لهدى فهل منع البنية والغلاما
وهل ندري من الاسلام أمرا احل البنية منطقه رغاما
فحل للغلام هدى وعلما وحرم للفتاة به اعتصاما
نقضنا ديننا حمقاً وجهلا وأشر بنا الجهالة والمناما
وذابت من حضارتنا فنون فأصبحنا لضيعتها ضغاما
فتاة المغرب الاقصى اجدي وسيري وانفضى عنك القتاما
وربى جيلنا جيلا حديثاً يعيد لعصرنا مجدا راما
وكوني قدوة الاحلاق فينا ففي الاخلاق عزك قد أقاما
ولبى دعوة الاصلاح منا فخيرك من نريد له التماما
أصيخى السمع نحو مليك شعب اذل الجهل أوزده الزؤاما
همام لا تعد له هبات فقد فاقت بكثرتها الزحاما

من نتائج تعليم البنيات اختيار بعضهن لمزاولة فن التوليد

الآن قد علمنا ماورد حول البنت وتعليمها من أحاديث ونصوص تشريعية قد لاتذر شكا فى العناية بها وتعليمها ماهى فى أمس الحاجة اليه فى هذه الحياة سواء فى نفسها سيرة وسلوكا، أو مع زوجها وتسيير بيتها وتربية أولادها بل ووجودها كعضو إنسانى عامل فى المجتمع الذي يعيش فيه .

وهاهى ذا الفكرة أخذت تنضج وجعلت البنت تشق طريقها صوب الحياة الجديدة.. حياة العلم والمعرفة والسعي حثيثاً للتكوين الصالح الذي يخلق منها فتاة صالحة لخدمة المجتمع بما تدرعت به وتتدرع من معارف وفنون.

ومن بين هذه الحالة المرموقة ـ اقتضى النظر ان تختار فتيات من مختلف مدارس المغرب البناتية لتعاطى مهنة التوليد ـ وفعلا وقع الاختيار على عدة بنات. وهذا ماحفز المؤلف ليكتب وقتئذ الكلمة التالية قال :

تهيىء فتيات لمهنة التوليد

يستطيع كل إنسان يدرك بالعيان والمشاهدة ـ ان كل نسمة تنتشق نسيم الوجود وتحيى فى هذا الكون، وتتنفس فى فضائه امنة سعيدة ـ الا وللقـابلة عليها منة وفضل حيث انها المعالجة الاولى لابرازها لهذا العـالم الدنيوى، والمساعدة لها على الحياة صحيحة مطمئنة على نفسها، لذلك فالقابلة ولامراء لها اليد الطولي عندما تطلق المرأة، ويأخذها الطلق ووجع الولادة ـ فى ذلك الوقت الحرج الذى ربما لاتسلم فى لحظاته المرأة المعضل المعسر ـ

تبدو جهود القابلة وأعمالها فى درء كل مايمكن ان يصيب المعسر وقتئذ، كما اذا ايتنت ـ اي خرجت رجلا ولدها قبل يديه ـ او تعسر خروج سخدها (خلاصها) بعد الوضع، و كيف تعالجه بل كيف تقطع السرة، ومتى ذلك ؟ هل فوراً، أو بعد لحظات تجري فيها دم أمه فيه، وطهارة المقرض والآلة، بل قبل كل هذا كيف يجب على المرأة ان تجلس عند الولادة هل جلسة الارباء، او الاستلقاء على القفا كما يقولون : (البروز كالمرور) وعقب بروز الجنين هل يغسل او يدهن، وأين يلف من الاثواب، وكم يترك دون رضاع ؟ االثنتي عشرة ساعة أو ضعفها، وغير هذا من التعليمات الضرورية المعرفة لكل قابلة تدفع بنفسها لميدان هذه المهنة الشريفة، ولا بدع فى شرفها حيث كانت المرحلة الاولى لتكوين أمة المستقبل سليمة صحيحة. وكم شاهدنا وسمعنا من أخطار حاقت بالجنين كامه فقضى الجميع نحبه ضحية الجهل بأسباب التوليد، اذ قد تطرأ حـوادث عند نزول الجنين لاتدرى المولدة لها وسيلة فتذهب المرأة والولد معاً. وقد اعتادت القوابل ان يدهن باطن محل المرأة بالزيت أو بالزبد طلباً فى سهولة خروج الجنين، فهو عمل ضار فالمحل بدل ان يتسع بهذا الدهان يجف ويضيق.

وكم لهن من اختراعات ضررها أكثر من نفعها ـ ولا غرابة فى ذلك ما دام مستندهن الجهل لهذا يجب الاحتراس من هؤلاء المولدات، والعناية بإحضار مولدة خبيرة قانونية حرصاً على حياة الولد وأمه،

لهذه الاعمال المريعة والتسارع المردى ـ اهتم خليفة البلاد وأمينها محمد الخامس بَرَّد الله مضجعه بتعليم فتيات مغربيات هذه المهنة الجليلة ـ مهنة

التوليد وتيسيره على الحوامل ـ تحت اشراف الوسائل العلمية التي لا تذر شكا فى الوصول للامن والسلامة لكل من المهجتين ـ البريئتين ـ وأصدر رحمه الله قدراً سنويا لهذه السبيل المشكورة فى كل الاوساط الاسلامية عموماً والمغربية خصوصاً يحفز الفتيات للتشبع بمعارف التوليد وقوانينه حتى يصبحن قوابل حقيقات بكل ما توحيه لفظة قابلة من معان وبعد أن يتخرجن فى فنون التوليد يتهيأن للمباشرة بمحدود من الاجر ليس فيه اجحاف بالاسر الفقيرة . وفى ذلك تشجيع للاقبال على المهنة التوليدية لاول نشوئها نظاميـة بعد أن يجعل منهن فى جل مـدن المغرب ـ ثلاث معلمات معالجات للحوامل، نعم يكن تحت إشراف مولدة فنية فى حل غوامض الفن يرجعن اليها فى عويص المهنة حتى تتمشى مسائل المباشرة طبق الوقاية والحفظ على المهج والانفس كما هو الملحظ الوحيد لصاحب الفكرة ـ وليست الحاجة تـدعو الى المولدات حـالة الميلاد فحسب بل بمجرد مـا تشعر الفتاة بابتداء تكوين الجنين فى بطنها الا وتميل فى سرعة الى المولدة لتزودها بتعاليم أولية وقائية لها الأثر الاكبر فى حفظها كالجنين ـ ذلك أن المرأة الحامل عندما تحس بالحمل الذي هو دور من أدوار حياة المرأة تنشأ عنه أمراض عدة كاضطراب الشهية والقيء ودوار الرأس (الدوخة) والاسهال وألم الاسنان ، والـكلف الذي يظهر على مواضع من الجسم ، وألم الفخذين وأعضاء التناسل ، وارتشاح الاطراف السفلى ، وعسر التنفس، وغير هذا من العوارض المسماة ـ بالوحم ـ فتنبهها لاستعمال رياضـة معتدلة واستنشاق الهواء الجيد، وتجنب ما يثير العوارض المذكورة ، وأن لا تأكل من الطعام

الا ما كان خفيفاً سهل الانهضام ، كما ترشدها لاجتناب كثرة الجلوس فإنه يضعف قوتها العضلية فتكون وقت الطلق غير كافية لاخراج الجنين . ومن أخطار كثرة الجلوس ـ انـه يزيد فى انتفاخ الاطراف السفلى ، كما تنبه الفتاة المولدة الحامل على الاستحمام بالماء الفاتر ، وتجنب جميع ما يؤثر على حواسها بشدة ، كما تدلها أيضاً على الامتناع عن الجماع فى الشهر الثالث والرابع من الحمل وتقليله جداً فى الشهر الاول والثاني، وكذلك فيما بعد الرابع الى الثامن، بل ذلك من وظيف الذي يجب عليه أن يقمع شهوته فى تلك المدة ، وذلك ان أقل تهييج فى الرحم قد يسقط الجنين ـ فيكون الزوج ـ بشبقه وشرهه سيباً فى قتل نفس زكية ؛ كما يجب على الحامل وفق تعاليم المولدة ـ أن تمتنع عن الادوية القوية الفعل، والاشربة المنبهة ، وغير ذلك . وليس من العجب اذا تمشت الحامل على ضوء هذه التعاليم الوقائيـة التي هى انفع من العلاج اثر نزول الداء ـ ان تسلم كفرعها من كل ما يحاول أن يسطو على الجميع بصولة الجهل ، فلتسر مهنة التوليد قـدما الى الامـام ، وليعش منعشها(١).

---

١) منذ عشر سنوات تقريباً ـ اخترع الدكتور سرهاينز عميد كلية الطب بجامعـة ويتوترسترانـد بانكلترا ـ جهازاً لتخفيف آلام الوضع عن المرأة بتنشيط الدورة الدموية عندها وادخال كمية أكبر من الاكسجين إلى الجنين أنظر ص العلم تاريخ ١٠ رمضان ١٣٨٦ ـ ٢٣ دجنبر ١٩٦٦ ـ السنة الواحدة والعشرون عدد ٦٠٥٩ تحت عنوان كيف تستطيع الام الحامل أن تنجب طفلا أكثر ذكاء .

تقوية الايمان بهذا التعليم والسير به قدما

للاهتمام المبذول فى تعليم الفتاة التي كانت قبل ترزح تحت نير الحرمان وكابوس الجهل محاطة بأشواك من المعارضة ـ بذل علماء التربيـة ورجال التعليم جهداً فى استعمال كل ما يمكن من وسائل ترفع من شأنها، وتضعها فى المقام اللائق بها كانسان له قيمته فى الحقل الاجتماعي عملا وتنشيئاً، حتى انهم كانوا أحيانا فى الامتحانات ـ يختارون قطعاً تمت بسبب الى مكانة المرأة فى عصور الاشراق والنور شرقاً وغربا تنويراً للاذهان وتعريفاً بمتطلبات الحياة .

وهذه قطعـة اعطيت فى احد الامتحانات تهدف الى هـذا المعنى الكريم عنوانها :

الحالة الفكرية للمرأة المغربية جاء فيها :

لم تكن المرأة المغربية بنجوة مما كان عليه الرجل من علم محدود ، فقد جاذبته أسباب ذلك العلم، وظهرت فى بعض نواحيه، ويتحدث أهل المغرب عن كثير من النساء تناولن الشعر والنثر ، وإن لم يكن فيما تناولنـه شيء يستحق التدوين .

وأكثر ما عرف به الممتازات من أهـل المغرب الاقصى — حفظ القرآن الكريم بقراءاته ورواية الحديث ، ودرس الفقه والاصول ، وما إلى هذا من علوم الدين .

ويذكر التاريخ — ثمانين امرأة من نساء المغرب جمعن إلى

النفاذ فى ذلك كله «حفظ مدونة الامام» وهى أكبر المطولات الجامعة فى الحديث والفقه .

وفى إقليم «شنقيط» حيث البداوة لا تشوبها كلفة العيش ، ولا رفاهة الحياة ـ يسير النساء فى مساق الرجال ، وهنالك تعقد المحافل لامتحان الحفاظ الذين استظهروا القرآن الكريم بمختلف قراءاته ، وليس بعيدا أن يكون فى هذا المحفل طائفة من النساء ـ شاركن فى الامتحان .

هكذا كانت المرأة المسلمة هى الاخرى تعيش فى أحضان الثقافة الاسلامية ديناً وأدبا . وقد ألمع إلى هذا المعنى الشاعر فى الميمية السابقة ـ ذات المطلع:

فتاة المغرب الاقصى سلاماً ❀ اقـــــدمه لمعناك احتراما

المضي في تاسيس مدارس البنات والذكور

واذ ظهرت الحقيقة وأبان الصبح لذى عينين، وغدت المدارس البناتية تفتح هنا وهناك، وتسير سيراً يبعث على الارتياح. ويزيل كل ما كان يساور العقول والافكار من أوهام بما أصبحت تتلقفه من علوم وفنون ـ خفت وطأة ـ المعارضة من جانب الآباء والاولياء الذين كانوا أمام هذا التعليم على طول يقفون فى وجهه حجر عثرة رغبة منهم فى ايقاف تيار سيله الجارف بحافز الظروف التي كانت تسانده، وتفرض وجوده فرضاً حتمياً لم يستطع احد ان يصاوله، او يخفف من سورته وجذوته المندلعة فى الشرق والغرب .

فهذه جارتنا سلا الشقيقة ـ تفتح مدرسة للفتيات، وتطلق عليها اسم ـ مدرسة الاميرة للاعائشة ـ تحت إدارة الاستاذ الحاج احمد

معنتو السلوي ـ وقع تدشينها عشية يوم السبت رابع صفر الخير عام ١٣٦٦ هـ موافق ٢٨ دجنبر سنة ١٩٤٦م فى مهرجان رائع تليت فيه آي من الذكر الحكيم وأناشيد حماسية فى مقدمتها ـ نشيد استقبال الاميرة ـ ثم قطعة فى تمجيد العلم، وأخرى شعرية تحت عنوان : «مرحباً باميرة الفتيات» لاستاذ المدرسة محمد حجي (١)، ثم كلمة المدير الحاج احمد وكلمة الاميرة عائشة أثبت بعض فقراتها، فبعد الحمد والصلاة على الرسول الاكرم قالت :

أيها السادة : لنهوض الامم ورقيها وتفوقها مظاهر مختلفة، وأمارات متباينة سجلها المؤرخون وبحثها المفكرون، ولكن مامن نهضة خلقية واجتماعية وعلمية حقيقية الا وكان للمرأة فيها حظها الاوفى ونصيبها الاوفر، فنحن اذا قلبنا الطرف بين طيات التراث الفائق الذي خلفه لنا سلفنا الماجد ـ نلاحظ

---

١) هو الآن مفتش اول بوزارة التربية الوطنية.كان اول طلب قدمته هياة من أهل سلا لمندوبية المعارف بالقصر الملكي بالرباط في شأن فتح مدرسة حرة لتعليم البنات بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ موافق ٣ ابريل ١٩٤٥م وكانت الهياة فتحت قسمين في دار صغرى بالسانية الطالبية، ثم ورد إذن المندوبية فى ١٣ دجنبر ١٩٤٥ وبعد انتقالات ومراحل والتخلي عن ادارة المدرسة للاستاذ الحاج احمد حملت المدرسة اسم «مدرسة الاميرة عائشة» وفى حفل التدشين ألقى الاستاذ حجي القصيدة المشار اليها والمنشورة في احدى المجلات الصادرة وقتئذ بالشمال ، منها في الترحيب بمقدم الاميرة وذكر المشاكل التى تتخبط فيها الفتاة المغربية:

مهلا فتاة المغرب الاقصى فقد
عافاك ربـك من أذى النـكبات
وحباك إكسير الحيـاة وسرها
واقال جدك من ردى العثرات
نجم الاميرة قد تألق فى سما التحـ
ـرير يـلمع ساطـع الهـالات

ان النساء المسلمات تركن فى عصور الازدهار أثراً لايمحى، وعملا لا ينسى الى ان قـالت :

فكم ضمت بيوت مكة والمدينة من مومنات قانتات خبيرات بامور دينهن ودنياهن، وكم انصتت قصور دمشق وبغداد، الى شاعرات وكاتبات، وكم رددت جدران قرطبة وغرناطة وفاس ومراكش صدى المذاكرات والمناقشات والبحث والتنقيب بين نساء طاهرات زكيات تقيات.

واستمرت فى خطابها القيم تشيد بالعلم والعلماء والعالمات شرقاً وغرباً خاتمة بالفقرات التالية :

لقد أشرف على المغرب، وأخذ بيده ملك عبقرى، ومصلح اجتماعي، وقائد خبير عجم عود الشعب فأدرك ماحباه الله به من الحيوية والاستعداد. وبحث عن سبب كبوته وسر تدهوره، وأعد لها الدواء فحمل راية النهضة مترئساً بنفسه قافلة الرقي، وضاربا لرعاياه المثل الاعلى(١).

كما ألقى الاستاذ المرحوم محمد بن العربي العلوي كلمة أشاد فيها بالعلم ومعاهده والاقبال الذي كان عليها عبر التاريخ من كلا الجنسين.

ومما أثاره هذا الوليد الجديد فى عالم المعاهد(٢) ان أخذ بعض الادباء والشعراء يهنىء به سلا الشقيقة باهلاله من ذلك قصيدة كافية من بحر الكامل للاديب الشاعر أبي بكر الجرموني، مدير مدرسة الفلاح الحسنية الحرة وقتئذ بمراكش قال :

---

١) يوجد الخطاب كاملا بمذكرات المؤلف الجراري.
٢) انشاء المدرسة الاميرية الجديدة.

بشراك بنت سلا أجل بشراك عهد ملىء بالمنا حيـــــاك
عهد يفوح شذى ويغمر بهجة ويشع فيه على الوجود سناك
عهد يموج علا ويطفح عزة قوميـة وتمـيس فيـه منـاك
هذي الاميرة وهى بعد زعيمة الـــــفتيات ترجو منك بعث قواك
هذي الاميرة وهى قائدة الفتا ة إلى النهوض اتت ترومر هداك
جاءت تخط لك السبيل إلى العلا ء فسددي نحو العلاء خطاك
جاءت تنير لك السبيل فـأدمني نحو العلا فى ذا السبيل سراك
جاءت لتنفخ فيك بعد طموحها حـتى تبـارى للعـلاء سواك
جاءت لتخـلق فيك توقا للعلا تدعـوك ايتـها الفتـاة ذاك
جاءت لتلفت منك طرفا غافيا لعلى الجدود فهل شعرت بذاك
جاءت لتوقظ فيك احساسا بعـــــزة قومك البانين صرح علاك
قوم بهمتهم سمت ذكراهم فغدت تردد فى ذرى الافلاك

❀ ❀ ❀ ❀

ان انس لا انسى الاميرة قبل فى مراكش تذكي الحماس هناك
وتهيب بالفتيات كي يرغبن فى كل اعتـلاء ممكن الادراك
وتحثهن على ارتشاف مناهل الـــــعرفان كي يطهرن كالاملاك
وتجود حينئـذ بغر نصائـح منظومـة كالدر فى الاسلاك
وتبادل الاخوات خير عواطف متضوعـات بالاريج ذواك
وبفاس الغراء قـد فعلت بها فى معهد حر هناك كذاك
سطعت هنالك بعد بين شقائق توحي إليهن الهـدى كملاك

توحي وترشد للسمو وترسم المثـــــــل العلا وتهيب بعد دراك
أفتاة هذا الاطلس السامي ترا ك علمت ما يرجى لديك تراك
هذا المليك الشهم شاد مدارساً كي يستنير بنورهن حجاك
يرجو ونرجو أن تعيني فى القيـــــام بواجبات للحيـاة أخـاك
وتقاسميه نعيمـــــــه وهناءه فيكون فى الدنيا هواه هواك
وتشاطريـه بـؤسه وشقـاءه فيكون حينئذ ضنـاه ضنـاك
وترافقيه ان دعتـك ضرورة فى كل مصطدم وكل عراك
انا لنرجـو منك كل عظيمة تسمو بها بين الورى ذكراك
ان المليك زعيم هذا الشعب قد اولى الفتى مثل الذي أولاك
فليحيى للوطن المليك زعيمنا الا على وكهف منى الفتى ومناك
وليحـيى بعد ولي عهده والامير ة والاخ الفذ الهمام الزاكي

وزاد القصيدة روعة أنها المت بمواقف نبيلة سابقة من نوع هذا التدشين، كراكش وفاس واعية ماسجله التاريخ الامين من أعمال ثقافية يعدها التاريخ من معجزات الظرف العصيب الذى نشأت فيه ونمت.

نعم لم يقف أبناء سلا الاباة عند هذا الحد فلم تمض عدا أيام قلائل حتى علا فى أجوائها الطيبة صوت آخر ملىء حماساً ويقظة حاملا مفتاح معهد آخر جديد للبنات أعطى اسم « معهد الاميرة عائشة العلوية »

أنشأه الاستاذ الحر الشريف أبو بكر القادري — مدير ثانوية النهضة بسلا - رأست تدشينه الاميرة عائشة - وذلك مساء يوم الجمعة تاسع صفر

سنة ١٣٦٦هـ — موافق ثالث يناير سنة ١٩٤٧م — وألقت خطابا قيما أشادت فيه بالعلم والمعرفة متحدثة فى ثناياه عما قاسته المرأة فى فترات بعيدة من ويلات الجهل بحرمانها من معاهد العلم والعرفان — الى أن من الله عليها بعصر صاحب النهضة محمد الخامس قدس الله روحه — خاتمة خطابها القيم بما يلي : فعسى أن تكون نواة لذلك -- هذه المدرسة التي جئتها اليوم معينة لمديرها الحازم ، ومعلميها الاكفاء — بصلة ملكية ومدشنة لها بعد ما دشنت اختها فى الاسبوع الماضي متمنية أن يسود بين الاختين الوئام ، ويوحد بينهما المبدأ والغاية والنظام — ذلك مبدأ ، وتلك غاية يتحتم على كل المغاربة وبالاخص النخبة المثقفة العاملة أن يلتفوا حولها ، ويذودوا عن كيانهما — متناسين خلافاتهم الحقيرة الشأن ، متكاتفين متآزرين متسامحين ، ولنداء الله ورسوله وأمير المومنين مجيبين (١).

وافتتح حفل التدشين بآي من الذكر الحكيم ، ثم أناشيد ، ثم خطاب الاستاذ محمد بن العربي العلوي ، وقصيدة للاستاذ محمد علال الفاسي ، ثم خطاب المدير الاستاذ أبي بكر القادري ومما جاء فيه بعد فقرات قوله واليوم وقد عزمنا على فتح هذا المركز الجديد الخاص بالفتيات نرى أنفسنا مدفوعين لتقديم مراسم الاجلال والتعظيم لزعيمة النهضة النسائية مولاتنا عائشة إلى أن يقول : فحضورك يامولاتي الاميرة دليل قاطع على ما يرجوه والدكم العظيم من تقدم للفتاة المغربية ، وما يظهر من اهتمام بها وما يعلقه من

١) في هذه الفقرات اشارة إلى الخلافات الحزبية التي كانت مستحكمة بين أصحاب المعهدين ـ حزبية وقومية (شورى) إنها لحق كلمات لا يخفي أثرها الحسن على القلوب الغافلة .

آمال على مستقبلها , وما يود أن يعطيه من دروس حية ناطقة لمن يتناقل عن تعليمها تعليما صحيحاً أساسه الدين الاسلامي الصحيح إلى آخر الخطاب، وكان مسك الختام خطاب الاميرة الملمح اليه قبل (١).

وقبل تدشين — مدرسة الاميرة عائشة العلوية — كان تدشين مدرسة النهضة بمركز الصف يوم الثلاثاء ٤ رجب عام ١٣٦٥هـ — موافق ٤ جوان سنة ١٩٤٦م. من طرف ولي العهد آنذاك المولى الحسن, فقد ألقى بالمناسبة خطابا قيما افتتحه بقوله: بعد الحمد لله والصلاة على الرسول الا كرم — أيها السادة. ان من أعظم الدلائل وأقوى البراهين على حيوية الامم ونهوضها وتطورها — الثبات على العقائد التي اعتنقتها والمثابرة على البرامج التي اختطتها , ومواصلة العمل لبلوغ الاهداف التي تسعى اليها — ويقول بعد فقرات :

وها نحن اليوم تالية للطلب الذي قدمه باسم لجنة المدرسة باشا مدينتكم العاملة(٢)، نجتمع لنحتفل بوضع الحجر الاساسي لهذه المدرسة الجديدة التي ستشيد على بقعة حبسية أنعم بها سيدنا جزاء الله أحسن الجزاء، كما أنعم لها بصلة ملكية كريمة، وستلاقي هذه المدرسة من الاقبال والتوفيق مالقيته سابقتها.

وألقى الاستاذ ابو بكر القادرى مدير المؤسسة خطاباً هاماً جاء

---

١) يوجد بأكمله بخزانة المؤلف. أما خطاب السيد المدير فقد نشر بصحيفة العلم تاريخ ١٤ صفر ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م عدد ١٠٢ السنة الثانية , وقصيدة الاستاذ علال بنفس الصحيفة في ١٥ صفر ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧ عدد ١٠٣ أنظر العلم عدد ١٠٦ في ١٨ صفر ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م فقد تكفل العدد بذكر التدشين عارضاً لافكار الناس حول تعليم الفتاة.

٢) هو الفقيه المرحوم الحاج محمد الصبيحي.

فيه : فى اليوم الذى ندشن فيه المركز الجديد لمدرسة النهضة تحت إشراف سموكم، نرى من الواجب المؤكد ان نعرب لشخصكم المحبوب عما نكنه من صادق الوفاء، وخالص الولاء، لجلالة والدكم المفدى مناط آمالنا، وملجأ أمانينا، ويقول فى الختام : فلنأمل ان نصل بحول الله الى الغاية التي رسمناها لانفسنا، رائدنا فى ذلك نفع ابناء المسلمين، ووسيلتنا التفاني فى خدمة بلادنا ، لاالشيء سوى ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة جلالة الملك. وقد تحدثت جريدة التقدم عن هذا التدشين بتاريخ ٨ شعبان عام ١٣٦٥هـ — ٨ يوليوز سنة ١٩٤٦م.

فلتراجع فقد وصفت الحفل وصفاً واقعياً من جميع جوانبه، وللمدير النشيط كلمة مهمة لها قيمتها التاريخية حول الظروف التي انشئت فيها مدرسة النهضة والذي كان تأسيسها فى الواقع كرد فعل لذلك الظهير البربرى المشئوم (١٦مايه١٩٣٠) اذ لايخفى ان عملا من هذا القبيل الدني، مما قوى فى النفوس أمل الجهاد، وأحيا فيها عرق المقاومة والكفاح.

وقد كان هذا المس الذي شاءت الحكومة ان تمس به كرامة الدين سبباً ناجعاً لايقاظ الهمم، وبعث الحمية المغربية من مكامنها الى آخر الكلمة المليئة إيمانا وحماساً.

تاسيس مدارس محمد الخامس بالرباط وبني دغوغ بمراكش

اثر الاندفاع الحماسي المشار اليه قبل نحو المعلم وتكوين معاهده فى أطراف المغرب، تربى فى نفوس أبناء الشعب المغربي هذا الروح الطيب،

وقوي فى مجموع طبقاته، وأصبح حديث مجالسهم لايفكرون الا فيما يعلي شئونهم، ويرفع مكانتهم، وليس هو عدا العلم والمعرفة اللذين بهما ترفع الراية خفاقة فى كل الميادين مادية كانت أو أدبية، واشتد هذا الحماس أكثر فجلعوا يتكتلون ويتشاورون فى بناء هذا الصرح الثقافى، وتهيىء وسائله والسعي حثيثاً لابرازه الى حيز الوجود، فاستقر الرأى أخيراً على تأليف لجنة اولى احتوت السادة : ١) المرحوم مولاي الطاهر الرفاعي. ٢) عثمان جوديو. ٣) مصطفى بن مبارك — للنظر فى الفكرة جديا والعمل على تحقيقها، وفعلا شرعت تجول مستعرضة عدة أمكنة يمكن ان تصلح لتأسيس معهد شعبي يكفل تعليم الابناء تعليما صحيحاً، ويضمن لهم مستقبلا زاهراً فى ميدان التربية والتعليم.

وبعد تفكير طويل وقع الاتفاق على مقبرة قديمة من مقابر — باب شالة- قرب المسجد الاعظم-(الجامع الكبير) يمين الخارج من المدينة، فلم تلبث اللجنة ان بادرت بالكتب لعاهل البلاد المفدى محمد الخامس رحمه الله، ولوزير الاوقاف شارحة حاجة البلد الملحة لتأسيس مدرسة لابناء الشعب المتعطش للمعرفة، وذاكرة المكان الذى ارتأته لهذه الغاية النبيلة. واثر مدة ورد الجواب الملكي الايجابي بتسليم المقبرة، وتخصيص ١٠٠٠٠ متر منها لتأسيس المشروع. وصباح يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الثانية ١٣٦٥هـ ،وافق ٢٨ مايه ١٩٤٦م اجتمعت بالملك المحبوب محمد الخامس طيب الله ثراه. وأثناء عرض الموضوع قدم لها إعانة مالية افتتاحاً منه للاكتتاب الذى سيكون نواة

كريمة لتأسيس تلك المجموعة من المدارس قدره : ١،٥٠٠،٠٠٠ ف.
ثم اقتضى نظره ـ ان يوسع دائرة اللجنة بادخال عناصر طيبة من مختلف الطبقات – فعين أيده الله السادة – أحمد الزبدي، محمد الجزولي، المؤلف عبد الله الجراري، المرحوم الحاج محمد بن عبد الله، الحاج أحمد الشرقاري، المقاول مصطفى فلال، المهندس عبد القادر فارس، الحاج الطيب الغربي، علال كراكشو، مصطفى بن الفاطمي بركاش.

وللحين أصدرت اللجنة منشوراً ضمنته الاشادة بالعلوم والمعارف على اختلاف ميادينها، وحث الملك المحبوب محمد الخامس على جميع فروعها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً متحدثاً عن المشروع الذي قامت هيأة مؤمنة من سكان العاصمة، والعمل البناء الذي دعمه الملك بمساعدته المادية الكريمة كتتويج له – نص المنشور

الحمد لله

ان من الفضايا المسلمة – ان العلم هو أساس كل نهوض، واصل كل خير، وسبب السعادتين الدنيوية والاخروية، وقد صارت هذه الحقيقة بديهية عند الخاص والعام، وصارت كل طبقات الشعب المغربي تتلهف على تعليم أبنائها، وتتحقق ان سر النجاح فى ميادين التجارة والفلاحة والصناعة ـ هو العلم، وان المغرب فوق كل هذا متوقف على الاطباء والمهندسين، والاساتذة والمعلمين والمحامين. وكل ذلك لايدرك الا بالاقبال على العلم. وان لسيدنا نصره الله الساهر على مصالح امته المادية والادبية ـ الفضل الكبير فى بعث هذه الرغبة فى الامة المغربية بما يسديه اليها فى هذا الباب من النصائح

والارشادات، فهو وفقه الله واعانه ينتهز كل فرصة ليحض المغاربة على الاهتمام بشأن العلم والتعليم. ولاننسى آخر ماحثنا به على التعليم فى خطابه الذي ألقاه فى عيد العرش الاخير(١) اذ يقول نصره الله : تعلموا فأول سبيل الرقي بنى الانسان ـ العلم ووسيلة تهذيب الاخلاق التي عليها مدار العمران ـ العلم، وسلاح مجاراة الاقران ـ العلم.

ولم يكتف بدعوة أمته لذلك بل كان لها أحسن اسوة، واراها سبل العمل المنتج بما أسسه من المدارس، وما أصلح من المؤسسات العملية اعان به الجمعيات الثقافية والطلبة فى الداخل والخارج الامر الذي تلهج به كل الالسنة ثناء عاطراً على صاحب التاج المفدى بالمهج.

وأن من آخر مبراته الجليلة — اجابته جماعة من أعيان الرباط دفعتهم الغيرة على أبناء هذه العاصمة لتأسيس مدرسة تجمع شتاتهم، وتثقف عقولهم، وتهذب أخلاقهم ـ فالتمسو من الجناب العالي بالله الانعام عليهم بأرض حبسية لبنائها، فقابل طلبهم باهتمام زائد إذ طالما تمنى أعزه الله أن ينجز مثل هذا المشروع التعليمي بعاصمته الادارية . وأصدر ظهيراً شريفاً تخصص بمقتضاه قطعة مساحتها : ١٠.٠٠٠ متر من الارض الحبسية المقابلة للمسجد الاعظم بالرباط لتبنى بها مدارس تناسب روح العصر ، وتحبس على أبناء المسلمين ، وعين لجنة للسهر على تنفيذ هذا العمل المبرور، وجعلها تحت اشرافه المباشر، ثم افتتح أيده الله الاكتتاب لتشييد البناء بما قدره : ١٥٠٠٠٠٠٠ فرنك أنعم به من ماله (وفر الله أجره) ليكون قدوة حسنة، ومثالا أسمى. فعلى كافة

---

٢) سنة ١٩٤٦م

أغنيائنا أن يساهموا بمالهم فى هذا المشروع العظيم قياماً بواجبهم — واقتداء بمتبوعنا الاعظم حتى يتم إنجاز البناء على كيفية مشرفة لنا، وضمانا لراحة أبنائنا أحسنوا بتمهيد السبيل للعلم الذي هو وسيلة الرقي والسعادة ـ أحسنوا لتدرك الامة مستقبل الفلاح والسيادة — أحسنوا فالله جل جلاله يقول : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» .

وان ممن تسارع لاجابة نداء الواجب السيد —

الذي تبرع بملغ قدره : . . . . . فرنك جازاه الله خيراً ووفقه وكافة المغاربة إلى ما يرضى الله تعالى، ويثلج صدر أمير المومنين متعه الله بكل خير، وأطال عمره فى الصالحات بمنه وفضله آمين .

ويوم الاربعاء ١٩ رجب عام ١٣٦٥هـ ـ ١٩ يونيه ١٩٤٦م ـ أقيم مهرجان عظيم لوضع الحجر الاساسي للمدارس وبعدما وضع أعزه الله الحجر ـ قام الاستاذ الحاج محمد باحنيني[1] بإلقاء خطاب بالمناسبة، وتلاه الحاج أحمد الشرقاوى، وختاماً التى ولي العهد المحبوب المولى الحسن خطاباً قيما فى الموضوع، ولبست عاصمة الرباط حلة رائقة من أنواع الزينة والفخار.

وبعد شروع المدارس فى مزاولة التعليم ـ زارها المؤلف لاول مرة بصفته مفتشاً عاماً للتعليم العربي بتاريخ ٥ صفر عام ١٣٦٧هـ ـ ١٨ فبراير سنة ١٩٤٧م فكانت نتيجة الزيارة تحرير التقرير أو الملاحظات التالية :

١)ـ اضطراب داخل بعض الفصول اذ لم يحضر معلموها فى الوقت المعين، ولايخفى ما يمكن ان ينشأ عن هذه الفوضى المؤدية أحيانا الى مالا تحمد مغبته.

---

١) الكاتب العام للحكومة ووزير الشؤون الادارية والدفاع اليوم .

٢) البرامج التي وضعتها اللجنة. الملكية والمقدمة لجميع المدارس لم تقسم لاسنويا ولاشهريا، وليس يغيب عن البال ماينتج عن هذا من سوء فى السير، وعدم تقيد المعلمين بالمواد المفروضة فى كل الفنون. ٣) هؤلاء المعلمون لم يتدربوا حتى الآن على وضع المذكرة التحضيرية للدروس اليومية التي من شأنها جمع أفكار المعلم وحصرها فى إطار خاص يسهل عليه مهمة الالقاء فى اطمئنان يبعث على النشاط، ولا عجب ان يبدو أثر الانشراح جلياً فى جانب التلاميذ فيدركوا مايعطاهم من معلومات فى يسر وسهولة. ٤) بالمدارس من التلاميذ لم يبلغ السن القانوني للانخراط فليست لها صبغة مدارس «رياض الاطفال» ومعلوم ان مندوبية المعارف الاسلامية قد أصدرت منشوراً ووزعته على مديرى المدارس من نقطه الاساسية هذه الملاحظة.

نعم إن مدارس محمد الخامس فى نيتها تهيىء فصول ـ لرياض الاطفال ـ كما ذلك بتصميمها الاساسي ٥) بالمدارس بعض المعلمين فى حاجة أكيدة لاجراء امتحان الكفاءة عليهم تطبيقاً للنظم المرعية. ٦) يوجد بها معلمون يجب أن يكلفوا بتلقين القرآن الكريم لاجادتهم تلاوته ورسمه، ويقصروا على تعليمه دون غيره من المواد الاخرى، على اننا نود لو يخصص كل معلم بفصله لا يشاركه الغير فى ذلك فان فى تلوين المعلمين واختلافهم أسلوبا وأخلاقاً ذريعة لاضطراب أفكار النشء المتعلم من جهة، وتوزيع المسؤلية التى يجب أن توحد فيسهل علاج ما يمكن أن يحدث من جهة أخرى .. بيد أن هناك فنونا كالرياضيات والعلوم، واللغات الاجنبية التى تجدنا مضطرين لافساح المجال للمشاركة فى كل الفصول.

٧) يتأكد إدخال تحوير وتغيير فى صفوف المعلمين ينقل البعض من فصول إلى أخرى قد يجدون فيها نشاطهم أكثر

ويكتفي المفتش بهذه الملاحظات القريبة حول دورته الاولى بالمدارس لاول نشوئها ، لاسيما والمدرسة لاول عهدها كثيراً ما يجري فيها امثال ما لوحظ أو أكثر ـ على أنه كلا من مراقب المدارس وناظرها ـ السيدين ١) عثمان جوريو، ٢) والحاج احمد الشرقاوي وبجانبهما اللجنة باذلون جهودهم فى السير بها حسب المؤمل ، وما ينتظره الملك المفدى محمد الخامس من وراء ذلك . مقتصراً على إعطاء نصائح وإرشادات راجياً الجري على موجبها ، والقيام بما تنشره مندوبية المعارف الاسلامية ـ وتصدره القوانين التعليمية ، والتشريعات الاساسية لضمان النتائج المنتظرة من سير التعليم سيراً منتظما ، وفق الله وأعان

ثم لم تمض عدا أشهر قلائل على المشروع المشكور حتى قام أبناء عاصمة مراكش الشقيقة منافسين إخوانهم الرباطيين ومتقدمين فى ذات الوقت للعاهل الجليل بطلبهم راجين فيه من انعامه المألوف اعراتهم التفاته الحميد لتأسيس مدرسة تجمع شتاتهم وتثقف عقولهم، وتهذب أخلاقهم ـ بالارض ـ الجبسية الواقعة بروض العروس المعروف «ببني دغوغ» وعينت لجنة للسهر على المشروع تحت رياسة باشا المدينة الحاج التهامي الجلاوى.

وقد حررت اللجنة كلمة ضمنتها الغاية من المطلب، ولافتة انظار السكان والاغنياء بوجه أخص للاسهام فى المشروع الذى افتتحه عاهل المغرب محمد

الخامس ـ بمساعدته البالغة ٢.٠٠٠.٠٠٠ فرنك وهانص المكتوب :(١)

ان من القضايا المسلمة ـ أن العلم هو أساس كل نهوض واصل كل خير وسبب السعادتين الدنيوية والاخروية ، وقد صارت هذه الحقيقة بديهية عند الخاص والعام ، وصارت كل طبقات الشعب المغربي تتلهف على تعليم أبنائها، وتحقق أن سر النجاح فى ميادين التجارة والفلاحة والصناعة هو العلم، وأن المغرب فوق كل هذا متوقف على الاطباء والمهندسين والاساتذة والمعلمين والمحامين ، وكل ذلك لا يدرك الا بالاقبال على العلم وان لسيدنا نصره الله الساهر على مصالح أمته المادية والادبية ـ الفضل الكبير فى بعث هذه الرغبة فى الامة المغربية بما يسديه اليها فى هذا الباب من النصائح والارشادات، فهو وفقه الله وأعانه ينتهز كل فرصة ليحض المغاربة على الاهتمام بشأن العلم والتعليم، ولا ننسى آخر ما حثنا به على التعليم فى خطابه الذى ألقاه فى عيد العرش الاخير ، اذ يقول نصره الله : «تعلموا ، فأول سبيل لرقي بني الانسان ـ العلم ، ووسيلة تهذيب الاخلاق التى عليها مدار العمران العلم ، وسلاح مجاراة الاقران ـ العلم

ولم يكتف بدعوة أمته لذلك بل كان لها أحسن اسوة، واراها سبل العمل المنتج بما أسسه من المدارس وما اصلح من المؤسسات العلمية، وأعان به الجمعيات الثقافية والطلبة فى الداخل والخارج الأمر الذى تلهج به كل الالسنة ثناء عاطراً على صاحب التاج المفدى بالمهج.

وان من آخر عباراته الجليلة إجابته لسكان مراكش الذين دفعتهم الغيرة

---

١) أنظر الحديث عن هذا التدشين بكتاب المؤلف ـ من تاريخ نهضتنا الحديثة. مخطوط.

على أبنـاء هذه العـاصمة الجنوبية ـ لتأسيس مدرسة تجمع شتاتهم، وتثقف عقولهم، وتهذب أخلاقهم ـ فالتمسوا من الجناب العالي بالله ـ الانعام عليهم بأرض حبسية لبنائها ـ فقابل طـلبهم باهتمام زائد اذ طال ماتمنى أعزه الله ان ينجز ـ مثل هذا المشروع التعليمي بمراكش كما أنجز بعاصمته الادارية، واصدر ظهيراً شريفاً تخصص بمقتضاه قطعة مساحتها ١٠٠٠٠ متر من الارض الحبسية الكائنة بروض العروس المعروفة (ببني دغوغ) لتبنى بها مدارس تناسب روح العصر، وتحبس على أبناء المسلمين، وعين لجنة تحت رياسة الباشا للسهر على تنفيذ هذا العمل المبرور، وجعلها تحت إشرافه المباشر. ثم افتتح أيده الله الاكتتاب لتشييد البناء بما قدره: ٢،٠٠٠،٠٠٠ فرنك أنعم به من ماله الخاص (وفر الله أجره) ليكون قدوة حسنة، ومثالا أسمى، فعلى كافه أغنيائنا ان يساهموا بمالهم فى هذا المشروع العظيم قياماً بواجبهم، واقتداء بمتبوعنا الاعظم حتى يتم إنجاز البناء على كيفية مشرفة لنا، وضامنة لراحة أبنائنا. أحسنوا بتمهيد السبيل للعلم الذى هو وسيلة الرقي والسعادة، أحسنوا لتدرك الامة مستقبل الفلاح والسيادة، أحسنوا فالله جل جلاله يقول «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»(١)

وان ممن تسارع لاجابة نداء الواجب السيد —

الذي تبرع بمبلغ قدره : . . . فرنك جازاه الله خيراً ووفقه وكافة المغاربة الى مايرضى الله تعالى ويثلج صدر أمير المومنين متمه الله بكل خير، وأطـال عمره فى الصالحات بمنه وفضله آمين .

---

١) الآية ٢٦ ـ سورة يونس.

تاسيس المدراس يتتـابع

واذ قوي طموح المغاربة الى التعليم مدركين عن ايمان ان لانجاح لهم فى فى الحياة الا بالعلم ـ هبوا من كل حدب وصوب يسعون عن صدق للعمل على تأسيس المدارس وفتح المعاهد فبصرف النظر عما سبق ـ نجد سعياً حثيثاً هز أريحية عدة طبقات سارعوا الى تأسيس مدارس ومعاهد من ذلك فى الرباط المدرسة المحمدية الحسنية الواقعة بشارع السويقة زنقة الزاوية الدرقاوية أسستها وزارة الاوقـاف، ودشنها محمـد الخامس قـدس الله روحـه فى مهرجان تاريخي عظيم أشرف على تهييئه المؤلف بصفته مفتشاً للتعليم تاريخ الاربعاء ٢٤ قعدة عام ١٣٦٤ موافق ٣١ يوليوز ١٩٤٥م وعين لادارتها الاستاذ مولاي هاشم العـلوي(١) وفى البيضاء تأسست المدرسة الحسنية الحرة لمديرها محمد العلمي، ودشن قسمها الداخلي، وافتتاح دروسها فى السنة الدراسية يوم الاربعاء ٦ قعدة ١٣٦٥ موافق ٢ أكتوبر ١٩٤٦ العاهل المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه فى مهرجان رائع، وألقى ولى العهد المولى الحسن خطـابا قيما كله اشادة بالعاملين والعلم والمعرفة .

كما انه (أعزه الله) دشن المدرسة المحمدية الحرة بنفس المدينة والقى ولى

---

١) ومر التاسيس والتدشين في ضيق من طرف الفرنسيين وحكامهم وعملائهم لحد الزمت معه الادارة الفرنسية ورئيس البلدية المشرفين بتعليق علم الحكومة المثلث ازاء العلم الوطني ، نعم وقع الامتناع الصارم من هذا الازدواج الى آخر ماسجله التاريخ الامين، وكان الباشا آنذاك المرحوم حمادي القباج ومن خلفائه المرحوم عبد الواحد غنام.

العهد أيضاً خطاباً هاماً كله اشادة بالعلم والعرفان (١) وعد التاريخ دشن معملا للنسج للاريحي المرحوم «محمد ابن عمرو» والقى سمو الامير خطابا رائعاً بالمعمل منوهاً بالمؤسسة، ومشجعاً فى نفس الظرف باقي الأثرياء ليقتدوا به ويخرجوا من مأزق التجميد الى ميدان الترويج محركين اليد العاملة ومستنبطين أموالهم واستدرارها بدل حجرها فى ظلمات الخزائن. الشيء الذي دفع بعض المحسنين للمنافسة فى تشييد المعاهد والمدارس، فهذا السيد الحاج بوشعيب الازموري الفرا — يندفع عن ايمان لتأسيس مدرسة حرة — ازاء درب الكبير بالبيضاء. على نفقته(٢) دشنها سمو ولى العهد الحسن حفظه الله صباح يوم الاحد ٨ حجة عام ١٣٦٥هـ موافق ٣ نونبر سنة ١٩٤٦م وتولى ادارتها السيد محمد الشاتي، الذي القى خطاباً بالمناسبة، واثره فاه ولى العهد المحبوب بخطاب ممتع نبه فيه أبناء الشعب الى التسابق فى الميدان وأخيراً قدم هدية ثمينة للمدرسة، وقد جازى محمد الخامس برد الله مضجعه المحسن الحاج بوشعيب على مبرته الكريمة بظهير شريف ـ كتشريف له على عمله المشكور، وكتشجيع لبقية المحسنين على الاقتداء(٣).

كما قام السيد محمد بن الحاج ادريس بن كيران بتأسيس مدرسة اعطيت إسم «مدرسة الامير عائشة» جوار المسجد المحمدي (درب السلطان

---

١) انظره بصحيفة العلم ٧ قعدة ١٣٦٥هـ اكتوبر ١٣٤٦ السنة الاولى.
٢) بناها والحرب العالمية الثانية قائمة والمواد تكاد تكون مفقودة لاتنال الا بالاثمان الزائدة ان وجدت ولا مساعد له الا اخلاصه.
٣) وقد سعى له المؤلف في الحصول على هذا التشريف اذ ناله قبله السيد محمد ابن كيران مؤسس مدرسة الاميرة عائشة بالبيضاء فتأثر اذ لم يحظ بذلك وفعلا احرز على ظهير التشريف في آخر رمضان ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

بالبيضاء، دشنتها الاميرة عائشة(١) فى حفل رائع بخطاب قيم، وألقى مدير المؤسسة ـ الاستاذ محمد الحمداوي ـ خطابا قيما تناول فيه عدة نقط ـ كالتعليم وما كان يقاسيه المغرب آنذاك من أزمات وعراقيل، والاشادة بالعلم ورجاله، وعرض لبعض أقطابه عبر التاريخ.

وقد وصفت صحيفة العلم هذا الحفل التدشيني البديع بعددها : ١٥٧ ـ ١٥٦ وتاريخ ١٣ ـ ١٤ مارس سنة ١٩٤٧ موافق ٢٠ ـ ٢١ ربيع الثاني عام ١٣٦٦هـ. وأثبتت نص الخطابين ـ خطاب الاميرة، وخطاب المدير الحمداوي، وصورة مؤسس المدرسة المحسن بن كيران. ولم يقتصر التدشين على ما ذكر بل احتوى برنامجاً واسعاً فى المقدمة تلاوة آى من الذكر الحكيم، ثم أناشيد وتمثيليات ومحاورات، وحضر العاهل المغفور له محمد الخامس وأسرته فى رواق علوى خصص له (قدس روحه) حيث شاهد الحفل التدشيني الرائع وكريمته الاميرة ترأسه بصحبها صنوه الامير الحسن رحمه الله.

ولا يغفل القلم وهو يسطر صفحات الكفاح الثقافى — بين سدود وقيود الاستعمار الفرنسي الغاشم بالمغرب — ذكر سنة ١٩٤٥م فقد كانت حافلة بتهيىء المعاهد وتأسيس المدارس ـ ذلك أن الملك المرحوم محمد الخامس نور الله ضريحه وهو فى طريقه إلى الجنوب وسوس الحبيبة ـ يقوم بتدشين مدرسة حرة بمدينة سطات مدرسة قام بتأسيسها أبناء البلد السطاطي ـ عاصمة الشاوية ـ بجهود بذلها الاخوان والاخوة الشرايبيون وسواهم من تجار وفلاحي سطات ودائرتها ـ وكان يوم التدشين يوماً مشهوداً فى ذلك البلد

---

١) السفيرة المقتدرة بايطانيا اليوم.

الطيب ، فأثر أناشيد كلها ترحاب واعتزاز بقـدوم الملك المقـدس لتدشـين المدرسة التي اعطيت اسم : «مـدرسة الامير مولاى عبد الله» ثم خطاب الشاب أبي بكر بن الحاج عبد الكريم الشرايبي نيابة عن المدير السيد احمد ابن بوشعيب البهلولي قـام العاهل محمد الخامس فألقى خطابا كله درر وغرر نقتطف منـه ما يلي : فبعد الحمدلة والصلاة على الرسول الاعظم قال : أيها السادة الفضلاء ـ ميز الله جل جلاله ابن آدم بافضل ما خلق إذ جعله خليفة فى الارض وأعده لتدبير شؤون ما خلق ، وفضله على سائر المخلوقات بالعقل ـ ذلك الجوهر النوراني الذى ميزنا به البارى عز كماله ، ولا وسيلة لشكره سبحانه على تلك النعمة أفضل من تنمية العقل ، ولا ينمي العقل مثل العلم،

تعلمون أنه لا رقي للامم إلا بالعلم، ولا سعادة للبشرية بدونـه ، فالعالم حي دنيا وأخرى، ـ والجاهل ميت فيهما ، وكل ما ينفق فى نشر العلم موفر أرباح ، ودعامة لهيكل الفلاح ، إلى أن قال فى الختام :

فسارعوا إلى تعميم رياض العلم ازدهاراً، لتجنوا بفضل الله أحسن النتائج ثماراً، وابذلوا كل الجهود فى تعليم البنين والبنات«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»(١)

ثم من سطات الجميلة ـ إلى مراكش .

---

١) أنظر نص الخطاب الـكامل • بصحيفة السعادة ـ لسان الحكومة آنذاك عـدد ٦٣٤٢ سنة ٤٢ الاثنين ربيع الاول ١٣٦٤هـ ١٩ فبراير ١٩٤٥م .

الرحلة الى مراكش

حل الركاب الملكي بعاصمة لمتون[1] فكانت بها أيام مشهودة تجلى فيها النشاط الثقافى بأجلى مظهر — مدارس حرة تفتح هنا وهناك — فمن مدرسة الفلاح المحسن المرحوم مولاي أحمد البعمراني بباب دكالة ـ درب الحلفاوى الى المدرسة العبدلاوية الحبسية بالباب نفسه، ومنها الى القصبة حيث دشنت مدرسة أخرى لنفس المحسن الباعمراني كان يديرها الشاعر المدني الحراوي، الذى فاه بكلمة ختمها بقطعة شعرية فى الثناء على همة الزائر الكريم.

ومن المهرجانات الرائعة المهرجان الذى جرى بكلية ابن يوسف وتبارى فيه الطلبة بإلقاء أناشيد ومحاورات خاصة المحاورة الشعرية التي دبجها يراع المرحوم الشاعر محمد بن ابراهيم «بين القديم والجديد» امام سمو ولى العهد المولى الحسن اذ جاءت فى صورة رواية ممتعة[2] كما يلي :

يجتمع فريق من طلبة ابن يوسف فيختلفون على الطريقة القديمة والجديدة فى التعليم وأيتهما أجدى وأنفع ؟ فيحتكمون إلى واحد منهم جعلوه شيخاً محكما فيما جرى بينهم من خلاف ، ويسألونه القضاء بما يراه حقاً وصوابا قائلين من أبيات :

أيها الشيخ سلاماً اننا قد أتيناك لتقضي بيننا

ويقضي الشيخ بأن يتقدم اثنان ليمثل كل منهما رأى فريقه فيقول :

---

١) الدولة المرابطية (دولة التاسيس والبطولة).

٢) يستغرق تمثيلها حولي نصف ساعة

انظروا اثنين منكما لينوبا عنكما فى حواركم بوقار
ربما ضاع فى الضجيج صواب وحوار اثنين حير حوار

ويتقدم الممثلان فيسأل الحكم صاحب القديم عن اسمه ـ فيجيب :

عمر اسمي غير انـي لست أدرى اسم رصيفي

فيسأل الحكم نصير الجديد كيف يسمى ويقول :

أنت قل لي بم تدعى يا نصـــــيراً للطريف ؟

فيجيب قائلا :

إن تسل يا شيخ عني إنني عبـــــد اللطيف

ويدعو الشيخ عمراً ولا لينصر رأيه ، فيتكلم بما عنده ، ثم يدعو بعده عبد اللطيف ، فيأخذ فى نصرة رأيه ، والدعوة إلى نبذ القديم ، ويتحدث الثلاثة فى حوارهم شعراً من غير فاصل، فيرى الشيخ أن الامور انما تكون قيمها فى نتائجها ، فيتوجه إلى عبد اللطيف ويسأله عن المدة التى قضاها فى الدراسة قائـلا

عبدا للطيف اعترف ❀ كم سنة مكثت فى ❀ كلية ابن يوسف

فيجيب عبد اللطيف :

ثلاث سنين مكثت بها ❀ حريصاً على العلم منتبها ❀ اعي كل ماقددرست وما
بغيره لي كان مشتبها

فيسأله الشيخ عن كنه ماحصله قائلا :

ومـابهـا درست إن العلوم شتى ؟

فيجيب عبد اللطيف :

درست الفقه فيها والاصولا ❀ وعلم بلاغة درساً جميلا

ويسرد أسماء عدد من المواد والفنون، ثم يقول أخيراً :

واني للجواب لمستعد ❀ اذا ما كنت لى فى ذا سؤولا

وليس سوى امتحان المرء يبدى ❀ صحيح القول منه والعليلا

ثم يلتفت الشيخ الى عمر سائلا :

عمر قل لى انت ❀ فى الاخذ كم مكثتا

فيجيب عمر :

مكثت عشرين سنة ❀ دروس أخذ متقنة

بطرق مستحسنة

فيسأله الشيخ :

وما على ذاك النمط ❀ درست قل دون شطط

فيجيب عمر :

والنحو والفقه فقط

ثم ينتهي الحوار باعتراف عمر بعقم الطريقة العتيقة ويقول :

لقد حصص الحق وانكشفا ❀ وبان الصواب وزال الخفا

لذاك فإني له منصف ❀ ولى شرف ان اكن منصفا

ولكن لماذا مضت وانقضت ❀ عصور وذا السر عنا اختفى

ولم يبد الا أخيراً فمن ❀ يكون جوابه لى مسعفا

ويشاركه فريقه ذلك الاعتراف، ويهتف أنصار الجديد بهذا النشيد الذي يكون ختاماً وجواباً مطلعه :

قـد بـدا لمـا بـدا ❀ خـير عصر شهـدا

عصر نـور وهدى ❀ عصر مولانا محمـد

وبانتهاء النشيد تنتهي القصيدة.(١)

ومن الـكلمات التى ألقيت فى هذا الحفل العلمي الرائع ـ كلمة للطالب محمد رحال التى كانت كلها تفكير وخيال قال :

الحمد لله وحده

فاذا انجد. .؟

.احساساً رقيقاً ، عاطفة مبتهجة ، خيالا صافى الافق، مترقرق الاشعة ، هادىء الجو تسبح فى فضائه الصافى المترقرق آمال لطيفة لماعة فيرق الاحساس وتبتهج العاطفة، ويكتسب الخيال من نور انيتها صفاء ووضاءة.

فترى الوجدان ، وهو كليها العام ، يعمل لغاية واحدة هى : الابتهاج هى وضاءة ، يعمل لرقي الروح فيرتقي بها إلى عالم الآمال — ذو الاشعة البسيطة على أديم هضبات الخيال الاخضر اليانع الاطراف، المتفجر العيون الصافى الافق.

يزهو الاحساس والعاطفة والخيال ويشاركها فى الزهو الفكر ـ لان لهذه اللطيفة الخاصة ممنونية عليه ، تؤثر عليه تأثيراً طبيعياً فيشارك العاطفة فى جميع نزعاتها.

هذا إحساسي ! هذه عاطفتى، وهذا خيالى وفكرى وجهني

١) راجع كتاب «شاعر الحمراء في الغربال» ـ لاحمد الشرقاوي اقبال ـ مراكش المطبوع بمطبعة الجامعة ـ الدار البيضاء.

الكل الى اتجاه واحد أسمى . وهذا وجدان كل اخواني الطلبة، والأخوان على قلب واحد ، وعاطفة واحدة ، وشعور متحد ذلك الاتجاه المستقيم هو الاتجاه ـ عطف سموكم يا ولي العهد ـ فنراكم فى رأى قلب أكبر جاش لنبض أكبر مهدئ لخفقانه، ونراكم فى رأى العاطفة ولكم بهاء نوراني لانهائي إلا أشعة براقة لماعة تمرح العاطفة فى لانهائية مهتدية بأشعته الخلابة الموجبة حنانا ، ثم نراكم فى رأى الفكر، وأنتم قادته الاكفاء فى بيد الرقي وشم جبال العلا البيد فالبيد ، والمسك بعد المسك .

فوجودكم بيننا نحن الطلبة معناه تجديد العاطفة الكامنة، تجديد الرأى الفكر الراسخ معناه الايمان بخطة الرقي والمجد، تلك الخطة التى أولها فتح البيد، وآخرها ركز علمنا على قمة ذلك المجد، وذلك الرقي

معناه : احتذاء النعل بالنعل فى الوسيلة العامة لكل المقاصد، تلك الوسيلة التي تذكى الفكر وتطرد عنه الخناءة، تلك الوسيلة التي تثير العاطفة وتطرد عنها الاطلخمام. والتي تصير غالب خطة — الفكر — اقصر بعد بين نقطتين. ولامقصد الا بعد اتقان الوسيلة الاولية . العلم. والا صرح فى الاقتداء فى تلكم الوسيلة . ان الطالب جنبي للجميع ـ والطالب له معناه الخاص ، له أول وآخر، وخرق معناه : والذهاب فيه الى غيره تدافع مردود.

مولاي ولي العهد المفدى

أولئك طلبة الكلية اليوسفية امامكم ـ فانظر إليهم بعين العاطفة ـ تجد عواطفهم الرقيقة قد سطرت على جبينهم الوضاء الراشح ذكاء ونبلا — احرف من النور سبك تركيبها سبكا عاطفياً. ودل مدلوله بطريق الوحي

العاطفي فكان لغة العاطفة. أحرف لم ترسم الا للتعبير عن شكركم والاعجاب بكم فلم تكن الا لكم. انظر اليهم بعين القلب تجد قلوبهم تعبر بلغة الخفقان على التعلق بكم. تجد قلوبهم وقد أصدرت أمرها لذواتكم كلها بالاتجاه نحوكم والخنوع أمامكم واذا بهم متجهون نحوكم خانعون أمامكم انظر اليهم بعين الفكر ـ تجدهم فى تنظيم متناسق يشهد له الذوق تجدهم موقعين ألحان العاطفة ونغماتها على اوتار المنطق السليم. فاطربوا بوقعهم العاطفة والفكر. وارقصوا بوقعهم الآمال اللطيفة الخلابة فى جو الخيال الصافى الهادىء ـ فإن هتفوا بحياتكم ـ فإنه هتاف باسم العاطفة. لانكم أبهجتموها. وباسم القلب لانكم جذبتموه بما يصح جاذباً للقلب. وباسم الفكر. لانكم قد اعطيتموه خطة ملموسة النتيجة غزيرة المادة. قوية الانتظام. وباسم الآمال لانكم جعلتم لها أبهر مسرح من نور وسط مروج الخيال الفيحاء(١).

وختاما ليحي الملك المحبوب. وليحي ولي العهد المفدى ـ الكلية اليوسفية ـ محمد رحال.

واثر هذه الكلمة الخيالية تقدم الاستاذ مولاي الطيب المريني فالقى قصيدة يائية نقتطف منها مايلي :

ارى الوجد لا يزداد إلا تماديا ❀ فلا تبتئس قلبي اذ كنت عانيا

فلا تكثر الشكوى فما ندم امرؤ ❀ على حادثات الدهر لله داعيا

تجلد ولا تحزن فانك واجد ❀ من الدهر ماتصبو اليه علانيا

---

١) كلمة يبدو على نسجها اضطراب قد يكون عن عجله في الوضع يضاف لذلك مابها من غريب.

افق وانتظر ما قد تراه فإنني ❀ رايت الامور اليوم تجرى كما هيا

الى ان قـال :

امير يري ان السيادة تبتغي ❀ جهودا عظاما قد تلين الرواسيا

فابدى النشاط فى العلوم بهمة ❀ بها أدرك الاجداد ما كان خافيا

إلى آخر القصيدة. كلية ابن يوسف مراكش، الطيب المريني حفظه الله.

ومن المهرجانات الثقافية بعاصمة الجنوب — زيارة المدرسة الصناعية — بعرصه المعـاش فقدالقى مديرها كلمة موجزة كلها ارتيـاح وإخلاص لجناب الملك المعظم.

ومنها زيارة سمو ولي العهد الحسن ـ مدرسة البـاشا حيث القى كلمة منها :

إخواني الاعزاء ـ كلفنى سيدنا المؤيد ان ازوركم حيث لم يساعده الوقت على ان يقوم بذلك بنفسه، وحملني تحياته اليكم مع حثه القوي لـكم كي تجدوا فى طلب العلم، وتحصلوا ماتكونون به رجال الغد الذين تنتظر منهم البلاد ان يرفعوها بعلمهم واخلاقهم وسعيهم المتبصر المفيد الى آخر الخطاب. وممن تكلموا فى حفل الزيارة ـ الاديب الشاعر المرحوم احمد النور مدرس العربية ـ بقطعة يقول فيها :

يا دليل النشء فى سبل العلا ❀ وسنا هديهم عند السرى

وأما مـا جـد فى تعليمهم ❀ كيف يسمون إلى أعلى الذرى

زرتنا يا نابغ العصر كما　　زار طل المزن روضا مزهرا

فشذا لما انتشت أزهاره　　عند ليب الروض لحنا مبكرا

هذه مدرسة الباشا وقد　　زرتها حق لها أن تفخرا

انظروا صوب فناها تجدوا　　كل وجه ضاحكا مستبشرا

واسمعوا روح المسرات بها　　نغما كالنسم الطلق جرى

دمت يا مولاي مرعيا لدا　　صاحب العرش رضيا مكبرا

دمت يا مولاي فى أفق العلا　　فى سماء المجد نجما نيرا(١)

ثم زار جناب العاهل فى ركابه ـ مدرسة البنات المسلمات بسيدي عبد العزيز ـ حيث كانت تنتظره بها مديرة المدرسة، والمؤلف بصفته مفتشا عاماً لمدارس ـ البنات بالمغرب، وبعد هنيهة من حضو رسمو الاميرة عائشة ـ وصل ركاب الملك المعظم وبادرت فتاتان فقدمت إحداهما باقة لجلالته، والاخرى لصاحبة السمو، ثم ألقت إحدى التلميذات كلمة ترحيب، ثم خطاب سمو الاميرة وختم الحفل بالنشيد الملكي.

زيارة سوس

بعد الالتفاتات العرفانية الكريمة قصد المغفور له محمد الخامس سوس العزيزة ـ أكدير ـ تارودانت ـ تيزنيت وسواها من النواحي السوسية، ففتح

١) يقول صاحب القطعة ـ انه نظمها قبل قدوم صاحب السمو للمدرسة بدقائق .

غدة مدارس ودشن أخرى. ومن أدباء سوس الذين تفتقت قريحتهم للقول بهذه المناسبة الشاعر عمر بن ابراهيم قال :

ازهر ربي تفتح بالرسيس فاد كمن يميد بخندريس
ام الورد المفتق تحت عين بمقلتها سبت قلب الرئيس
بلى سعد المليك بدا لسوس فاتحفه بمقدمه الانيس
فثغر النصر يبرق كل حين لمغربنا المحبب كالعروس
وباد الجهل وابتهجت قلوب على رغم الزمان بذا الرئيس
أمير المومنين لقد فرشنا سواد العين مع مهج النفوس
ويا كهف البرية قد شربنا محبتك الصميمة فى الكئوس
ويا إنسان مغربنا المفدى وحامي حوزة الدين الاسيس
بك الايام قد سعدت وتاهت بك الاوطان نابذة العبوس
بذلت العمر فى نشر المعالي فاحيا الدين سعدك بالعميس
فتوج سوس يا ملكا مطاعا بتعمير المعاهد بالدروس
أدام الله دولتك السعيدة وأخصبها الدهور بلا نحيس
وملكك الالاه ولى عهد تدوم به السعادة للنفوس
لقد طابت حياتي ولذ عيشي بطلعة عرس مغربنا النفيس
فهذي فكرة البدوى زفت إليك قصيدة مثل الخبوس

تجشمت القريض بلا عروض ولا لغـة ولا معنى نفيس
ولكن حبكم فرض أكيد لذا نضحت بودكم الرسيس
فإن نالت من المولى قبولا فقدسعدت بمنشئها(١) القسيس
عليك تحيـة ما قال صب أزهر ربى تفتح بالرسيس(٢)

وعقب هذه الزيارة السوسية الميمونة التي اكتسبت صبغة المعرفة فى السبق،والتي كانت لا تخلو ضمنياً من تفقد أحوال تلك الاصقاع البعيدة والنظر إليها اقتصاديا وسياسياً وثقافياً فى المقدمة(٣).

عاد معرجاً على مدينـة آسفي (حاضرة المحيط الاطلسي) كما يقول عنهـا ابن خلدون التي كان أهلها ينتظرونه بفارغ صبر خاصة العلماء والطلبة وأبناء المدارس والكتاتيب القرآنية الذين تلونوا فى الترحاب والاناشيد بما طبع المدينة بطابع حماسي مشهود سجله التاريخ للآسفيين الاحرار،بمداد الفخر والاكبار ـ فزار مدارس ومعاهد باعثاً فى نفوس النشء المتعطش جذوة الاقبال على المعرفة فى حماس وشوق.

علاوة على الاقبال الحار الذى خصه به رجال السلطة المحلية من قواد وشيوخ ومقدمين ورجال الادارة الآسفية ودوائرها كعبدة واحمر (٤).

١) من قرية اولوز.
٢) قصيدة لاباس بها وبعواطفها غير أن قوافيها مفككة لا نسجام في بعضها
٣) فكانت تقاسي من خبث الاستعمار الفرنسي ومرائره ضروبا من الشدة والضيق.
٤) مع الحيطة التي كانت سلطة الحماية هناك تتخذها خوفاً مما يمكن أن يظهر من حماس الوطنيين الذين كانت آسفي تتوفر على هيـأة طيبـة لا تعرف هوادة في الدفاع عن مصالح الوطن والذود عن حياضه.

الى مـدينة الجـديدة(١)

ومن آسفى الى الجديدة التى عاشت هى الاخرى حياة ثقافية، وعاشت يومين خالدين ـ دشن فيها الملك المحبوب مدرسة التهذيب الحرة التي كانت تشرف عليها هيأة وطنية من أبنائها كقاسم العراقي وادريس المسفر أحد أساتذة المدرسة الذي قام فحيى الملك المعظم بالخطاب التالى :

مولاى صاحب الجلالة ـ

انني باسم الهيأة المشرفة على هذه المدرسة القرآنية وهيأة الاساتذة ـ أتقدم بكل خضوع ـ وإجلال شاكراً لجلالتكم هذه العناية الفائقة بالعـلم ، وهذا الشرف العظيم الذى أوليتموه لمدرستنا مما سيكون ان شاء الله أكبر منشط لنا على القيام بواجب تربية ناشئتنا على نحو مايامرنا به سيدنا نصر الله فى كل المناسبات، وستبقى هذه الزيارة الشريفة دائما نصب أعيننا تذكرنا بما هو ملقى على عاتقنا ـ من وجوب بذل كل الجهود لانتشال أبنائنا من الجهل، وإنارة عقولهم وتربيتهم تربية موافقة للمبادىء الاسلامية السامية، ولما تستوجبه روح العصر من الجد والعمل والاقبال على المشاريع العـامة حتى نكون أدينا بذلك بعض مايحتمه علينا ديننا الحنيف.

فالله تبارك وتعالى ـ يجازيـكم عن هذه الامة التي تسهرون على مصالحها

---

١) كانت تعرف قبل ـ بالبريجة والمهدومة ولمـا جددها خليفة المولى عبد الرحمن على دكالة الشريف محمد بن الطيب الذي كان حاجبي السيف. وصاحب الكلاب المحلة المعروفة «بالقناجر» اطلق عليها : اسم «الجديدة».

بكل هذه العناية ويحقق آمالكم وآمال شعبكم المخلص فى ولي عهدكم فخر الشباب، وشبل الامراء المولى الحسن، ويحفظكم بما حفظ به الذكر الحكيم، انه على كل شيء قدير. والسلام عليكم ورحمة الله.

بعد هذا الخطاب قدم العاهل الكريم للمدرسة الحرة قدراً من المال قائلا : هذا على سبيل التشجيع فقط ـ وختم الحفل بنشيد الوداع.

وكان الخطاب هذا اثر أناشيد الآ حيب وتلاوة آيات بينات من الكتاب العزيز، وتقدمت ثلاث فتيات حيين العاهل الكريم بكلمات مؤثرة نقتصر على احداها للآنسة ـ ثريا الهلالية ـ :

مولاى ان ثمرة مجهوداتكم فى تعليم الفتاة قد أتى بالنتيجة الحسنة، لذا أتقدم لجلالتكم بكل خضوع واحترام نيابة عن سائر فتيات مدرستنا ـ شاكرة سعيكم الموفق دام الشعب المغربي سعيداً بكم وبأنجالكم آمين.

ومن المدرسة الحرة إلى مدرسة البنات الرسمية (١) ـ فزارها فى ركابه الموقر ورجال السلطة والدائرة حيث اقتبل اقتبالا حاراً من طرف تلميذاتها — بأناشيد واعية ، وترحاب حار ، وبعد الطواف على أقسامها ـ فاه مدرس اللغة العربية بخطاب بين يدى العاهل نصه

مولاى أهدي لجلالتكم أشرف التحيات المشمولة بالرحمات والبركات مبديا سروري باستقبالكم ونائباً عن كل من بالمدرسة متشكراً لاهتمامكم واعتنائكم بشؤون أمتكم المغربية ـ خصوصاً هذا المشروع الجليل الذى سيبقى ذكراً مخلداً فى التاريخ جيلا بعد جيل ـ ألا وهو مشروع نشر العلم والتربية

---

١) كان المؤلف يشرف على هذه الحفلات الثقافية بصفته مفتشا عاما للتعليم بالمغرب.

للناشئات اللاتي كن يتجرعن من كاس موت الجهل سكرات، مذ وضعن من بطون الامهات إلى أن يصرن أمهات، والآن بفضل مجهوداتكم أتى لهن الدواء، وعلى الله تمام الشفاء. وان الامة جميعها مغتبطة لهذه المزية التى فاقت كل مزية والحمد لله — لقد انقشع من العلم الغبار وتفتحت الابصار — فجلالتكم أول من أحيا هذه السنة، امتثالا لقول سيد هذه الامة المحمدية : من أحيا سنتي عند فساد امتي فله أجر مائة شهيد(١) فأجرها بفضل الله فى صحيفتكم مسجل، والله لايضيع أجر من أحسن عمـلا . وادعو الله من صميم الفؤاد، متوسلا إليه بشفيع الخلق يوم التناد ـ أن يؤيدكم بنصره المبين ، ويتولى أموركم بما تولى به أمور عباده الصالحين ، ويحفظكم فى أشبالكم وحشيتكم خصوصاً ولي عهدكم الحسن حفظه الله .

ثم وقع الختم بنشيد الوداع

زيارة فاس البيحاء

بعد زيارة الجنوب وسوس وسواهما من المدن ـ التفت اعزه الله الى ناحية الشمال.. فى أوائل سنة ١٩٤٧ ـ توجه اليها قاصداً فاساً العلمية ، وكانت جامعة القرويين فاتحة الزيارة اذ طاف على حلقات ـ الدروس واحدة واحدة (ورحم الله الاستاذ محمد العلمي الفلكي) (٢) ـ فقد كان موضوع درسه ـ

---

١) في الجامع الصغير : من احيا سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معي فى الجنة اخرجه السجزي في الابانة عن انس، وهو حديث منكر كما للعزيزي على الجامع. وفي الباب احاديث باسانيد لينة كالنص المثبت فى الخطاب.

٢) توفى يوم الثلاثاء تاسع وعشري رمضان ٢٩ عام ١٣٧٣هـ موافق فاتح يونيه سنة ١٩٥٤م. ترجمه المؤلف فى كتابه الجديد: التاليف ونهضته بالمغرب فى سلسلة المعاصرين.

المطالع الفلكية والبلدية ومطالع الوقت ـ وبوقوف الماهل على حلقته صادفه الحال يقرر المطالع، ومن براعته ان تخلص فى تلك اللحظة الى طالع اليوم ـ يوم الزيارة ـ فكان سعيداً ميموناً تيمن به الركب الملكي أيما تيمن :

تفاءل بما تهوى تنله فقلما ❀ يقال لشيء كان الا تحصلا

وأثر الطواف جلس الماهل فى صدر المحراب ـ وألقى الاستاذ علال الفاسي قصيدة نوه فيها باعمال الماهل وبرسالة الجامعة عبر التاريخ فى شتى الميادين العلمية والفنية.

ومن القرويين توجه الركب جميعه الى المدرسة المحمدية الواقعة ـ بعقبة الفيران ـ فدشنها كمدرسة حرة ـ وبعد القاء مديرها السيد عبد القادر زمامة كلمة بالمناسبة ـ فاه الماهل بخطاب هام نوه فيه بالعلم والمعرفة ومعاهدهما كان له صدى حميد ـ فى الوسط المغربي عموماً، والثقافى الحر خصوصاً.

وفى نفس التاريخ دشن أعزه الله مدرسة ابن كيران الحرة، كما دشنت سمو الاميرة عائشة مدرسة ابن غازى الحرة التى يديرها الاستاذ محمد ابن عبد الله بخطاب حث فيه على العلم والمعرفة لافتة الانظار إلى مراعاة الفتاة المغربية والعناية بتعليمها تعليما يرفعها إلى المستوى اللائق بها كامرأة ستحمل عبء التربية والتدبير لبيت ستكون ربته فى المستقبل القريب

وفى إحدى عشايا التاريخ توجه نحو الاحسان والرفق بالمعوزين ومساعدة العجزة وكل من عضه الدهر بناب العوز والفقر ـ فزار الملجأ الخيرى هناك حيث استقبله رجال الجمعية استقبالا حاراً وقدم إعانة مشرفة من ماله الخاص

من طبعها أن تهز من أريحية المحسنين فيندفعون عن طواعية وسخاء للبذل والعطاء إنقاذاً لاخوانهم الفقراء والمساكين ـ من ويلات العرى والجوع والمرض والجهل.

إنها لزيارة كريمة عاشت لها العاصمة العلمية أياماً سعيدة أشرقت لها الارجاء انبعاثا وحيوية قد لاتستطيع أن تخطو خطواتها الموفقة دون أن يكون لها هذا الهدف أولا وآخراً

الرحلة الى طنجة سنة ١٩٤٧
وما كان لها من اثر سياسيا وثقافيا

قبل ان يحل ركاب محمد الخامس قدس الله روحه بمدينة طنجة ـ جعلت تستعد لاقتباله بأنواع التزيين سواء فى ذلك المعاهد والمدارس والمساجد، والدكاكين والدور والبنايات العمومية واضعة أقواس النصر فى الشوارع التي سيمر منها الموكب، ومهيئة الهدايا اللائقة بالزائر وسمو الامراء منها ـ سيف ذهبي مرصع، ونسخة قيمة من القرآن الكريم (مصحف) ومنها ماتقدمه كهدية ـ الكشفية المغربية الطنجية، بذلة وشارات كشفية الى ولى العهد المولى الحسن، ومنها سيارة أنيقة مزودة بأحدث الاجهزة، وأطرف التنميقات استجلبتها الجالية اليهودية من أمريكا لتقدمها هدية الى عاهل المغرب بمناسبة الزيارة، كما ستهدى الجالية اليهودية هدايا أخرى ثمينة، اما سكان تطوان فسيهدون علبة ذهبية تحتوي على تراب ضريح المجاهد الكبير المولى عبد السلام، واما نساؤهن المسلمات فسيقدمن إكليلا مذهباً الى

سمو الاميرة عائشة.

وبمناسبة الزيارة فإن اكثر من ثلاثين داراً للسينما فى فرنسا والمغرب والخارج ستوفد مندوبين عنها ليرافقوا الملك فى رحلته الميمونة،وقد أوصتهم بملازمة الابـداع فى أخذ الصور التي سيلتقطونها للعاهل، ولصاحبي السمو ولى العهد والاميرة عائشة أثناء تنقلات الموكب الملكي.

ففي سابع أبزيل سنة ١٩٤٧ — كانت رحلة محمد الخامس ـ إلى عاصمة البحرين، وعروس الشمال الجميلة طنجة المحبوبة، وأثناء الطريق زار «أصيلا» العتيقة ـ فاقتبله النائب السلطاني وخليفته بالشمال ـ المولى الحسن بن المهدي وأقيمت حفلة تـكريم للزائر الكريم، وألقى الخليفة المولى الحسن بن المهدى كلمة بين يدي الملك منها : «صاحب الجلالة ابتهجت هذه الربوع وحق لها أن تبتهج بما أوليتموها من شرف إقبالكم عليها ، ولقد رقصت ومن حقها ان ترقص فرحاً بقصدكم إليها إلى آخرها(١) كما قدم فيها الخليفة السلطاني إلى الملك المرحوم ـ الاديب رضا الله ابراهيم الالغي ـ فألقى بين يديه قصيدة دالية كلها غرر ودرر مطلعها :

اى يوم واي حفل ومشهد هذا يوم مؤرخ ومخلد
ياله منظرا وروعة مرأى يحسر الطرف دونه وهو يشهد
منظر يبهر النفوس ويلقى هيبة فى الفؤاد مهما تجلد
مظهر الملك والمهابة والتا ج فاعظم به وبالخلق حشد

١) توجد بجريدة العلم تاريخ ١٢ ابريل ١٩٤٧ عدد ١٦٢ السنة الثانية.

دونه مظهر الشموس اذا ما ترقى فى افقهـا وتصعـد
اين منه الخضم يزخر بالمـو ج وفيه الدوى ارغى وأزبـد

الى ان يقـول :

البس المغرب الاشم لبوسا ضافيا حاكه التفاني واوجد
وكساه من المعـارف حتما حللا لا ترث بل تتجدد
ويقول:حرر العلم من قيود ثقال ثم التى بالجهل فيها وقيد
كل يوم للعلم صرح جديد وبنـاء المكرمـات يشيد
قد امد الالاه فى عمر شعب كاد يفنى وكاد بالجهل يلحد

الى ان يقول فى الختم :

فله فى حقل الثقافة كم غر س وفى روضة المعارف كم يد
لهج الكل بالثناء عليـه وتمنوا له دواما وسرمد(١)

وعشية اليوم فارق العاهل المعظم أصيلا متوجهاً الى طنجة وبضواحيها وجد الجماهير مصطفة يمنة ويسرة تنتظره بلهف وشوق فدخلها وقد اكتظت جوانبها بالمستقبلين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم والـكل يهتف بحياته وحياة المغرب . وقدم له المندوب السلطاني السيد محمد التازي لدا الدخول الثمر والحليب حسب التقاليد المرعية.

وقد رافقه فى الرحلة ـ وزراء الدولة وباشواتها وقوادها الممتازون.

أما الفرنسيون ورجال الحماية ـ فقد ضربوا سداً منيعاً على المغاربة فى كل

---

١) عن جريد الاخبار عدد ١١٩٣. ١٨ جمادى الاولى ١٣٦٦هـ،موافق ٩ ابريل ١٩٤٧م انظرها بالجريدة كاملة. توجد بخزانة المؤلف.

مدن المغرب ومنعوهم من الذهاب إلى طنجة إلا بجواز وإذن خاص ، ولمن أرادوا أن يمنحوه الرخصة لالكل من طلب، بل وصل الغيظ الاستعماري إلى حد — ان الحكومة حاولت عرقلة الرحلة الملكية إلى طنجة — فأثارت فتنة بمدينة الدار البيضاء عشية الاثنين سابع أبريل من السنة (١٩٤٧) ابتداء من الساعة الثالثة نشأ عنها حوادث دامية ذهبت ضحيتها نفوس بريئة(١) لكنها محاولة باءت بالفشل فقد مضى الملك المعظم فى إنجاز الرحلة التي كانت رغم كل ذلك موفقة كما سنرى .

فصباح يوم الخميس قصد الملك قصر المندوبية بطنجة الواقع إزاء — السوق الداخل — حيث كانت الهيئات المخزنية (الموكب السلطاني وزراء وكتاب وباشوات) وباقي المدعوين من أعيان مسلمين وغيرهم من إسرائيليين ورجال السلك الدبلوماسي من مختلف الدول — إذ كانت طنجة مقر السفراء بصفتها عاصمة دولية ـ كان الجميع فى انتظاره ، وفى هذا الظرف صرح الملك تصريحات مهمة أمام السفراء قائلا :

« فى هذا الاجتماع الحبي الذي يضم ممثلي الدول الصديقة ، يسرنا أن نوجه لكم عبارات تشكراتنا الخالصة على ما أبديتموه لنا فى هذه المناسبة التأريخية ، وعلى ما أظهرتموه للشعب المغربي بأجمعه . فلا عجب فى ذلك لان المحبة التى تربطنا منذ عهد قديم قد بناها أجدادنا المقدسون على عهود صادقة فانراجع صفحات التاريخ فإنه يشهد بذلك .

أنتم على علم بأن المغرب شارك فى الحرب الاخيرة بأبنائه وبجميع

---

١) يراجع كتاب المؤلف ـ من تأريخ نهضتنا الحديثة ـ مخطوط ص ٦٣ ـ ٦٤ .

ما لديه من الوسائل حتى حصل على النصر النهائي،ولما صارت الامم تطالب بحقوق تناسب الوقت الحاضر ـ فمن الحق أن ينال الشعب المغربي حقوقه الشرعية ، وأن يقع تحقيق ما تتمناه ويتمناه الشعب المغربي من المطامح التى يتوق إليها كسائر الامم ملمحاً فى الاثناء إلى الجامعة العربية ، وعارضاً للروابط الوشيجة التى تجمعنا واخواننا العرب بوثيق الصلات ومتين الاخوة، واثر ذلك الخطاب التأريخي الخطير ـ استقبل الوفود على اختلاف حيثياتهم كرؤساء الاحزاب وسواهم ، وكان فى هذه الاثناء يستمع فى إثارة إلى كل ما يبدون من آراء وأفكار ترمي فى أهدافها الى السمو بالمغرب ، والسعي فى وجد الى تحريره وانقاذه من براثن الاستعمار الغاشم.

وعشية الخميس العاشر من الشهر — كانت زيارة ولي العهد — لمعهد مولاي المهدي ـ بطنجة الذي كان يديره الاستاذ محمد المكي الناصري رئيس حزب الوحدة ـ آن ذاك ـ فى مهرجان رائع، فبعد ترتيل آي من الذكر الحكيم وأناشيد ملكية وعهدية ووطنية اتبعت بكلمة تلميذ باسم إخوانه يقول فيها : لقد كتب الله الخلد لمعهدنا، وشاءت العناية الالهية ان تتكرموا بزيارتنا هذه الزيارة التي طالما منينا أنفسنا بها، وكان الالهام الصادق يوحي الينا ان يوم السعد لقريب. وان ساعة اللقاء لآتية، جاء فى ختامها : ان معهدنا يامولاي يضع نصب أعيننا أولا وقبل كل شيء تلكم المبادىء الطاهرة

الله ـ الاسلام ـ العروبة ـ الملك ـ الوطن.

عقب هذا جاء دور مؤسس المعهد فقال كلمته التي منها : لاشك وان الله حبا درة تاجكم الوهاج من آى لطفه، وبديع صنعه ماجعلها تستحق بجدارة

جوهرة المضيق، وافتنت يده المبدعة فأخرجتها لوحة من ذلك الفن الالهي البارع المثال، وأعطتها من سحر الطبيعة الفتان، مايعجز عن وصفه اللسان، وجاء فى ختام الكلمه : ان معهدنا لبنة من اللبنات الاولى لبناء صرح الثقافة الحديثة ببلدتنا العزيزة، والله وحده هو العليم بما نلاقي فى سبيل تأدية رسالتنا السامية، ولكن فى سبيل أمتنا ولارضاء رغبات شعبنا كل صعب يهون.

وكان مسك الختام ـ كلمة ولى العهد المليئة دررا غالية ونصائح واعية، حيث الكل يرسل من أعلى شرفـات المعهد فيزيده تضخيم الصدى الملتهب حماساً روعة على روعة، والجم الغفير من أبناء الشعب الطنجي وسواهم من الزوار الذين سمحت لهم الظروف بالمشاركـة فى ضيق وقد غصت بهم الطرقات وزواياها والسطوح والنوافذ مناظر مفرحة أخاذة. وقتاً كان فيه رئيس المعهد يعيد بعض فـقرات الخطاب الامـيري رغبة فى تكـراره على الاسماع مرة أخرى.(١)

ومن المعهد توجه ولى العهد الى مركز الكشاف المسلم الطنجي — بالقصبة، هناك اقتبلته الكشفية الاسلامية اقتبالا حاراً وفى لحظة ظهر سموه مرتديا بذلة الكشاف، وفى هذا المهرجان الكشفي القى رئيس الفرقة(٢) خطاباً جاء فيه :

مولاي ولى العهد

بصفتي رئيساً لجمعية الكشاف ـ جندكم المخلص ـ أتقدم بين يديكم بكل أدب

---

١) انظر نص الخطاب الذي القاه ولي العهد والذي صفقت له طنجة بحذافيرها ـ بصحيفة العلم ١٨ أبريل ١٩٤٧ عدد ١٨٧ السنة الثانية.
٢) السيد الخمـال.

واحترام بين نشوة الذكرى وسكرة الآمال- فأحيى من أعماق قلبي.. من تبوأ عرش الخلود والقلوب عماد الاصلاح، منقذ الشعب وأمل الامة، صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس نصره الله وأعز ملكه - الى آخر الكلمة التي كانت كلها ترحاب وشوق لهذه الزيارة الميمونة التي لاعجب أن يعقبها تحقيق مايصبو اليه الشعب المغربي من أماني وآمال.

ولم تقتصر الزيارة على ما ألمعنا إليه فقد زار سمو ولي العهد - المدرسة العربية الفرنسية بمرشان، والمدرسة الصناعية التى طاف على معاملها، كما زاد معهد الاستاذ عبد الله كنون وبه اقتبله ممثلوا الحكومة، وبعد تلاوة آي من الذكر الحكيم - قدمت إحدى الفتيات لسموه باقة من الزهور، وأشفعت هديتها بعبارات الترحيب ثم ألقى مدير المدرسة خطابا أعرب فيه عن امتنان الطنجيين للمساعدة التى يمدهم بها جلالة الملك نصره الله فأجابه ولي العهد المحبوب بخطاب قيم نشرته صحيفة العلم فى ١١ أبريل ١٩٤٧ السنة الثانية عدد ١٨٢ . فكان اليوم يوما أغر فى تاريخ طنجة .

وغد الجمعة ١١ ابريل - كان أيضاً موعد مهرجانات دينية رائعة تجلت فيها قداسة الاسلام وكرامته تهيأ فيه أبناء الشعب الطنجي ومن حضر فيه من الزوار لاداء صلاة الجمعة بالمسجد الاعظم، فبينما الناس يتلون اي الكتاب الكريم - اذا بمفاجأة سارة تدهش الحاضرين ان معلماً(١) علا المنبر ونادى بأعلى صوته اخواني المصلين — ان الملك محمدا الخامس — سيقوم خطيباً وإماماً، وإثر لحظات - خرج العاهل وصعد المنبر، وبعد الآذان

---

١) هو الاستاذ محمد الرشيد ملين الرباطي

قام أعزه الله ونثر على الأسماع خطبة مؤثرة افتتحها بقوله :

بالله أستعين ـ الحمد لله الذى دعا لطاعته، وأوضح سبيل جنته، وأمرنا ان نكون إخونا، وعلى البر والتقوى أعوانا، الى ان قال : أيها الناس تمسكوا برابطة الدين، فهو الحبل المتين، والحصن الحصين، والملجأ الذى اليه ركن آباؤنا الاولون، وأجدادنا المومنون، ففتحوا البلاد، ومصروا الامصار، وسادوا العباد، وأناروا الافكار، وأسسوا للعلم معاهد. وللدين مساجد، الى ان يقول : ما كان للمسلمين ان يعملوا معرضين، ويتعاملوا متباغضين، ويجتمعوا متنافرين، قد استحكمت أهواؤهم، وتضاربت آراؤهم، بعدما سمعوا خطاب رب العالمين :

«يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله، ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا ان الله مع الصابرين».

وجاء فى نص الخطبة الثانية — حديث مسلم عن تميم بن أوس الدارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة — قلنا لمن يارسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم الى آخر الخطاب الذى كانت خاتمته كلها ابتهالا وتضرعاً الى الله تعالى ان يصلح ذات بيننا ويجمع قلوبنا .

وبعد الفراغ من الصلاة ـ امتطى جواده المطهم وقصد فى موكبه باب المندوبية حيث قدمت لجنابه هدايا فاخرة من مسلمين وإسرائليين طنجيين وتطوانيين.

وفى هذه الساعة الدقيقة فاه الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس (١) رئيس حزب الاصلاح (وقتئذ) بخطاب ارتجالي حماسي بين يدى الملك المحبوب أثار إعجاب الجماهير المحتشدة فى الساحة ·

من فقراته — باسم هذا الجيل الذي لايتزحزح من مملكتهم السعيدة نتقدم باجلالنا وتعظيمنا وولائنا لامير المومنين الى ان يقول : والآن يلذ لنا، ان نفخر بزيارتكم الميمونة التي ألهبت حماسنا وإيماننا بغد افضل الى آخر كلماته·

اما عشية اليوم فقد اكتست هى كذلك حللا قشيبة علاها رواء الثقافة والمعرفة اذ دشنت سمو الاميرة عائشة مدرسة البنات المسلمات بالقصبة (قصر الآثار) وحضر الحفل الثقافى مختلف الطبقات مسلمين وغيرهم سفراء وملاحظين ورجال الصحافة. والقت خطابات ثلاثة ١ـ باللغة العربية ٢ـ بالفرنسية ٣ـ بالانجليزية. وكان الاستاذ المهدى بن بركة(٢) فى هذه اللحظة يقوم بدور التقديم عند كل خطاب، اما الملك المعظم كباقي الاسرة المالكة فكانوا يشرفون على الحفل من أعلى شرفات القصر حيث لا يرون، ومما جاء فى فقرات الخطاب العربي : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد. أيها السادة :

فى الاشهر الاخيرة قمت بزيارة أربع من حواضر المغرب القيت فى كل منها خطاباً او خطابين لقد دشنت مدرسة بمراكش واثنتين بفاس

---

١) وافاه الاجل المحتوم يوم الاربعاء ٢٧ مايه سنة ١٩٧٠ ـ موافق ٢١ ربيع الاول عام ١٣٩٠ بسكتة قلبية بفندق الموحدين الجديد بطنجة على الساعة الثالثة مساء.
٢) اشير اليه سابقاً

واخرى بالبيضاء، واثنتين بسلا(١) ووجدت لدا سكان هذه المدن من حسن التفهم وحرارة الحماس مايملأ القلب سروراً، والنفس حبورا، غير ان زيارتي لمدينتكم الجميلة فى ركاب صاحب الجلالة أعزه الله. ومشاهدتي لتلك المظاهرات العجيبة التى قابلتم بها الموكب الملكي جعلت لطنجة فى ضميرى مكانا خاصاً، ومنزلا رفيعاً فإليكم شكرى وتهنئتى. ويلفت النظر بوجه خاص ماجاء فى الخطاب : ومن أراد الدليل على ذلك فليجل الطرف فى عشرات المدارس التى ارتفعت جدرانها بسرعة فائقة فى حواضر المغرب وبواديه هى أعمال مغربية بالرجال القائمين بها، مغربية بالبرامج المطبقة فيها، مغربية بالاموال المنفقة عليها، مغربية بالاهداف التى تسعى لتحقيقها، فهل بعد هذا نوسم بأننا قوم كسالى خاملون، بالاوهام والخرافات متشبثون ؟ لقد فتحت التجربة عيون المغاربة، وأثارت المعرفة أذهانهم، وامتلكت المدنية الحق قلوبهم وألبابهم فلا حاجز يقف فى طريق نهضتهم، ولا صاد يعوقهم عن إدراك بغيتهم، ولا صعوبة تردهم عن سعيهم بل هم الى النجاح سائرون، والى قمة المجد صاعدون، وعلى أمانيهم محصلون.

إلى آخر ما احتواه الخطاب من الاشادة بالسيادة والكرامة اللتين يتوفر عليهما المغرب منذ كان وحتى الساعة، وما يسعى إليه جاداً تحت قيادة ملكه.

كان اليوم الثالث والاخير من الزيارة - يوم السبت ١٣ أبريل ١٩٤٧ - يوماً تاريخياً مشهوداً فاق اليومين قبله فيه وضع العامل الحجر الاساسي

---

١) مضى الحديث عن هذه الزيارات في الصفحات السابقة.

لمدرسة محمد الخامس بالمصلى بحضور السلك الدبلوماسي وهيأة الحكومة المغربية ـ وزراء وكتاب وباشوات وقواد ـ وملاحظين وصحافيين وعلية القوم من المسلمين وسواهم . وبعد تلاوة آى من الذكر الحكيم وأناشيد رتلها تلاميذ المدارس الحرة الذين غصت بهم رحاب المصلى ـ انبرى العاهل المفدى فصعد المنصة وألقى خطابا تاريخياً هاماً كان له أثره الحميد ، وصيته الطيب العام تحدثت عنه الصحف والمجلات باحثة ومفصلة ما احتوته جوانبه ونقطه ثقافياً وسياسياً واقتصاديا واجتماعياً

إنها لايام غراء خالدة فى تاريخ الاجيال ـ بل سيبني لها التاريخ مقاماً نعتز به ما شاء الله أحقابا وأزمانا ،

ومن افتتاحية لجريدة إسبانية مؤرخة ب : ٨ أبريل سنة ١٩٤٧ تحت عنوان صاحب الجلالة محمد بن يوسف رمز أمة بأكملها انه لا يمكن أن نجد إلا بصعوبة كبيرة مثالا للملاءمة التامة بين الاوصاف والفضائل التي تنسب عادة لمن يتربع على عرش من العروش ، وبين الشمائل والفضائل الحقيقية لشخصية جلالة ملك المغرب سيدي محمد بن يوسف — ففي فاس — مهد أفضل تراث مغربي ، ومنبع أسمى نبل ـ ولد هـذا الملك الهمام ـ ومن فاس وهى مدرسة الصياغة والفنون المغربية تستجلب النفوس فضلا هو الذهب الابريز جلالا طبيعياً يجعل من الحياة نموذجاً ومرآة للسلوك الطاهر ، ولقد وقف جلالته حياته من يوم ارتقى عرش المغرب (٢٣ جمادي الاولى ١٣٤٦ ـ ١٨ نونبر ١٩٢٧) ـ بعد وفاة والده المرحوم ـ وقف حياته لرفاهية وترقية شعبه المحبوب باستمرار ودوام لا يشبهه إلا استمرار ودوام ترقرق

المياه النقية البراقة ، ومن أجل ذلك ـ فإن شعبه كما قال أحد شعراء شباب الرباط : يحب جلالته «مثلما يحب الانسان عينه أو آخر خفقة من ضربات قلبه(١)» .

تعليق اذاعة القاهرة على رحلة طنجة

تكلمت إذاعة القاهرة باسهاب من معلق الجامعة العربية على سفر الملك لطنجة ، وبعدما وصف الحفاوة العظمى التى قوبل بها جلالته ، ولخص خطبته العظمى وتصريحاته ، وأثنى على حكمته ومواقفه المشهورة قال : ان مطالب الشعب المراكشي اتخذت الآن صبغة رسمية ، وان مصر وجامعة الدول العربية تنظر الآن بعين العطف الى أماني الشعب المراكشي وتتمنى لها ان تحقق عاجلا.

في اثناء العودة من طنجة

يوم خالد بسوق أربعاء الغرب توضع فيه حجرتا مسجد ومدرسة فى هذه القرية النشيطة التي كانت فى حاجة ملحة لهذين المعهدين .

فى يوم الاحد ١٣ ابريل ١٩٤٧ على الساعة الثالثة وصل القطار الخاص مقلا العاهل المعظم وحاشيته ، وفى تلك اللحظة الغالية دوت اصوات الهتافات بحياته معبرة عن ابتهاجها وسرورها وللحين تقدم بين يديه القائدان بنعيسى العسرى ، واحمد بن منصور النجاعي يرافقانه الى مكان الحفل

---

١) انظر التتمة بجريدة العلم ٨ ابريل ١٩٤٧ عدد ١٨٧ السنة الثانية.

وبعد استواء جنابه العالى على الاريكة الخاصة تقدمت اليه ابنة القائد بنعيسى باقة ناضدة بالكلمة التالية : مولاي باسم رعاياكم المخلصين سكان أربعاء الغرب اقدم لجلالتكم هذه الباقة الزاهرة كايامكم السعيدة معبرة عن ولائنا وإخلاصنا. ثم تقدم قائد القرية السيد بنعيسى العسري وألقى كلمة رحب فيها بالملك الموفق، وبعده التى القائد أحمد بن منصور كلمة حماسية قوطعت بالتصفيق(١).

وختاما قام العاهل ووضع بيده الشريفة الحجرين الاساسيين ـ للمسجد والمدرسة.

أزمة الكتاب المدرسي

بعد الاندفاع التلقائي والانبعاث النفساني اللذين بدا أثرهما الجدى يدب فى الشعب المغربي وأبنائه بتأسيس المدارس هنا وهناك ـ فاجأت التلاميذ والطلاب على اختلاف مستوياتهم أزمة الكتاب وفقد انه خاصة ما يتصل منه بالاطوار الاولية للتعليم. حالة دعت بطبيعتها إلى التفكير طويلا فى حل المشكل، وأخيراً اقتضى نظر مندوبية التعليم (التي كانت فرعا عن رياسة الوزارة) ـ أن تختار نخبة من علية الادباء والكتاب ـ لتأليف كتب مدرسية.

---

١) اوقفته السلطة الفرنسية ومراقبتها بعد ذلك عن العمل والقيادة كانتقام منه بل ومن غيره وعلى عادتها في أمثال هذه المواقف. وكان للاستاذ عثمان جوريو اليد البيضاء في هذه الحركة المباركة وتسييرها مع دعمها من طرف أحرار الوطنية انظر نص الخطابين اللذين فاه بهما كل من ولي العهد الامير الحسن، ومدير المدرسة السيد احمد بن العربي الرباطي بصحيفة العلم تاريخ ٢٢ أبريل ١٩٤٧م عدد ١٩٠م السنة الثانية ٢٠ جمادى الاولى ١٣٦٦هـ.

وفعلا وجهت استدعاءات لهيأة من الاساتذة تتألف من السادة : ١) عبد الله الجراري مفتش عام للغة العربية. ٢) محمد بن عبد الله العلوي ـ مدير العبدلاوية بالبيضاء[١]. ٣) المرحوم مولاي الطيب العلوي [٢] مدير المدرسة الحسنية بفاس ٤)مولاي العربي المسعودي [٣] أستاذ بالمحمدية بمراكش ٥) الاستاذ محمد العلمي [٤] من البيضاء . ٦) محمد بن العباس القباج [٥] كاتب بالاستيناف الشرعي . ٧) الاستاد عبد الرحمن الفاسي [٦] كعضو بالاستيناف ٨) الشاعر المرحوم الحاج احمد بوستة مفتش الكتاتيب القرآنية. ٩) الاستاذ عبد المالك السليماني [٧] أستاذ باليوسفية . ١٠) الاستاذ عبد الهادي بوطالب [٨] أستاذ بالمعهد المولوي ١١) محمد بن سالم بن كيران. ١٢) الاستاذ عبد القادر زمامة . ١٣) الاستاذ محمد الركراكي أستاذ بالمعهد المولوي ١٤) الاستاذ مولاى التقي العلوى من فاس . ١٥) السيد محمد التازى فاس . ١٦) الاستاذ عبد الكريم بن الحسني كاتب بالاستيناف. ١٧) الاستاذ عبد الهادى الشرايبي [٩] بالبيضاء ١٨) الاستاذ يونس نكروف — يشغل اليوم منصبا ديبلوماسيا. — تقترح عليهم الحضور بمندوبية

---

١) هو الآن قاض بمكناس . ٢) زاول أخيراً مهنة القضاء بوجدة ، ثم تازة ٣) الآن يعمل كترجمان محلف بالبيضاء . ٤) بعد إدارة مدرسته الحسنية بالبيضاء دخل فى سلك الدبلوماسية — كسفير بتونس الشقيقة أولا ، ثم بمصر الحبيبة ثانيا . ٥) يعمل الآن في الكتابة العامة للحكومة . ٦) تولى السفارة لدولتنا بالعراق وسوريا بعد منصب الباشوية . ٧) يشتغل اليوم كمدير بقسم الآثار والفنون الجميلة بوزارة الثقافة. ٨) يشغل الآن منصب رئيس للبرلمان بعدما تقلب في عدة وزارات . ٩) بعدما عمل في سفارتي تونس وليبيا هو الآن بوزارة الخارجية كرئيس لقسم الثقافة .

المعارف (بدار المخزن) بتاريخ الثلاثاء ١٧ محرم عام ١٣٦٤ هـ موافق ٢ يناير سنة ١٩٤٥م وفعلا حضروا وبعد مداولات حول الموضوع أخذاً ورداً ـ انفض المجلس على موعد انعقاده غد التاريخ المذكور، وفعلا اجتمعت اللجنة يوم ١٨ وقرىء البرنامج الموضوع للكتاتيب القرآنية العلمية أمام اللجنة ووقعت مناقشات حوله نشأ عنها تغيير ما فى بعض فصوله .

وعقب توزيع اللجان حسب الفنون كتبت مصلحة التعليم مرة اخرى الى الادباء المعنيين بالامر بالبيان التالي الموضح كيفية الوضع والطرق التى يجب فنياً سلوكها فى التأليف :

محبنا الاعز الارضي الفقيه الاستاذ الخبير السيد فلان ـ امنكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله بوجود مولانا دام علاه ـ وبعد فبناء على ما فى علمكم من الاجتماع الذي وقع بالاعتاب الشريفة لتكوين لجان تقوم بوضع كتب دراسية تأكدت الحاجة اليها فى فنون خاصة جديرة بالاهتمام الاولى ـ فقد تقرر فى الجلسة الاولى لهذا الاجتماع المنعقدة يوم الثلاثاء ثاني يناير الجارى ان تكونوا من أفراد لجنة النحو.

وبناء على ان هذه الكتب ستوضع وفق المواد المبينة فى برنامج التعليم العربي بالكتاتيب القرآنية العلمية زمناً وموضوعاً ، والمتفق عليها فى جلسة يوم الاربعاء ثالث يناير التى درس فيها البرنامج بكل مايتطلب من عناية — فان نسخة منه توافيكم صحبته ليمكنكم من الآن الاخذ فى العمل باتفاق مع بقية الافراد.

وان مندوبية المعارف تكل الى اللجنة اختيار الطريقة التي تراها مفيدة

سريعة الأثمار، وكل مانرجوه هو ان يلاحظ فى وضع الكتب القواعد الاساسية للدراسة وإبعاد كل مايعرقل العمل بها(١).

وان مندوبية المعارف تأمل أن يتهيأ على الاقل بعض هذه الكتب فى فاتح السنة الدراسية المقبلة، وتتعهد بطبع الكتاب الذى تقرر «لجنة التعليم» صلاحيته للفصل المعين له، كما تتعهد بتقريره المدراسة بالمعاهد القرآنية

ومن جهة أخرى فإن مندوبية المعارف يكون لها الحق فى تحديد الثمن والاختصاص بعشرين نسخة فى المائة، وتجديد الطبع اذاعن لها ذلك، وتخول اللجنة حقوق التأليف الغير الماسة باختصاصاتها.

ونعلمكم بان محضر الجلستين عرض على مولانا المنصور بالله فاستحسن ذلك، وسر دام علاه بهذه المحاولة الاولى التي وضعت لتكوين سلسلة اصلاحات فى ميدان الكتب المدرسية - سرورا دالا على اهتمامه بمسألة التعليم ورغبته الشديدة فى السير به الى الامام، ودعا لافراد اللجنة بالمعونة والتوفيق لخدمة العلم بإخلاص ونشاط واتحاد، حتى يبلغ القصد وينال المراد من تقدم معاهد البلاد، وتثقيف أفلاذ الاكباد. ومنه سبحانه يستمد الامداد، وعليه التوكل والاعتماد، وعلى ما تعهدون من المحبة والوداد، والسلام.

فى ٢٠ محرم الحرام ١٣٦٤هـ١٩٤٤م مندوب المعارف - العربي العلوى.

أنما هل كانت هذه المحاولة ايجابية اتت بالثمرة المنشودة ؟ أم باءت بالفشل والسلب ؟ ام أعطت نتائج ضئيلة لم يمكنها سد الفراغ القائم آنذاك

---

١ تشم من هذه الفقرة (وابعاد ما يعرقل العمل بها) رائحة التخوف الذي كان يساور بعض المسؤولين من طرف الاستعماريين.

الشيء الذى دعا المدرسة المغربية أن تعمل على جلب شحنات من مستعمل الكتب الدراسية من مصر الشقيقة تصل الى المغرب بعد جهد جهيد(١).

ذلك أن الباب كان مغلقاً فى وجه الثقافة والمثقفين وكل مايوجه اليهما توجيهاً صالحاً يتلاءم والدراسة الحديثة فى الاقطار المتقدمة سهولة فى الاسلوب سهولة فى الكتاب تقريب ، للمسافة وطيها فى ادنى وقت تندرج فى لحظاته شتى الفنون المنضوية تحت المناهج والبرامج المقررة. نعم فللازمة القائمة خاصة فى كتب العلوم والرياضيات كان لما يرد من كتب ذات نفع وإفادة للمدرسة المغربية أثر سهل نسبياً ما كان يلاقيه كل من الاستاذ والتلميذ من صعوبات لاتخفى على مزاولى المهنة وقتئذ.

أجل كان مما جاد به مجهود بعض المرشحين للتأليف ومن شارك من غيرهم الكتب التالية :

المطالعة للمدارس المغربية للاساتذة ـ محمد العلمي، عبد الهادي الشرايبي ادريس الكتابي ، الواقعة فى أربعة أجزاء ، والتلاوة العربية لقسم الشهادة الابتدائية للاستاذ عبد الكريم العلمي(٢). ونصائح وإرشادات للاساتذة عبد الملك السليماني ، العربي المسعودى ، ومحمد محيي الدين المشرفى(٣) ، وسواهم فى قلة كما ألمنا اليه.

---

١) على ان هذا الجلب كانت حكومة الحماية وإدارتها السياسية تخص به المتزلفين اليها حتى ولو لم تكن مهنتهم تجارة الكتب حيث تمكنهم من العملة الاجنبية غير مبالية برجال المهنة ، وليس هذا بغريب عن معاملة المستعمرين للوطنيين.

٢) طبعت بالمطبعة الوطنية بالرباط سنة ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦.

٣) طبعت بالمطبعة الدولية بطنجة طريق الرباط سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م

ثم ليست هذه اللجنة تعدالاولى من نوعها فقد سبقتها لجنة تألفت من عدة علماء وأدباء كالمرحومين ١) المولى عبد الرحمن بن زيدان ٢) محمد بن علي الدكالي السلوى ٣) محمد الفاسي ٤) والمؤلف عبد الله الجراري وغيرهم من الكتاب.

نعم كان السبب الرئيسي فى تهيىء هذه اللجنة ـ زيارة المغفور له محمد الخامس جامعة القرويين عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م ـ وهناك لمس الضعف العام فى الكتاب الصالح خاصة كتب التاريخ .

وفعلا عقدت اللجان المرشحة لهذه الغاية الغالية اجتماعات ، وبعد مداولات متصلة ـ كانت النتيجة فى النهاية أن كتب البعض ما تعهد به ـ كابن زيدان ، وابن علي ، والمؤلف ـ بيد أنها كتابات بقيت داخل البيوت ومرافع الرفوف تعمل فيها الارضة أعمالها . على أن المرحوم محمد الخامس لم يقف عند هذا الحد آمراً بالتأليف فحسب بل سعى خطوات مشكورة ـ فهيأ مطبعة رغبة فى نشر ما ينتج من كتب ، أو احياء المفيد من قديمها ـ من هذا : «مسند المولى محمد بن عبد الله قدس الله روحه. ومما طبع من جديد الكتب ـ الجزء الخامس من كتاب «دروس التاريخ المغربي الخاص بتاريخ الدولة العلوية للمؤلف الذى كان من نتائج اللجنة الاولى للتاليف وكتاب «عصر المنصور» للاستاذ محمد الرشيد ملين الذى كان آنذاك مدير المطبعة.

هذا واو انفسح المجال للادباء والكتاب ، وانفتح أمامهم باب التنشيط على مصراعيه لرأى المغرب من مثقفي أبنائه الابناة ثروة ضخمة فى عالم الكتاب

تستطيع وقف سيل الحاجـة ، وتنقـذ فى ذات الوقت المعـلم والاستاذ من توزيع أفكارهما فى التحضير والتهيىء فوق الجهد والطاقة المضنيين.

والمجال فى الموضوع فسيح لايتسع له القلم فى هذه العجالة المغياة بسير الثقافة فى المغرب بين ماض قريب وحاضر معاصر(١) .

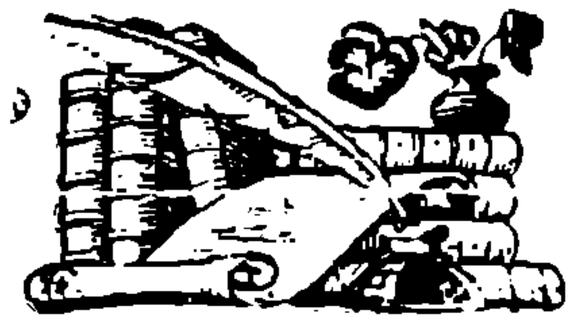

١) يؤخذ من هذه الفقرة فحوى الكتابة هذه التي هى كمقدمة (جزء أول) لكتاب المؤلف : « من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين ـ الرباط وسلا.

انتشار التعـليم في كل أمـة
هو مقياس تقدمها او العكس

ان درجة انتشار التعليم فى الامة يعد مقياس تقدمها او انحطاطها، ولا تتباهى الشعوب فى عصرنا هذا بما لها من غنى طبعي ووفرة فى السكان، واتساع فى الارض، وإنما تفتخر بعدد المفكرين وكثرة المتعلمين فيها، فكم من أقطار تعد مساحتها بمآت الالآف من الكلمترات المربعة، ويحسب أبناؤها بعشرات الملايين ـ ولا تساوى فى الواقع قيمة أصغر الشعوب التى لها نسبة وافرة من التعليم، ونظرة سريعة على الخريطة العالمية ترينا أن الامم التي لاتزال ترزح تحت نير العبودية، وتئن تحت كابوس الاستغلال هى التي تتفشى فيها الجهالة : وتنتشر فيها الامية.

فالامية مظهر من العبودية وهى داء عضال تصاب به الشعوب فيقعد بها عن السير فى صف الامم المتحضرة، ويحول بينها وبين التطور والرقي، وهى عار ووصمة فى جبينها تعير بهما من لدن تلك الامم، ولا سبيل الى بلوغ التطور المنشود، ومسح ذلك العار إلا بالاقدام على محاربة الامية وكفاح الجهالة بالحزم والتدبير.

كيف تتغلب الشعوب الحرة على مكافحة الامية

لعل فى المثال الذي ضربته لنا المكسيك — نموذجاً(١) كاملا يجب أن تحتذيه الشعوب للقضاء على الامية، فخلال الحرب العالمية الاخيرة (الثانية)

١) النموذج بفتح النون مثال الشيء معرب ـ والانموذج لحن ه قاموس .

١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ـ كانت الامية مخيمة بكلكلها الثقيل على شعب المكسيك ، وكان ذلك عرقلة قوية فى سبيل التقدم ، نعم أسست الامة دستوراً غير أنه ظل متعثراً ، وانتشرت الاشتراكية — فعلمت العمال كيف يعتصبون ، ولكنها لم تعلمهم كيف يعلمون .

بيد أن سلطات المكسيك ما لبثت أن شعرت عام ١٩٤٤ بموطن الداء ، وأدركت أن العمل الاولى الذي يحتاج إليه الشعب حقاً — هو أن يتعلم كيف يقرأ ويكتب . ففي المكسيك ـ عشرة ملايين ونصف مليون أمي ـ وهذا العدد يعادل نصف السكان تقريباً ـ الشيء الذى حفز الشعب لانشاء آلاف المدارس ورغم ذلك لم تتسع إلا لنصف الاطفال البالغين سن الدراسة فأصدر رئيس الجمهورية أمراً يقضي بأن يتعلم القراءة والكتابة جميع الامين الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ سنوات و٤٠ سنة . وألقى تبعة تعليمهم على عاتق المتعلمين ، وأعلنت الحرب ضد الامية بالفعل فتوارد التلاميذ من كل حدب وصوب حتى بلغ عددهم : ٤٣٠،٠٠٠ يحضرون خمسة دروس فى الاسبوع فى أكثر من ٨٠ ألف مركز لمكافحة الامية ، ومنذ ذلك العهد ازداد هذا العدد فقارب سبعة ملايين فى ظرف بضعة أشهر .

وقد أشرفت الامية على الانمحاء فى بلاد المكسيك .

تلك صورة حية لما يمكن لامة حرة أن تجنده من قوى ضد الامية .

ثم انتقلت محاربة الامية تدريجيا إلى مرحلة جديدة فى شكل دروس منظمة تحت إشراف مدرسين متخصصين بعد أن كان المعلمون فى الطور الاول خليطا من المتطوعين الذين لهم ضلع ولو ضئيلا فى هذا الفن

وقد نظمت الكنائس والاندية وجمعيات العمال والمستخدمين كتائب من المتطوعين للتدريس، وقررت نقابة بأمي الصحف فى العاصمة فصل كل عضو لا يتعلم قراءة صحفه فى بحر تلك السنة، وتطوع شبان الجامعة لتعليم ـ ٩٠٠ أمي من المساجين.

وقد شعر المسؤولون ـ بأن الفكرة لن تتم الا بنشر كتب تهذيبية مبسطة رخيصة الثمن بدلا من الروايات المثيرة، والكتب الخليعة، وقصص الحب السخيفة(١)، فأخذوا ينشرون سلسلة من الكتب القديمة على ورق الجرائد، ومنها كتب مختصرة فى سير الابطال، وتاريخ شعوب أمريكا، ودواوين الشعر ورسائل علمية، ونشر كتب مصورة بثمن بسيط تشجيعاً للقراءة تتناول مثل هذه المواضيع «كيف تصير فلاحاً نافعاً — وكيف ربي طفلك — وكيف تتقى المرض.

توجيه الشباب لمكافحة الامية

ان عدد المتعلمين فى الامم يزداد يوماً عن يوم وتسجل كثير من الامم والشعوب انتصارات باهرة على الجهل وابادته، ويحتفل بعضها بوفاة آخر امي فيها بينما نسبة الاميين تتفاحش فى بلادنا مع توالى الاعوام وازدياد السكان، وقطرنا من جملة الاقطار التي يعد فيها المتعلمون من المستثنيات والاغلبية الساحقة تعيش فى حالة مزرية من الجهل والامية. وهذه الآفة الاجتماعية عرقلة كبرى فى سبيل تقدمنا، وتطور شعبنا. وبدون معالجتها

١) التى عم سيلها في بلادنا وأصبحنا نشاهد من فينة لاخرى آثاره الهدامة للقيم والاخلاق.

لارجاء فى بلوغ ماتنشده من رقي ونهوض.

لقد اصطدمت شعوب قبلنا بنفس هذه العقبة فى بدء تقدمها فشمرت عن ساعد الجد بإقرار التعليم الاجباري، وتعبئة المتعلمين العاملين من أبنائها، ورصد الاعتمادات الضخمة من ميزانيتها، وبذل كل مجهود وتضحية فى سبيل مكافحة داء الامية الوبيل، والقضاء على الجهل المعشش فى عقول أبنائها.

وكان كفاح الامية اول خطوة فى سبيل تحرير العقول من الاوهام والضلالات، واللبنة الاولى لبناء صرح التقدم والرقي، واذكر على سبيل المثال ماقام به الاتراك من محاربة الامية، ومكافحة الجهل عقب الحرب التحريرية وكيف كان «الاتاتورك مصطفى كمال» نفسه يقوم بواجبه فى هذا السبيل — فيعلم مواطنيه مبادىء القراءة والكتابة ويساهم بنصيبه فى هذا الواجب المؤكد. وقد أفادت تركيا خيراً كثيراً من هذه الحملة، وصارت قدماً نحو الحضارة والرقي، ومثال تركيا ينطبق على غيرها من الشعوب التى لم تستوف حقها من التطور.

وان حالتنا لسنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م من هذه الناحية تستدعي جهوداً جبارة لا مناص للشباب المتنور فى بلادنا من تحملها، فعليه بالخصوص تعود تبعة انتشال الوسط المغربي من هذا الوباء، ويتحتم ان يكون فى طليعة المكافحين لاستئصال شافته، وتطهير المجتمع من سمومه. بل يلزم ان يتزعم محاربة الامية بنفسه لفقدان السلطة التي يرجع اليها أمر قيادتها، واحكام البرامج، ووضع الخطط العملية للقضاء عليها.

ان امتنا فى خطر ان لم نتداركها، وان امتنا مهددة بالابادة كامة لها

لغة و ثقافة ان لم نوطد النفس على درء هذا التهديد المصوب الى صميمها، فعلى الشباب قبل كل شيء ان ينظم الحملة ضد الجهل والامية. وعليه ترجع مسؤولية الاطباق عليهما بكل الوسائل، وفى فوزه فوز اللغة العربية وانتشار الثقافتنا وتحقيق الخطوة الـكبرى فى سبيل تقدم بلادنا.

احد علماء المغرب يجيب عن أسئلة وجهت اليه

حول مكافحة الامية(١)

س ـ ما هو مقدار انتشار الامية عندنا ؟ وما هى أسباب ذلك ؟

ج ـ من الصعب إدراك مقدار انتشار الامية عندنا الآن خصوصاً إذا اعتبرنا أن هناك من لا يحسن القراءة والكتابة ، ولكن له معرفه عامة بشؤون دينه ودنياه ممن كانوا يحضرون المجالس العلمية ، كما أن هناك متخرجين فى المدارس الرسمية فى البادية يكادون يعدون من الاميين (٢) قال : ولست فى حاجة لان أذكر لكم السبب الرئيسي لا نتشار هذا الداء الخطـير ، وأنتم تعلمون أن من أسباب قلة المتعلمين أننا فوجئنا بثقافة ولغة أجنبيتين بينما أهملت المعاهد العديدة التي كانت تنشر ثقافتنا الاسلامية ولغتنا العربية

لذلك يمكننا أن نقول ان الجهل بثقافتنا الوطنية قد انتشر بسبب هذه المزاحمة وأصبح الذي يحسن العربية بالنسبة لكثير من الادارات فى عداد الاميين.

س ـ يفهم من كلامكم أن الامية لم تكن منتشرة قبل ثلاثين سنة ،

---

١) هو المطلع الحاج محمد بن بوبكر التطواني من علماء سلا الشقيقة .

٢) يبدو من الجواب ـ ان من درس في مدرسة اجنبية فتعلم القراءة والكتابة بلغتها ـ انـه امى، والمنطق يقضي بانه خرج من الامية انمـا بغير لغته نعم يلصق به عارجهلها .

فكيف ذلك ؟

ج ـ نعم لم تكن الامية عندنا كما هى الآن فقد كنت تجد مجالس العلم فى المساجد غاصة بالذين يتفقهون فى أمر دينهم ودنياهم ، واليوم تجد بدلها المقاهى ومحلات القمار .

وقد كان يبلغ اهتمام الناس بالتعلم ـ أن العلماء كانوا لا يكتفون بدروسهم العلمية فى المساجد فينظمون دروساً أولية فى الاحياء التي يسكنون بها يحضرها سكان الحي من الاميين .

أما تعليم الصغار فلم يكن يعقل أبداً أن يذهب أحد بابنه إلى صناعة أو فلاحة أو تجارة قبل أن يوجهه إلى الكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ شيء من القرآن الكريم، وإلا اعتبر مخلا بواجب من الواجبات الدينية.

س ـ أما فيما يرجع للقسم الاخير المتعلق بمحاربة الاميـة فى الصغار وتلقينهم اللغة العربية والثقافة الاسلامية فإن المدارس الحرة تقوم بمجهود كبير ، وتأتي بنتائج عظيمة ومدهشة إذا فكرنا فى الوسائل التى بيدها . ولكن هناك مشكلة غزو الامية فى الاوساط الشعبية وعند المحرومين فى بلادنا من نعمة التعلم فى المدارس وما أكثرهم ، ألا ترون أن على العلماء مسؤولية كبيرة ؟

ج ـ الحقيقة أنه لقلة اهتمام الناس بشؤون الدين ضعف الطالب والمطلوب ولكن مسؤولية العلماء أعظم من مسؤولية العامة ، ومن واجب هؤلاء أن يحدثوا الرغبة فى الناس للاقبال على العلم !

ج ـ يعتذر البعض بأن العوامل التى كان يتمتع بها العالم فى الوسط قد

ضعفت ـ ولكننا نوافقكم على أن العلماء مقصرون وتعظم المسؤولية بقدر ما يقل عدد العلماء الاكفاء الذين يعرفون كيف يخاطبون الشعب ويرشدونه إلى مصلحته، ولا تاخذهم فى الحق لومة لائم

س ـ ما هو العلاج إذا ما عزمنا على محاربة هذا الداء بوسائلنا الخاصة؟

ج ـ دل ماضينا على أننا مذ كنا ونحن نتعشق العلم ولشعبنا شغف به وتطلع إلى معرفة شؤون دينه ودنياه ، وليس بيننا وبين ماضينا إلا أن يقوم المثقفون منا بجد ، ويعرف كل واحد مسؤوليته ، وتدرك الهيأة المومنة بأن محاربة الامية قيام بواجب ديني ووطني وإنساني .

مقاومة الاستعمار للعاملين في محاربة الامية

واذ أخذت فكرة المحاربة تشيع فى الاوساط الشعبية والاقبال يزداد على دروسها الليلة التي يقوم بها المتطوعون من المعلمين فى المدن وبعض القرى بل خطت خطوات اذ اصبحت فى بعض المدن مرحلتين :

١ — ثانوية للذين سبق لهم ان تابعوا الدروس قبل.

٢ — ابتدائية للجدد.

وكلتا المرحلتين تسيران بانتظام بفضل اقبال الراغبين فى التعلم وتضحية العاملين الذين لاينسى التاريخ مالقى البعض منهم فى مراكش من محن فى سبيل قيامهم بهذا الواجب، فبينما كان عشرة منهم يقومون بتعليم الاميين فى مدرسة الفضيلة الحرة اذ هجمت عليهم قوة من الشرطيين (المخازنية)

وساقوهم الى السجن حيث قضوا ليلة ويوماً فى مكان عفن تكاد تزهق روائحه الكريهة النفوس ، ثم استدعى لدار الباشا(١) جميع مدير المدارس الحرة والمعلمين والقائمين بالمسائد وابلغوا الامر بعدم مقاومة الامية بدعوي ان ذلك من شأنه ان يشغل الناس عن العبادة، هكذا يحمي الاقطاعيون الجهل، ويحولون دون تفقيه الناس فى أمور دينهم ودنياهم(٢).

ورغم الخنق والتضييق الواقعين على هذا التعليم الاولى والضروري للبشر كانسان استمر المكافحون يعملون على نشره داخل البيوت وتحت أستار الظلام الى ان أشرق نور الاستقلال.

اسس جديدة لمحاربة الاميه في فجر الاستقلال

مر المغرب فى مراحله الاولى — وهو مثال الصامد المستميت فى أداء رسالته المقدسة رسالة التعليم فسعى رجاله الاوفياء فى نشر مبادىء الثقافة وتعميمها فى كل الاوساط الحواضر والبوادي على السواء ذلك انه كلما اسست مدينة اوقرية الا وكانت الوجهة الاساسية والفكرة القويمة تركيز المدينة او القرية على معهد للتربية ومعبد للتحنث المعهد الذي يعد الكفيل الاول لتنشيء الابناء نشأة تربوية تهذيبية تطبعهم بطابع الصلاح والعزة، ورفعهم الى أوج الرجولة والكمال ـ يقظين واعين ـ فينشأون طبعاً ضد الامية البغيضة يكتبون ويقرءون ويحسبون بل كانت هذه الظاهرة السارة

---

١) هو التهامي لكلاوي

٢) وقد أصدر الحزب بذلك نشرة فى الوقت توجد ضمن وثائق المؤلف .

لذلك المعهد البعيد تم جميع البوادى على سبيل اللزوم حيث كان من الضروري على القبيلة او الفرع منها او الدوار ان يتخذ معلماً يشارطه على تعليم الابناء القراءة والكتابة، وتلقين سور من الذكر الحكيم أو تحفيظه، فهؤلاء رجال الجماعة عندما يأخذون فى تهيىء الزكوات وتوزيعها على مستحقيها من الاصناف الثمانية يضمون الى جانب ذلك واجب الشرط الذى أخذوه على أنفسهم نحو المعلم الذي يرون فيه رجل التربية والتهذيب، يرون فيه الرجل الواقف حياته على انقاذ الاطفال من براثن الجهل والامية، وعلاوة على القدر الذي يخصص له سنوياً كواجب يقدم اليه مقابل أعماله التعليمية يكون عيشه طوال أيام السنة مضمون فى الدائرة التى يعمل فيها سواء كان وحيداً أوذا أسرة.

وهذا يعرب لنا فى وضوح لافتاً نظرنا بوجه خاص نحو العناية الطيبة التى كان أبناء الوطن يولونها المعلمين متفانين فى تحسين مستواهم التعايشي والحيوي حسب المحيط رغبة منهم فى تنشيء الابناء نشأة الرجولة والكرامة نشأة الرجل القارىء الكاتب الحاسب المعتمد على نفسه، بل يزودنهم بدروس أولية فى المبادىء لسانا ودينياً بعد تحفيظ قسط وافر من نصوص المتون العلمية، ومعالجة فهم ما يساعد على التقدم فى مدارج المعرفة، والسير بالفكر وشبابه الى أسمى المقاصد وأنبل الاهداف.

فكان هذا نموذجاً حياً، ودليلا ملموساً على ما كان المغرب يقوم به فى هذا السبيل من أعمال تكوينية لها جدواها المثمر فى حقل التعليم الاولى خاصة ما يتصل منه بمحاربة الامية ورفع كابوسها الجاثم على نشئنا البريىء

الطاهر النشء الذي هو كامانة غالية بين أيدينا تجب رعايتها وصيانتها، والسهر على ما يضمن لها التدرج فى سلم التقدم الى ماينشده لها آتى الايام التى تنتظرها على أحر من الجمر.

وقد وقفنا بأنفسنا على بعض هذه الحقائق ماثلة فى غير ماعامل وصانع ومحترف فكنا نرى الدباغ والنجار والبناء والخياط وسواهم من أرباب الصنائع والمهن الاخرى يحملون فى جيوبهم دفاتر وتقاييد لضبط الدخل والخرج، وحصر مالهم أو عليهم من معاملات وديون اقتضتها الحياة (والانسان مدني بالطبع) لاتكاد تسلمه الظروف ومحيطاتها للانزواء على على نفسه، والعيش فى زاوية الانكماش والوحدة، بل عليه ان يخرج لميدان الحياة ومعتركها المتناقض الاسباب بما أوتيه من مواهب وخصائص يضيئان له السبيل، ويخولانه العيش الهنيء فى صف العاملين، وهكذا نجد الفلاح فى أرضه وماشيته وقد ضبطها فى دفتره مسايراً الخاسين والعمال بكل مايمكنه من دقة وإتقان

فبفضل المدرسة الاولية وما قدمته وتقدمه للابناء قطعت الحضارة أشواطاً بعيدة ازدهرت منها البلاد طولا وعرضاً، ولعبت الثقافة دورها الخطير بالاخص من الناحية الدينية والاقتصادية والسياسية.

فمن بذور هذه المدرسة الاولى وتعاليمها ـ تكون رجالات وأقطاب فى شتى المناحي العلمية والفنية ـ كالقاضي عياض، وابن القطان، والفشتالي، والروداني الفلكي ـ ومحمد الرافمي، وأبي شعيب الدكالي، ومحمد المدني ابن الحسني، ومحمد بن عبد السلام السائح. وجعفر الكتاني، والمهدي

الوزاني وغيرهم كثير فمن منا يستطيع جحد هذه الحقيقة الوضاءة منكراً ما لتلك التعاليم الاساسية ، وما لكفاح رجالها من أثر طيب ، وصنيع حميد على كل من دب ودرج من أبناء العروبة والاسلام فى مهد الثقافة الاول ، معهد التهذيب والعزة والكرامة.

فليس من الطبيعي لاي أمة من الامم تود الوصول إلى هدف النبل والسعادة وهى قاطعة صلتها بأسس الماضي الجميل بعيدة عما أسداه من خدمات، وقدمه من أيادي كريمة آتت أكلها شهيا متشبثة بعناكب الغير وأوهى الاسباب ـ أسباب لا تجمعها وإياها روابط ، ويكون من الادهى والامر الاعراض نهائيا عن هذا التراث الخالد ، ورميه بالعقم والجمود ، وفى الوقت تطبع هذا الفريق ـ حالة الرخمة ـ التى تحضن بيض غيرها مرخمة عليه ، وقد تركت بيضها للفساد كما يقول الشاعر العربي :

كتاركة بيضها بالعرا ء وملحفة بيض اخرى جناحا

ويكفي هذه المدرسة النضالية ـ مدرسة كفاح الجهل والامية ـ ان يكون مثلها الاعلى ونموذجها الحي مدرسة الرسول الاكرم عليه السلام فقد علمنا ماجرى فى غزوة بدر (١) حيث كلف محمد عليه السلام كل أسير من أسرى قريش بتعليم عشرة رجال من الصحابة الكتابة والقراءة ويكون ذلك فداء له من الاسر وإطلاق صراحه.

هذا المعلم الاكبر، والمربي الاعظم — راه يخط الطريق ويمهد

---

١) الواقعة في رمضان من السنة الثانية للهجرة خرج اليها الرسول الاعظم في ٣١٣ رجلا.

السبيل ، ويفتح لامته الامية الاسلامية الباب على مصراعيه ، واضعاً الحجر الاساسي للمقاومة.

فعلى غرار هذه الخطة، وعلى ضوء أساليبها سار التعليم سيراً منتجاً حقبة تنيف على الثلاثة عشر قرنا غير أن التاريخ لا يستقر ، والايام لاتثبت إذ تلابسها فترات ، ويعروها انخذال وانحلال فتقف الحركات ويختل السير ، ويرجع التاريخ القهقرى بعد نضج ونمو واعتزاز،هذا ما مس المعهد الاولى فى الصميم وعمل على تأخره خطوات كانت ضربة قاسيـة جف لها معينه ونضبت (١) عيونه ـ فاحتل العدو البلاد واستعمر الافكار ، وغزا المبادىء والاسس،وسعى حثيثاً صوب محو المقومات، واجتثاث ما ارتكز من أصولها على دعائم العز والسؤدد،وأصبحت سياسته الاستعمارية تهدف لغايتين اثنتين أساسيتين : ١) التجهيل ٢) التفقير . وكان أحرى بالاصابـة والهضم المعهـد التكويني الذي اعتراه انحلال،وغدا يتعثر فى سيره، وعلى التو انفسح المجال لانتشار داء الامية البغيض فى الاوساط ، وأصبح الطفل بعيـداً عن تعـلم القراءة والكتابة بلسان قومه ـ إذ سادت لغة المحتل ، وانعكست الحالة ، وساورتا من الحسرة والاندهاش ـ ماكان استولى على كاهن قرطبة (الكارو) فى أواسط القرن التاسع للميلاد حيث رىء وهو يولول شاكياً من أبناء دينه انكبابهم على مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوتي المسلـمين وفلاسفتهم لا بقصـد تفنيدهم بل رغبة فى التعبـير عن خوالجهم بأسلوب عربي رشيق قائلا فى تحسر : لقد نسى المسيحيون لغتهم

---

١) نضب الماء غار في الارض وبابه دخل ، واصل النضوب البعد .

حتى ليندر العثور — بين آلاف منا — على فرد يستطيع أن يحرر إلى أحد أصدقائه رسالة لاتينية بأسلوب لا باس به على حين ترى العـدد الجم قادراً على الابانة عما فى نفسه بأسلوب عربي جذاب ، وعلى حـين ترى حـذقهم قرض الشعر العربي قد وصل إلى حد فاقوا معه العرب أنفسهم .

وقد شاهدنا هذا الانعكاس يكاد يتحقق فى بلادنا وتصبح لغتنا أثراً بعد عين (لاقدر الله) فنجد فريقاً من الشباب والكهول لا يستطيع كتب اسمه بلغته بل يضع بدله أصبعه مصرحا للعدو أحيانا فى بساطة قائلا : من عاداتنا : أننا لانقرأ ولانكتب ولانحسب الى هذا الحد المزري، وتلك الحالة المخجلة.

واذ استفحل الداء وعمت عدواه الحواضر والبوادى والقرى والمداشر: بادر العاهل المرحوم محمد الخامس لانقاذ الموقف فأصدر أمره بنشر التعليم والتعليم بجميع مراحله فوجه عنايته الخاصة لنشر القراءة والكتابة فى الكبار ومهملى الصغار حاثاً على محاربة الامية فى الاوساط عامة رغبة فى محو عـار البصمات بالطريقة التي سلكتها الامم الاخرى كمصر ، وتركيا، وأندونسيا، ويوغوسلافيا فى مقاومة الامية ومحو جرثومتها من شعوبهم .

فمن تلك الدول من قطعت على نفسها بعزيمة فولاذية ان تستأصل دابر الامية المخيف فى ظرف ثلاث سنوات ومنها أكثر

فأعلام الفكر الثقافى فى العالم يرون ان درجة انتشار التعليم فى كل أمة هو مقياس تقدمها وانحطـاطها ولا تتبـاهى الشعوب فى عصرنا بغنى طبعى ووفرة السكان، واتساع فى الارض ، وإنما تفتخر بعدد المفكرين وكثرة المتعلمين فيها فكم من أقطار تعد مساحتها بمآت الالآف من الكلمترات

المربعة، ويحسب أبناؤها بعشرات الملايين من الافراد، ولا تساوى فى الواقع قيمة أصغر الشعوب التي لها نسبة وافرة من التعليم، ونظرة سريعة على الرقعة العالمية ترينا بأن الامم التي لا تزال ترزح تحت نير العبودية، وتئن تحت كابوس الاستغلال هى البلاد التى تتفشى فيها الجهالة وتنتشر فيها الامية.

فالامية مظهر من مظاهر العبودية، وداء عضال تصاب به الشعوب فيقعد بها عن السير فى صف الامم المتحضرة ويحول بينها وبين التطور والرقي وهى عار ووصمة فى جبينها تعير بها من لدن تلك الامم، ولاسبيل الى بلوغ التطور المنشود، ومحو ذلك العار الا بالاقدام على محاربة الامية، وكفاح الجهالة بالحزم والتدبير.(١)

والمغرب اضطهد لذلك العهد البائد طالما أحس بخطر الامية ودائها النخر يفتت كيانه، ويمزق أوصاله، فقام تحت نير الاضطهاد يكافح الامية تحت ستار الدياجير، ومخاوف التنكيل أواسط سنة ١٩٥٠ فاتحاً أبواب مدارسه الحرة ليالي رمضان المشرقة شانا حربه الشعواء على الامية الهدامة، غير ان الحملة لم تفت أكلها شهياً كما كان ينتظر، ولا غرابة ان تأتي النتائج على العكس وقد أحيطت بأشواك من التهديد والايعاد لرجال المقاومة.

اما حملة المكافحة لسنة ١٩٥١ فلم تبلغ نشاط السنة قبلها(٢) ثم توالت الازمات واشتدت الارهاقات واستأسد الاستعمار واذنابه فى وجه الحركات التحريرية الى ان حلت كارثة ٢٠ غشت سنة ١٩٥٣ المشئومة

---

١) أشير إلى هذا المعنى قبل.
٢) وقد ألمعنا إلى هذا سابقاً فليراجع

ودهى المغرب مادهاه مما جعله ينتفض انتفاضته الجدية ويثور ثورته التحريرية مستر خصاً فى سبيل ذلك كل نفيس وغال بل جاد بمهجه، وضحى برجاله، فكانت العاقبة الحميدة، والانتصار النهائي، والفوز بالسيادة والاستقلال، ودخل المغرب فى عهد جديد عهد وقع التفكير فيه بجد عن علاج داء الامية، وفتح باب المقاومة على مصراعيه ففى شهر أبريل سنة ١٩٥٦م موافق شهر رمضان عام ١٣٧٥هـ كان وضع الحجر الاساسي من جديد للمحاربة وترأس الحملة بطل التحرير محمد الخامس فدشن أول دروس المكافحة بنفسه داخل مدارس محمد الخامس مساء يوم الاثنين رابع رمضان عام ١٣٧٥هـ موافق ١٦ أبريل سنة ١٩٥٦م

وفى الاسبوع الثاني من التاريخ قامت الاميرة عائشة بتدشين إحدى المدارس لمحاربة الامية بحي (دوار الدوم) اليوسفية اليوم(١).

وكان الاقبال على هذه الحملة واسع النطاق مفيداً ومشرفاً شارك فيه الآلاف ما بين أوانس وسيدات وسادة - حيث هيأ رجال عصبة المحاربة - السادة محمد بن زيان، ومحمد السرغيني، وعبد السلام بن عبد الجليل كتابا أوليا يتناسب والكبار فى منهاجه وترتيبه وتمارينه وصوره - وبالود لو يبسط أكثر مما هو عليه حتى يتناول باكبر نشاط وألذ شوق(٢).

كما قام رجال العصبة اثر كل درس يلقن بالمدرسة بإعادته كل مساء بواسطة الاذاعة كمراجعة، وبعد مدة أصدرت العصبة مجلة مفيدة سمتها «مجلة المنار» طلع عددها الاول - يوم الاحد ١٣ حجة عام ١٣٧٥هـ - موافق

١) تعرف المدرسة الآن بثانوية الاميرة عائشة.
٢) وابن زيان يعمل بالمكتب الدائم للتعريب كنائب عن كاتبه العام، والسرغيني مفتش اول بالتعليم الثانوي، وابن عبد الجليل مدير الثانوية المذكورة.

٢٢ يوليوز سنة ١٩٥٦م ينشر على صفحاتها دروس الكتاب الجديد تباعاً مزينة بحكايات وقصص تلفت أنظار الامين ، وتبعث من نشاطهم روحاً جديداً بما يبسط لهم من كلمات وتعابير ويحقق ما درسوا،وتساعد على اثباته واستقراره فى أذهانهم بشتى الصور وأجدى الوسائل وأفيد الاساليب المشوقة.

وبفضل مجهودات العصبة عمت الحملة المغرب الاقصى حيث تأسست فروع فى كل صقع من أصقاعه ـ للقيام بواجب المقاومة ، فجند المدرسون والمدرسات أنفسهم سواء من فى التعليم الحر أو الرسمي، وحتى ممن خرج عن إطار هذا التعليم بنوعيه شارك مشاركة فعالة كرجال القرآن وأصحاب الكتاتيب القرآنية فى القرى والمداشر والدواوير . والمؤلف كان فى غمار العاملين كرئيس لفرع الرباط فى نخبة طيبة لا ينكر نشاطها ، وكانت النتيجة جد مفيدة – إذ أتت الحملة أكلها طيبا ، وأصبح عدد من الامين لا يستهان به يقرأ ويكتب رافعا عن كرامته وصمة الامية والعار .

ثم فى آخر شهر نونبر سنة ١٩٥٦ ـ استونفت الحملة غير أنها كانت دون الاولى وخصصت فيها العصبة أجوراً للعاملين قدرت بثلاثة دراهم للساعة وهو قدر لا يكاد يخلو العامل معه من تضحية هى فى المقياس أعلى منه .

ومن النتائج الطيبة للمحاربة أنها فتحت للمكافحين باب الامتحان على مصراعيه فأخذوا يتنافسون وتقدم جماعة منهم لخوض غماره فنالوا شهادة أولية ما بين ذكور وإناث، وتلك مرحلة سارة من مراحل التعليم الاولى العام، ومما بعث على الارتياح والاطمئنان ما أولته وزارة التربية والشبيبة والرياضة لهذا المشروع الحر من رعاية وعطف بمدارسها و اثارتها

ومياهها ؛ ولا عجب ما دامت العصبة تقوم بتلافى كل نقص وتفريط حصلا فى إطار الماضي .

وختاماً نود للعصبة المغربية للتربية الاساسية ومحاربة الامية ان تجدد نشاطها وقد حالفها التوفيق حتى لا نعود نرى أمياً على ظهر هذا التراب المغربي العزيز.

والرجاء منه تعالى ان يحقق هذا المؤتمر الاول من نوعه أهداف العصبة وما ترمي اليه من غايات .

تاسيس مصلحة للتعليم الاسلامي

بوزارة التربية الوطنية

فى فجر الاستقلال اقتضى الاصلاح الجديد للتعليم الذي كان على رأس وزارته آنذاك الاستاذ محمد الفاسي ان تكون مصلحة تعتني أولا وقبل كل شيء بالتربية الاسلامية عنايتها بباقي فروع التربية والتعليم.

وفعلا تأسست المصلحة واختير لها رجال أكفاء متخرجون فى جامعة المغرب كالاساتذة الحاج أحمد بن شقرون كرئيس، ومحمد العمراني، والمؤلف والمرحوم الحسين ابن البشير والحسن السائح وكتاب وأعوان ، واندفعت بروح ملؤها الصدق والاخلاص لاصلاح التعليم الاصلي ورعاية جامعتي فاس وابن يوسف بمراكش وفروعها بالمغرب المستقل منعمة النظر فى برامجها ومناهجها والسعي فى جهد لادخال تطور وتجديد عليها كي تصبح قادرة على مسايرة نظم التعليم فى الاقطار الشقيقة والصديقة المعاصرة.

العنـاية بالكتاب القرءانى

من العنايات المهمة التي أولتها المصلحة الجديدة للتعليم الاسلامي أنها أعارت اهتماماً طيباً للمعهد الاول للتكوين، فحرصت كل الحرص كمفتشيها على العمل فى الميدان الاصلاحي حتى يستطيع الكتاب العتيق (المسيد) ان يسترجع مكانتهو قيمته فى التعليم والتهذيب.(١)

لص تقرير في الموضوع

١ — بناء على التقرير الذي قدمه المفتش لرئيس المصلحة بتاريخ ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٥٦ حول الكتاتيب القرآنية وماتقاسيه تعليمياً وصحياً ومادياً والذي كان من بنوده اقتراح اجراء بحث طبي عليها طلبا لمعرفة الصالح منها من غيره وافقت الوزارة على جملة من النقط وفعلا كتب لوزارة الصحة فى هذ االشأن بتاريخ ٦ نونبر سنة ١٩٥٦م وأجابت بدورها فى ٢٦ من الشهر سنة ١٩٥٦ بأنها مستعدة لاجراء البحث بعد الكتب فى ذلك لوزارة الداخلية لتوجه أوامرها لممثليها هناك كي يمكنهم أخذ الاجراءات اللازمة، أما فيما يخص القرى فيطلب من ممثلي وزارة الداخلية إرسال قائمة الكتاتيب التي تحتاج الى التفتيش والرعاية الى مصالح الصحة الاقليمية.

٢ — نقترح إجراء امتحان عام لطلبة القرآن فى المغرب ليتبين الفائز من غيره.

---

١) قد ألمع المؤلف الى هذا المدلول اول المقدمة هذه او الجزء الاول بتعبير أصح عارضاً للكتاب القرآني ومالعبه من أدوار في التكوين الاولي.

وبذلك يدرك الطلبة المندفعون الى المهنة قيمة الموقف فلا يعود يخطب احرافه الا من آنس من نفسه المقدرة والكفاءة، وفعلا أجريت مباريات فى هذا الشأن بعدة مدن بالمغرب أشرف المؤلف على جلها، ووضعت لذلك شهادة قرآنية على نموذج الشهادة الابتدائية لابناء المدارس الاولية العلمية نالها الفائزون فى المباريات ولا بدع فى هذه البادرة الطيبة فان التاريخ الامين لا يلبث يعيد نفسه فقد كان علماء السلف ورجال الثقافة يمنحون تلاميذهم وطلابهم اجازات فى مختلف الفنون والعلوم كشهادة منهم على تبريز الطالب وكفاءته فيما أخذ ودرس من معارف، كما كانوا فى نفس الوقت يجيزونهم فى القرآن الكريم حفظاً ورسماً وأداء في القراءة الواحدة تارة، وفى الاحرف السبعة تارة أخرى، من ذلك إجازة قرآنية فى القراءات السبع من محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المساري ـ عرف بابن مجبر ـ أجاز بها الطالب النجيب الابر الحافظ الاريب أبا عمران موسى بن الشيخ المبارك ابى مهدي ابن المرحوم بكرم الله ابى سالم بن ابراهيم بن عمر المزياتي اللجائي وفقه الله تعالى وأرشده كتبت فى شهر ذي القعدة من عام ستة وخمسين وتسعمائة هجرية عليها تواقيع تنيف على العشرة من طرف عدول.

تقع الاجازة فى رق غزال فى طول متر وعرض قدره ٦٥ سنتمتراً بخط جميل بيد ان الارضة أتت على بعض أطرافها خاصة الوسط المكتوب بالذهب الذي به اسما المجيز والمجاز.

ومن الاجازات القرآنية التى تعتبر شهادة من الشهادات التي يحصل

عليها الفائزون اليوم فى الامتحانات المعاصرة ان الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني استجاز الفقيه المرحوم عبد الله ابن حضراء السلوي فأجازه بما أجيز به من طرف الاستاذين أبي عبد الله محمد بن الجيلاني الشرقاوى، وأبي محمد عبد السلام الحصيني، وهما عن الشيخ المشارك السيد محمد الحفيان الشرقاوى الرباطي الا ان المجيز ابن خضراء صرح بعدم وقوفه على سند الحفيان المذكور

وفى البغية للسيد العربي بن السايح عند ذكر ترجمته قال : إنه أخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح الزاهد الورع الاستاذ المبرز السيد محمد بن عبد السلام الشرقي دفين روضة القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي(١).

من هذا الباب ماأجاز به الاستاذ الخير السيد المكي بن احمد بريش الرباطي المؤلف اذ أخذ عنه قراءة الاستاذ المقرىء عبد الله بن كثير المكي(٢) احد البدور السبعة. نص الاجازة :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله الذي أورثنا كتابه وشرفنا بحفظه ، وحبب إلينا تلاوته وروايته، وجعلنا من أهله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله أشرف خلقه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته، أما بعد فإن الطالب

---

١) انظر البغية

٢) له راويان ـ البزى وقنبل.

الاديب اللبيب النبيه الفقيه بلا شك ولا التباس السيد عبد الله بن الحاج العباس الجراري قد طلب مني أن أجيزه الاجازة التي أجازني بها شيخي الاستاذ المقرىء العالم العلامة سيدى ومولاى الحاج المهدي بن عبد السلام ابن المعطي متجنوش الرباطي رحمه الله تعالى وبرد مضجعه آمين ـ فى قراءة القرآن واقرائه للاخوان — فإني أجزته بالشرط الذي شرطه علي وهو اعطاء الحروف حقها من غير زيادة ولا نقصان، وأتحفني بمنظومة نظمها تتضمن هذه الاجازة وهذا الشرط فها كها على سبيل الاتحاف ـ ونصها :

تخلق بأخلاق الولي تنل علا وأيضاً شهادات وصرت مؤهلا
ولا تفرحن صرفاً بأخذ إجازة إذا لم تكن بالوصف تعمل مسجلا
ولا تقتصر أصلا على أخذها ولا تنازع بها شخصاً بنفس فتجهلا
تقول أنا شيخي على ذا أجازني ولم تلتفت للشرط فيها فتبتلى
فإن حزت من شيخ إجازته فكن على شرطه فيها ولا تتململا
وإن شئت أن تحظى فكن عند شرطه بنفي وإثبات فتنجو من البلا
فقال الدسوقي العارف القرشي الذي بمولاي ابراهيم يدعي لدا الملا
وهذى طريق الناس لاشيء غيرها إلى آخر الدنيا فكن متأثلا

والله أسأل أن يكتبنا فى ديوان من ختم لهم بالحسنى، ويتوفانا وإياكم على سنة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى محبته ومحبة القرآن وأهله، وأن يجعل القرآن مؤنسا لنا وإياكم فى قبورنا، ويكون شفيعاً لنا وإياكم فى الموقف العظيم بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، آمين يارب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ فى ٢٢ (اثنين وعشرين

من شهر ذى القعدة الحرم ١٣٦٤ (أربعة وستين وثلاثمائة وألف) المكي بن احمد بريش الرباطي دارا ومنشئا وفقه الله ولطف به فى الدارين آمين (١).

هذا وعندما أتحدث قريباً عن الدراسة العلمية وطرقها داخل المساجد فسأورد نموذجا من الاجازات العلميـة التى كانت لها قيمتها فى الاعـتراف بكفاءة الطلاب ووضعهم فى صفوف المحصلين من العلماء المخولين الجـلوس على كراسي التلقين والتدريس عن جدارة واستحاق ، بل كانت أحيانا تعقد لمن من هيأة العلماء لحضور درس أو درسين يلقيهما المتخرج فى المدرسـة العتيقة (المسجد) كي تقف عمليا على مقدرة الطالب المتصـدر لاداء الرسالة العلمية علاوة على ما آنسته منه قبل من تمكن وتحصيل رغبة فى تدعيم الحقيقة العلمية التى هى أمانة من أغلى الامانات تجب إحاطتها بكامـل التحرى لحـد الوقوف على عين اليقين الباعث على الانشراح والاطمئنان (٢).

العود الى الكتـاب القرءاني في أداء رسالته

نجد فى جل المدن الاسلامية أو كلها والمغربية منها على الاخص مساجد ومعابد للذكر والعبادة، وبازاء كل مسجد صغر او كبر كتاب قرآني يعمل على تهييء الابنـاء وتنشيئهم نشأة صالحة رفعهم الى مستوى القراء وتبعدهم عن حظيرة الامية البغيضة ذلـك ان طـائفة من المؤمنين تلهم

١) يوجد نص الاجازة بمكتبة المؤلف (المجاز) ـ بخط المجيز . أما ترجمته وترجمة الشيخ المهدي متجنوش ـ فيوجد ان بالاصل الجزء الثاني : من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين ـ الرباط وسلا .

٢) هذه الطريقة بمنزلة الامتحان والمباريات التى تجري اليوم للتلاميذ والطلبة من مرة لاخرى .

فتجند طاقتها للبناء والتشييد، وقد تتخطى ذلك شافعة أعمالها الطيبة بوقف أوقاف طائلة تساعدها على القيام برسالتها وحفظ كيانها.

وليس بعيداً ان تشمل تلك الاحباس المرصودة لهذه الغاية المرافق المؤسسة معها، فمنذ عهد بعيد كانت الاحباس التي خلدها أسلافنا رضوان الله عليهم تقوم بالاصلاح بمعناه الواسع، وبالتأسيس من جديد ان دعت الحاجة والفرش اللائق بمكانتها ومالها من أهداف حسنة في الاوساط الاسلامية والتعليمية بوجه خاص.

واذا كان الوقف على المسجد لايفتأ يشمل بالطبع مرافقه كالمكتب القرءاني فلا غرابة أن يتناول ريعه ودخله مايحفظ عليه كرامته رغبة في تشجيعه وبعثه على العمل المثمر، والتلقين المنتج، اذ الكتاب القرآني(المسيد) يعد المدرسة التحضيرية الاولى التي درج فيها علماء الاسلام الاول، وكانت الاساس التكويني الاصيل لهم في الخروج من الامية، وحمل الكتاب في صدورهم، وحفظ قسط مهم من أمهات العلوم والفنون لسانيا ودينياً ورياضياً وعقلياً.

لذا كان أكيداً على حفظة الاوقاف الساهرين على مصالحها ان يعيروا المكتب القرآني اهتمامهم الخاص، وعنايتهم الصادقة، فيمدوه بما يرفع من شأنه، ويضمه في المستوى اللائق بخدماته الثقافية والانسانية التي أسداها للمجموع الاسلامي شرقاً وغرباً.

نعم فبعد الاحتلال الفرنسي وحمايته سعى سعيه السافر في محاربة

مبادىء الأسلام الصحيحة التي في مقدمتها القرآن، وأخذ أبناء الكتاتيب يغادرونها مقبلين على الانخراط في سلك تلاميذ التعليم الرسمي الذي كان ضربة قاسية في مجموعه على اللغة العربية والقرآن الكريم في المقدمة، بل استأسد رجال الادارة في السنين الاخيرة فجعلوا بطردون حفاظه من معاهدهم ومدارسهم، الحفاظ الذين كانت لهم الدراية الخاصة بالقرآن ومعرفة أدائه الى النشء المسلم غضاً طريا كتشويه لتلاوته بتكليف البعداء عن مدرسته المقدسة.

فمدرسة قرءانية أدت رسالتها أجيالا وأجيالا يبدو من العار ان لانلفت اليها نظرنا، ونعطف على العاملين بأبهائها، والمحافظين على تراثها الخالد الذي لايخلق ولا يبلى (خيركم من تعلم القرآن وعلمه (١)) وهذا ماقدرته الاحباس قبل، وكان لها فيه اليد العليا، والجداء الكبير، والبصر النافذ على الكتاتيب القرءانية رعاية وإحسانا حتى كانت الحصن الحصين، والملجأ الواقى فى فرشها وترميمها وتجديدها وتبييضها ان اقتضى الحال بل تأسيسها من جديد فى الاحياء المحدثة، بيد أنه وقد تطور التعليم وارتفعت معاهده، وأخذت تساير روح العصر تلقيناً وتأثيثاً فمن المؤكد ان تخطو هيأة عموم الاوقاف بالكتاتيب القرءانية خطوات تساعدها على الالتحاق جملة بالمؤسسات التحضيرية للتعليم الاولى فتهيء لها مقاعد وسبورات وما اليها من مرافق تجعلها تمت بصلة ولوجزئياً الى التعليم المنظم، وبذلك تكون قد استرجعت كرامتها مقتدية

---

١) اخرجه البخارى والترمذي عن علي، واحمد في المسند وابو داود والترمذي وابن ماجه عن عثمان بن عفان.

فى الوقت ذاته بالخطة التي رسمها ملك البلاد محمد الخامس قدس الله روحه فأصدر ظهيره الشريف المؤرخ بـ ٧ شوال عام ١٣٥٦ موافق سنة ١٩٣٧ المحتوى فصولا فى تنظيم الكتاتيب القرءانية بالمغرب، والاشراف عليها، وتحسين أحوالها الى آخر ماسبق فى فصل العود الى الحديث عن الكتـاتيب مع القرار الوزيري المتعلق بالمراقبة(١)

هذا ولا يغفل القلم ان الحكومة الفرنسية وإدارتها فى ذلك العهد البائد لم تفسح المجال لتطور هذا التعليم بل رجعت به القهقرى الى حد غدا يزرى بقيمة رجـاله الشيء الذي حفز المؤلف بصفته مفتشاً أنذاك لمقـاطعة حفلات التوزيع التي كانت تقيمها إدارة البلدية سنويا بالمحاكم الباشوية ذلك للتصرف الشاذ الذي كانت ترتكبه فى التوزيع فضلا عن قلة مايوزع

والامل ان تقوم الاوقاف بامداد مشروع التعليم القرآني واسعافه من ميزانيتها متكاثفة مع وزارة التربية الوطنية رجاء عودة مجد المكتب القرءاني واحيائه من جديد والسير به نحو الهدف المنشود.

اقتراحات جديدة حول الكتاب

يقدم لوزير التربية الوطنية

فى يامن يوليوز سنة ١٩٥٨ قدم المؤلف اقتراحات لوزير التربية الوطنية وقتئذ السيد الحاج عمر ابن عبد الجليل تضمنت مايلي :

١ـ وضع منهج يضمن تطوير المكتب القرءاني اذا طبق تحت إشراف

---

١) فليراجع في فصله.

أكفاء من المسيرين

٢ـ اقتراح وضع نظام بمساعدة الاستاذ محمد غازي حول إيجاد تعليم قرآني مفيد .

٣ـ تهييء شهادة قرآنية ينالها كل من أراد فتح كتاب قرآني بعد إجراء امتحان الكفاءة عليه(١) فكانت النتيجة الرجوع الى المنشور رقم ١٧ المؤرخ بـ ٩ شتنبر سنة : ١٩٥٧ ونصه:

يجب أن ينهض المكتب القرآني من كبوته ليساير المدرسة العصرية جملة ، ويعمل على إنقاذ نشئنا الفتي فى مراحله الاولى من مساوىء الانحلال جاهداً نفسه للخروج من مأزقه الضيق إلى عالم الانطلاق والانتاج ، لذا يتأكد فى حق كل مدير مكتب قرآني أن يطبق فى مكتبه النقط التالية :

١ـ سعة المكتب ونظافته وفرشه بالحصر الجيدة حسب الامكان .

٢ـ يقبل المكتب القرآني ما بين العشرين والخمسين تلميذاً، وإن زاد العدد إلى الثمانين فلابد من مساعد كفء أو مساعدين .

٣ـ لا يقبل فى المسيد إلا ابناء أربع سنوات فأعلى .

٤ـ ينظم تحديد الدخول والخروج صباحاً ومساء ، فالدخول يكون على الساعة التاسعة صباحاً،والخروج يكون على الساعة الثانية عشرة ؛ وفى المساء يكون الدحول على الساعة الثانية والنصف ، والخروج على الخامسة والنصف.

٥ـ وضع راحة للتلاميذ ـ من ١٠ـ إلى ١٠ـ١٥ صباحا،ومن ٣ـ٤٥ الى ٤ مساء

٦ـ تخصيص أربع ساعات فى اليوم للقرآن الكريم ـ ساعتان فى الصباح

---

١) تقدم الحديث عنها قريباً.

من التاسعة إلى الحادية عشرة، وساعتان فى المساء من الثانية والنصف إلى الرابعة ونصف.

٧ـ يجب تعليم التلاميذ القراءة والكتابة أولا بالطرق الجديدة بواسطة (السبورة) وبعد التمكن من معرفة القراءة والكتابة فى ظرف أربعة أشهر ـ ينتقل بهم إلى تحفيظ سور قرآنية مختارة حسب طبقاتهم.

٨ـ جعل تلاميذ الكتاب القرآني طبقات ثلاثا ـ ١) المبتدئون. ٢) أصحاب التهجي. ٣) الحفاظ.

٩ـ إعطاء دروس دينية وأخلاقية ولسانية، وأناشيد مختارة — كمحفوظات حسب مستوياتهم — يوزع الكل على أيام الاسبوع تبعاً لورقة استعمال الزمن (١)، وتكون قبل الخروج صباحا ومساء عقب دروس القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ومن لم يستطع أداء هذه المبادىء الاولية من مسيري الكتاتيب فليستعن عليها ببعض ذوي الخبرة فى التعليم

١٠ـ جعل الاجور المقدمة إلى المعلم من طرف التلاميذ شهرية.

١١ـ على مسيري الكتاتيب الابتعاد عن كتابة التمائم والحروز وكل مامن شأنه أن يمت بصلة إلى الشعوذة والتخريف اللذين قد تصيب شرارتهما أبناءنا الابرياء من كثرة ما يجري فى تكرار بمرأى ومسمع من طفولتهم، فضلا عن تلطيخ الكتاب بدنس الشعوذة وسمومها الفاتنة.

وعلى ضوء هذه التعاليم وتطبيقها فى المكتب القرآني — يمكنه أن يقطع المراحل التي تخوله الالتحاق بالتعليم الاولى ونظامه فى المدرسة الجديدة

---

١) التي يتأكد على المعلم وضعها ازاءه كدليل يترسم خطاه.

كما يلفت النظر إلى المسيرين والمديرين ليعملوا على إيجاد منح تتلاءم ونشاطهم فى المهنة .

مدرسة المقرئين بفـاس

من عنايـة وزارة التهذيب الوطني سعيها فى تهييء مدرسة لتكوين قراء أكفاء يستطيعون أداء رسالة تلقين الكتاب تلقيناً سليما من التعثر والتشويه يعود بنا الى عصور النور الاولى، وكيف كان الكتاب يدرس ويلقن لابناء الفطرة فى إطار سليم يكسوه رواء الاشراق والاجلال تلاوة ورسماً وتبليغاً لآيه المقدسة غضة طرية، وانها ويم الحق التفاتة غالية أوحى بها عاهل البلاد محمد الخامس رحمه الله فأصدر أمره بتأسيس مدرسة المقرئين بفاس تلك المدرسة الاولى من نوعها والتى ستعنى عناية خـاصة بالمنخرطين فيها حيث ستزودهم بمعارف وفنون تضعهم فى مستوى المقرئين الحق الذين يتلون ويحسنون، ويدركون فى الجملة مدلول مايقرؤون بما يتلقونه من علوم لسانية ودينية ـ تفسير ونحو وفقه وتجويد ـ.

ولاهمية المشروع وضعت له مناهج وضوابط احتوت البنود التالية :

١ـ لايقبل فى مؤسستها إلا من استظهر نصف القرآن على الاقل باجراء امتحان أولى للدخول .

٢ـ ان يبلغ عمر المنخرط ١٨ سنة على الاقل، و٢٥ على الاكثر ليساعده ذلك على التوظيف قانونياً بالمدارس كمعلم.

٣ـ ان يدلى بشهادة حسن السيرة والاخلاق من طرف عامل بلده.

٤ ـ شهاةة طبية تشهد بسلامته، واذا توفرت هذه الشروط قبل المنخرط.

ثم بعد مايقضي فى المدرسة ثلاث سنوات يخرج بعد مرور امتحان التخريج حاملا شهادة تخوله العمل بإحدى المدارس الرسمية كمدرس للقرآن العظيم بها، واكرم بها نتيجة علاوة على التكوين الذي احرز عليه فى المؤسسة لسانا ودِيناً مع اقتراح مساعدة مادية يتقاضونها طوال السنوات الثلاث تقدر شهريا بسبعين درهما.

وهاهى تضم بين جدرانها ثلاثة وأربعين طالباً يتكونون استعداداً لتلقين القرآن الكريم (بعد التخريج) فى صدور النشء تلقيناً مرضياً فى تلاوته وتجويده وإتقان قواعده المقررة خاصة بحرف نافع المدني وقرآة أحد راوييه الاستاذ ورش(١).

ولا عجب ان تكون هذه خطوة من خطوات المحافظة على الدستور الحق وحمله فى الصدور، تلكم الميزة التي امتازت بها أمة القرآن وحدها من بين باقي الامم الاخرى فحملت إنجيلها فى صدرها.

وقد اعتنت وزارة التربية الوطنية فجعلت عليها مديراً للتسيير حسبما لديه من قوانين، وما للمشروع من نتائج لها قيمتها فى التلاوة الصحيحة.

فالمؤسسة ستقبل سنويا ما يقرب من ٣٥ طالباً تهيئهم لتلقين الكتاب تلقيناً علمياً وعملياً بالمدارس الرسمية كما أخذوه.

---

١) هو عثمان بن سعيد بن عدي المصري من كبار القراء — غلب عليه لقب ورش — أصله من القيروان ومولده ووفاته بمصر ١٩٧هـ -- ٨١٣م.

زيـارة مدرسة المقرئين

زار المؤلف المدرسة بعد انتقالها من الزربطانة بفاس فوجد الدراسة بها سائرة سيرها العادي، وإثر لحظات حضر مديرها السيد ادريس السميرس وبعد التعارف أخذ يتحدث وإياه عن سير المدرسة ونظامها مستفهما عن المعلمين والطلبة جميعاً هل هناك نشاط؟ فكان الجواب ان الجميع يؤدي واجبه ويقوم بما تفرضه عليه المهنة والامانة بيد ان هناك عدداً من الطلبة غير راضين عن أحد معلمي التجويد بها بدعوى انه لايستطيع تفهيمهم وإبلاغ ماهم متعطشون اليه من وصول الى حقائق الفن عن تبسيط وتحليل يساعدان على التحصيل فى أقرب وقت، وقدلا يكون هذا غريباً فكم من عالم محصل لايستطيع تبليغ ماحمل لاسيما ما يرجع منه الى العمل اللساني كالتجويد الذى يؤخذ من الافواه.

« وليس بينه بين تركه الارياضة امرىء بفكه »

وقد أطلع المدير الزائر على أعماله الادارية بما فيها من ملفات ودفاتر وأوراق الامتحانات وماتحتويه من نقط ودرجات، ثم ملفات كل طالب على حدة أعمال دلت فى مجموعها على نشاط فى تسيير الادارة يضاف الى هذا مايبدو عليه من تطلع للملاحظات الموجهة اليه وتقبلها بصدر رحب رجاء السير بالمؤسسة الى المقام اللائق بشرفها.

بعد هذا طاف المفتش بالاقسام الثلاثة ـ اشتمل الاول على حرفين : ا) وعدد طلبته : ٢٣ : ب) وعدد طلبته : ٢٦ . واشتمل الثاني على حرف واحد ـ وعدد المنخرطين فيه ٣١ فكان مجموع الطلبة ثمانين (٨٠) وحضر

درساً بالطبقة الثانية للاستاذ ابن جلون فى صلب الفن فكان درسا مفيدا توفق فيه ودل فى نفس الوقت على تضلعه فى المادة ولا غرابة فابن جلون من حفاظ السبع وقرائه الذين لهم دراية خاصة ، واطلاع واسع على التلاوة ودقائقها ـ وفى هذه الاثناء استمع إلى تلاوة الطلبة جماعة وفرادى فى اعجاب دفعه لتوجيه أسئلة فنية تجويدية باحثاً معهم جوهر ما يحمله السؤال فى صميم الفن، وطالباً من البعض ترداد الآية المتلوة وادخالها فى قالب التطبيق .

والشيء الذي يبعث على الانشراح ، ويحفز إلى التفاؤل بمستقبل المؤسسة القرآنية ـ ما شاهده واستمع إليه الزائر من تلاوة تعلوها مسحة الجودة والترتيل لآى الكتاب الحكيم حسبما توحى به التلاوة المطلوبة، والتي حررها القراء وحافظوا عليها حتى بلغتنا بالتلقى المتواتر عنهم إلى عصرنا الحاضر.

وعشية يوم الزيارة ألقى المؤلف محاضرة فى الفن عنوانها : «بعث قراء الكتاب على التلاوة الصحيحة (١)» وكانت نتيجة الزيارة ـ اقتراح الزائر على الوزارة المعنية ما يلي : ١) إدخال مادة الحساب فى برنامج المؤسسة . ٢) اتساع المجال لقبول الطلبة بالمدرسة وعدم حصر العدد فى : ٣٥ ـ ٤٠ سنويا. حقق الله الآمال .

وقد كان لجامعة القرويين النظر المباشر فى تسيير المؤسسة إذ كانت ترعاها ممدة إياها بالمعلمين والاساتيذ ، وساهرة فى ذات الوقت على امتحاناتها الدورية والسنوية مما نمى معنويتها ولفت إليها انظار الطلبة بوجه

---

١) نشرتها مجلة الايمان المغربية — العدد التاسع من السنة الثالثة دجنبر سنة ١٩٦٦ يناير ١٩٦٧ .

خاص لحد الرغبة الملحة فى الانخراط فى سلك تلاميذها.

ولكن ويالاسف أنه لم يكتب لها البقاء فتؤدي الرسالة إلى النهاية — فبعدما تكون بها فوجان وقف سيرها، وكم يزداد الالم شدة حازا فى النفوس ان الوعد الذى وعد به المتخرجون فى أبهائها لم يوف لهم بـه — ثم الادهى والامر من الكل ـ ان الوزارة المعنية ـ أبعدت أخيراً جماعة عن حظيرة التعليم رغم قضائهم فيه ما ينيف على الاربع سنوات ، ورغم تقدمهم فى المهنة وطرقها . ابعد هذا نتبجح باننا اوفياء ؟

وفى سنة ١٩٥٨ عندما أصبح الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله مـدير للتعليم الاسلامي العالي ـ حاول أن يطور المؤسسة وينقل مدتها من ثلاث سنوات إلى خمس بإدخال القراءات السبع فى مناهجها حيث يتفق ذلك مع اسمها «مدرسة المقرئين» ولكن حال دون إنجاز الفكرة ـ ما عرقل المحاولة بل اقبر المشروع بعد فى اقتبال حياتة ونشاطه .

المساجد وأثرها في اصلاح العقول وتطهير النفوس

كان المسلمون فى فجر عهودهم الاولى، وفتوحاتهم المبكرة يؤدون صلواتهم فى أمكنة يتخذونها بأحيائهم من خيام وأخصاص وما اليها يقيمون بها ما وجب عليهم من صلوات فى اليوم والليلة، وكان سكان الاحياء والقبائل لذلكم العهد الاسلامي الفتى ينفقون على هذه المساجد البسيطة من حر أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وسعياً وراء ثوابه الذى يأمله كل مؤمن.

فبعد ان أخذت طاقة الاسلام تقوى وتم البقاع ـ فكر الملوك والامراء في تأسيس المدن وتهييء مايلزم ان تتوفر عليه من مصالح ومرافق وكان في المقدمة المساجد والمعابد.

وان اول من انبرى للقيام بهذه المبرة المقدسة المولى ادريس الفاتح الاكبر للمغرب، فبعدما استقر في هذه الديار توجه فاتحاً تلمسان الشقيقة وغزو من بها من قبائل مغراوة وبني يفرن، وفور وصوله اليها استقبله أميرها محمد بن خزرن صولا المغراويت، وطلب منه الامان فأمنه، ودخل اليها الخليفة ادريس الاول صلحاً وأمن أهلها، وبنى مسجدها، وأتقنه وصنع له منبراً كتب عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وذلك في شهر صفر عام ١٧٤هـ — ٧٩٠م.

هذه تلمسان التي عدها المؤرخون باب افريقية او المغرب :

تلمسان لو ان الزمان بها يسخو منى النفس لادار السلام ولا الكرخ

كما يقول محمد بن خميس في قصيدته الحائية متشوقاً اليها لكونها مسقط رأسه.

فها نحن نرى أعظم مسجد من مساجد الاسلام يؤسسه الفاتح الاول بهذا البلد العزيز.

وعندما التحق بربه برد الله ثراه وخلفه ابنه ادريس الثاني الملقب بالانور وتكاثرت الوفود عليه بوليلي قرب (مدينة زرهون) فكر رحمه الله في جمع

من علية القوم فى بناء مدينة تسع وفوده ورجال رعيته، وفعلا أثمرت الفكرة وكانت النتيجة تأسيس فاس، وفى مقدمة المشروع تكوين أول مسجد بهاهو جامع الشرفاء الذي على غرار قبلته وضعت قبلة جامع القرويين عند تأسيسه (١) ونقلت الخطبة منه الى الجامع الجديد، ولم يعرف أول رجل أم بالناس فيه اذ لم تكن امامة المساجد لذلك العهد المشرق وظيفة دينية رسمية يتقاضى المشتغل بها أجرة كامام راتب بل كان يؤم المسلمين وقتئذ كل من توفر على سمت حسن، ودين متين، ومعرفة بتلاوة القرآن الكريم وطبعاً يطمئن المومنون وتطيب نفوسهم للصلاة وراء رجل تكاملت فيه هذه الصفات الحميدة التي تنشدها شريعة الاسلام، وتدعو اليها مبادؤه.

وبالتالي فقد لعبت المساجد من أول تأسيسها شرقاً وغرباً دوراً مهما فى شتى النواحي دينياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً اذ كانت تعقد فيها الحلقات العلمية والثقافية فكان الرسول عليه السلام يرشد أصحابه، ويعلمهم ماهم فى أمس الحاجة لمعرفته، كما كانت تبرم فيها المفاوضات والمخابرات لدعم الدعوة الاسلامية وتركيز تعاليمها فى النفوس، وفيها كانت تعقد ألوية السرايا حيث لم تكن اسست مراكز لهذا الغرض الحربي الهام. فكان المسجد والمسجد وحده المرجع الوحيد لسد هذه الحاجات الضرورية لكل الطاقات مادياً وروحياً، فهذا الاب الاول النبي أدام عليه السلام يومر من تلقاء ربه بتأسيس بيت بوادي مكة التماساً للرحمة والمغفرة، كما ان الرسول محمد عليه السلام بنى مسجده الذى انفرد بالدور القيادي على المساجد جميعها فكان

---

١) رغم ماهى عليه من انحراف

مركز الخلافة فى أهم عصر من عصور الاسلام أيام أبي بكر وعمر وعثمان، وهو طبعا ثالث المساجد التي اليها تشد الرحال، بل كان المكان المختار لمجلس عمر بن الخطاب فى قضائه وتدبيره شئون الدولة، ومنه خرجت فتاويه للناس فى وقت كان فيه مجلس شوراه الخاص مع عثمان بن عفان(١)، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابث، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر بن الخطاب. وغيرهم من فقهاء الصحابة وذوى الرأي والرشاد منهم(٢).

فهؤلاء وغيرهم كثير ممن تكفلت بذكرهم كتب السنة والفقه والتشريع كانوا طلاباً وأساتذة فى آن واحد فى جامعة الاسلام الاولى التى مقرها الاشماعى المسجد النبوى فى المدينة المنورة حلال القرنين الاول والثاني من هجرة الرسول الاعظم صلوات الله عليه .

هكذا كان الحال فى الحرم المكي حيث كان كبار الصحابة يجلسون لاداء رسالة التهذيب والتثقيف كمعاذ بن جبل، وعبد الله بن عباس، وأصبح المسجد امتداداً لهذه الحلقات الروحية يلعب دوره الخطير فى رفع لواء الاسلام خفاقا فى عواصم الاسلام ومدنه ـ كالبصرة والكوفة والشام بعد فتحه، والسودان، وجامع الزيتونة فى تونس، وجامع القرويين بفاس، والاندلس التى منذ فتحها العرب وهم ينشؤن المساجد، ويتوسعون فى إقامتها لدرجة أن مدينة «قرطبة» وحدها كان بها ـ سبعمائة مسجد، وهذا وحده يبرهن فى وضوح

---

١) وفي أيام عثمان وخلافته اتخذ داراً للقضاء بدل المسجد وهى من أولياته .
٢) والكل له قيمته ومزيته من الاصحاب.

على مدى عناية الاسلام والمسلمين بالمسجد وتأسيسه لما وقع فى صدورهم ـ ان المسجد كان مركز اشعاع للثقافة فى كل الاصقاع الاسلامية المترامية الاطراف. ولا تزال السلسلة متصلة الحلقات حتى اليوم.

الاهتداء لتكوين المدارس

بعدما كان المسجد ـ مقر الاشعاع العلمي ، والتكوين الثقافى ردحا من الزمان ، ودعا ذلك بالطبع إلى الامتداد والسعة لمكان الاقبال المتواصل على أفانين المعرفة وصنوف التربية ـ اقتضى ذلك تهيىء أمكنة خاصة تدرس فيها العلوم والمعارف فى هدوء وابتعاد عن الخلط والتشويش ـ فكان من السباقين لتلك المزية الغاليه ، والسنة الماضية ـ الخليفة هشام بن عبد الملك فأسس أول مدرسة بالشرق تكفلت بضم طلاب المعرفة على اختلاف ألوانها.

وامتد هذا الاشعاع العرفاني فى بقاع الارض شرقا وغربا وكان من ذلك ماقام به الاستاذ وجاج بن زلو اللمطي الافريقي فأسس معهدا(١) بالمغرب الاقصى أثناء العقد الثاني من المائة الخامسة للهجرة معهد شعت أنواره على المغرب العربي بواسطة أحد خريجيه الزعيم الشهيد عبد الله بن ياسين، فكان هذا فتحا جديدا دعم المسجد وساعده ، وقوى فى نفس الوقت حركة التأسيس المدرسي، وحفز الملوك والشيوخ بخاصة لفتح الزوايا والمدارس ازاء المساجد خدمة للمعرفة والثقافة ، وسعيا وراء تكوين أجيال صالحة تضطلع بمسؤوليات الحياة فى شتى الوانها واستمرت الحال تلك عبر العصور والاجيال بل اتسعت أيام الدولة المرينية بالمغرب حيث علا مؤسستها الفن

١) أو رابطة كما كانوا يسمونها — يقصده الطلاب للاخذ والتثقيف والتهذيب .

والزخرفة ؛ ويكفي شاهدا على هذا ـ أن يرى المعاصر مدارس فاس ، وسلا ومراكش ، والرباط وغيرها .

وعلى هذا المثال سار السعديون فى القرن العاشر الهجري وأوائل الحادي عشر ـ غير أن طابع الفن ورقته تجلياً بصفة خاصة فى مقبرتهم بقصبة مراكش إزاء جامع المنصور الموحدي ـ الشيء الذي اضطر معه الكاتبان الفرنسيان ـ الاخوان جروم وجام طارو للقول : ان من لم يشاهد فى حياته مقبرة الملوك السعديين فى مراكش لم يدرك إلى أية درجة من الارتقاء بلغت المدنية الاسلامية (١).

واتصلت حلقات التأسيس وبناء المساجد فى الدولتنا العلوية بأغزر مما عرف قبل إنشاء وتجديداً حيث اندفع الكثير من أبناء المغرب لوقف تحبيس الاراضي والرباع على تأسيس المساجد وصيانتها ، بل امتازوا عن سواهم بحضور دروس العلم بأنفسهم، فهذا المولى الرشيد العلوي يحضر حلقات الدراسة بجامعة القرويين، ويحص كلا من الاساتيذ والطلبة على نشر العلم وتلقيه بروح ملؤه الصدق والاخلاص، كما نجد أخاه المولى اسمعيل ـ يحبس عدة كتب علمية قيمة على خزانة القرويين، وتلك سنة ـ المنصور السعدى قبل.

كما أن عالم الدولة المولى سليمان طيب الله ثراه ـ كان هو بدوره من آونة لاخرى يزور جامعة القرويين متردداً على مجالس دروس الصدور من الشيوخ.

ولا ننسى المولى عبد الرحمان بن هشام ـ فقد كان هو الاخر له اعتناء خاص بالعلم

---

١) ولها ـ فاس أو المترفون المسلمون، كما لها : الشعاع الاخضر. فقد كتبا عن المغرب وحضارته ماله قيمته الفنية مما قد يخفى

وذويه ، واهتمام كبير بتنظيمه وترتيب دروسه بل يعد ثاني مؤسس لنظام التدريس بجامعة القرويين .

وهكذا أخذت الجامعة وفروعها الحظ المرموق فى عالم المعرفة والثقافة ترتيباً وتنظيما أيام الملك المقدس محمد الخامس.

وكل هذا يدخل فى غمار العناية بالمساجد والعمل على تأدية رسالتها فى جو يسوده التكريم والوقار .

وإلى حد الساعة لايزال تأسيس المساجد يتابع فى مدن المغرب وقراه وتهيء نماذج مثالية، وتنظيم دراسات علمية وإرشادية بواسطة علماء أكفاء يخصصون لهذه الغايـة النبيلة بعنايـة الملك الحسن الثاني واهتمامه كذلك بوظيفتي الامامة والخطابـة ـ الخطابـة التي رغم الجهود المبذولة تحسينها أصبح يتولاها فى المجموع من هم فى أمس الحاجة إلى مثافنة الكتاب العلمي والمرور فى مراحله ثاني مرة حيث لم يستفيدوا من تجاربه الاولى ما يقوم ألسنتهم، ويضمهم فى صفوف الذين لازموا المساجد وتكونوا فى أحضان ابهائها أمام مشايخ العلم ورجال الثقافة على اختلاف معارفهم (٢)

العلم ودراسته عبر التاريخ

من المسلم ان المساجد(١) منذ انشئت وهى تؤدي رسالتها الدينية والثقافية وما الى ذلك من مصالح قضائية وحقوقية .

---

١) اولاء العلمـاء الذين كان منهم ماضمه الجزء الثاني «اعـلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا» .

٢) المعنا لهذا المعنى سابقاً .

وكان على رأس هذه الرسالة دراسة العلم وتلقينه فى مختلف العلوم والفنون حتى كانت الكبرى منها تضم بلاطاتها أحيانا وفى اللحظة الواحدة ماينيف على المائة حلقة دراسية .

وقد تحدث المقدسي عن هذا المعنى قائلا : «لقد أحصيت فى المسجد الجامع بالازهر وقت العشاء مائة وعشرين مجلساً من مجالس العلم، اذ لم تكن فى فجر الاسلام معاهد ومدارس منظمة تقوم بالتلقين نحو ما جد اليوم فى فى عالم التعليم والتثقيف ان هى الا المساجد يؤمها رواد المعرفة على اختلاف مشاربهم ومقدراتهم فيتصلون بالعالم ويقترحون عليه دراسة فن من الفنون حسب مستواهم وعن ولوع وطواعية فى بث المعارف فى النشء المتعطش فيلبي الرغبة، ويضرب موعداً لاعطاء الدروس بمسجد معين.

وفعلا يحل الموعد ويحضر المعلم وبتعبير أصح (الفقيه) حسب المتعارف مطالعاً درسه ومستظهراً مسائله، وللفور يحلق عليه تلاميذه فيأخذ فى الالقاء على مسامعهم وهم صامتون كأنما على رؤوسهم الطير شيء يدفع بالبعض الى السنة فالنوم كانه طفل يهدأ فى مهده مستحلياً نغمات الفقيه المخللة بكلمات تمرن عليها لسانه، وأصبحت تجري عليه دون ان يكون لها فى غالب الموضوع مسيس به، بل تعدد رنات النغم الى حد التبييت والتقسيم[1]، وفى هذه الاثناء لايستطيع أحد من الطلبة ان يقاطعه بطرح سؤال يود من ورائه التمكن من فهم مايملي عليه من مسائل المقروء حتى ان من تجرأ على خرق سياج الصمت ولزوم الاستماع ، ووجه الى الفقيه سؤالا موضوعياً

---

١) ما أشبه الحالة هذه اليوم بخطباء الجمع والاعياد في المجموع .

عد من الخارجين عن حدود الادب واللياقة، وقد يواجه من طرف الفقيه مايؤلمه من تأنيب وتبكيت، ثم يسترسل فى تحليل الدرس وأدائه أداء آلياً (او تمتيكياً) رغبة فى افراغ ما التقطته حافظته من مسائل وأمثلة لا يستطيع الخروج عن مادتها التي أصبحت (كلشياً) لايحيد عنه (زيد قائم، الحيوان الناطق) وما الهيا من أمثلة تدرج فى العلوم المتداولة فلا تتسع دائرة أفقه لابتكار أمثلة حية منتزعة مما يعيشه الدارس تعمل على اتساع آفاقه بل يبقى محصور الفكر بين أطر ماأكل الدهر عليه وشرب من أمثلة .

وهذا من دون شك يعد السبب الرئيسي الذي لايسمح للطالب بالتفتح وابداء الرأي أمام المعلم واستفهامه عما يمكن ان يعتصى من مسائل تملى على مسامعه املاء، شيء يتصادم وطرق التربية والتعليم، وما تفرضه أساليبها المنتجة من تشريك التلاميذ وتعويدهم على الفهم وتمرينهم على الاخذ والرد، وتربية ملكة الشجاعة الادبية فى نفوسهم حيث يتهيؤون بذلك لمواجهة الحياة، وخوض غمارها عن خبرة وتجربة .

فمعلم من هذا القبيل هو بالطبع من الذين يحفظون المتن والشرح او قل : الحمرة وما كتب عليها لايستطيع ان يثبت أمام اي سؤال يطرح، او يتحمل اي شيء يمر قل إملاءه، ويفسد عليه نظام محفوظة، لذا فهو يتأثر لادنى حركة، ويسقط فى يده لمجرد الوسوسة(١) بما يفكك عرى المحفوظ، ويقف بحماره فى العقبة، وطبعاً تنزل شخصيته الى الحضيض، ويفقد ما كان يتمتع به من سمعة هى الى الخيال الصق منها بالحقيقة.

---

١) عبارة عن حديث النفس .

فهذا وأكثر ما جعل أمثال هذا الصنف من المعلمين يتبرمون من توجيه الاسئلة، ويستعدون عن كل مسامن شأنه ان يفصل بين حلقات ما استظهروه حول الفن من مسائل.

فدروس تكتسي فى القائها صبغة الاملاء الضيق. والبعد عن الجوهر الحقبقي المنتظر من غايتها هى الى العقم والجفاف امس منها بالافادة والانتاج أضف الى هذا ماتحشى به من استطرادات وبنيات المسائل البعيدة عن روح الفن المقرر حتى ليخيل للمستمع الجديد ان موضوع الدرس أسماء الفاعلين والمفعولين بينما هو درس قانوني فقهى يتناول أبواب السرقة وأحكامها ، وهذا النوع من التداخل وخلط علم بآخر هو أيضاً خطر جديد على التلميذ المسكين والحيلولة بينه وبين التحصيل فى يسر وسهولة الشيء الذى يمكن ان يضطره الى الانقطاع عن الدراسة نهائياً، وليس من سبب سوى سوء التبليغ الذى اتصف به المعلم أخذاً على نفسه ذكر كل ما عاق بحافظته ووضعه بين ايدى التلاميذ دون وصول الى كنهه ومدلوله، وأنى لهم ذلك وهم فى نفس الوقت مصروفون عن البحث والمناقشة ، وادراك محتوى الموضوع المدروس،خاصة فى الاطوار الابتدائية ومايليها فى المستوى حيث يكون التلميذ فى عنفوان الاحذ متلهفاً على تفهم مايلقى بين يديه من قواعد ويدرج أمامه من جديد العلوم والمعارف؛ فبدل ان ينحذر المعلم الى المستوى المتفق ونفسية التلاميذ والسير بهم حسب مداركهم الفتية يبعد بهم النجعة ويصعد بفهومهم الاولية الى اوج المسطور فى لوح الحافظة اللاقطة (١).

١) تعرض المؤلف لهذا الموضوع بتحليل ومناقشة مع بعض الاساتيذ في رحلته الربيعة الى عاصمة فاس العلمية مخطوطة.

والحقيقة التى لا مراء فيها ـ أن الاستاذ الحكيم الذى تعلق عليه الآمال، وترجى من حكمته النتائج ـ هو الذى ينزل إلى الصفوف ، ويخاطبها بلغة الرباني الحق الذى يلقن الشىء بأسلوب عجيب جذاب ترتسم صوره الاخاذة فى الاذهان من كثب مع ارتكاز قواعدها فى النفس، الاستاذ الحكيم ، هو الرجل الذى يعرف كيف يكون الملكات فى مجموعة الدارسين على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، ويخلق منهم علماء قادرين على البحث والنقاش، والنقض والابرام فى فى دائرة المنطق العلمي الصحيح، الاستاذ القدير هو الذى يصوغ العقول ، ويبني الافكار ، ويهيء الرجال لمواجهة الحياة · وليست هذه المعاني الحية متمخضة عن العصر الجديد ، ووليدة القرن العشرين كما قد يتوهم ـ بل هى مدلولات خالدة أوحت بأصولها تعاليم الاسلام ، وأثبتتها طرقه التربوية منذ عهوده الاولى إلى فجر هذا العصر ، نعم علتها فترة من فترات التدهور الذى قد لا تسلم منه حركة من حركات الامم والشعوب فى مراحل أطوارها، ومن العجب (والعجائب جمة) ما تسرب لافكار علمائنا فى المجموع من خرافات جسمها الاستعمار ، ووضعها فى قالب التهويل والتخويف ، وأصبحت فكرة تدور بين رجالات العلم، ورأيا له أثره السيء على النفوس البسيطة ـ كالقول بأن دراسة القرآن وتفسيره وتفهمه يفضى إلى موت السلطان ـ انها قولة ما كان أخطرها واشنأها ـ قولة تصادم فى صراحة جريئة ـ نص الكتاب العزيز وحثه فى غير ما آية من آيه المقدسة ـ على التدبر والبحث والتعمق فى أسراره «أفلا

يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها(١) — فهل بعد آية الله ودستور الاسلام الخالد من شيء يستحق كامل العناية بالدرس والتمحيص. والقول بأن التاريخ عبارة عن خرافات وقصص لا يشتغل بها إلا البطالون ومن خرفت عقولهم، وبعدوا عن فضيلة المعرفة، هكذا ينظر إلى علم من أهم العلوم سياسياً واقتصاديا واجتماعيا به تسمو الامم، وعلى ضوء نواميسه تبني نظمها وقوانينها «لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون (٢)» ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (٣)».

وكالقول فى جرأة أن الرياضيات والحساب هى عبارة عن عقليات ليس بيننا وبين حذقها عدا أساليم معدودة حتى اندفع المتهور أو المعتوه ان شيئت للقول:

العلم بالشعر لنا يرقق والشغل بالحساب قد يحمق (٤)

وما درى أن للعدد قيمته فى الحياة جميعها لاسيما ما يمس منها الناحية الاقتصادية ، كما له فعاليته الخاصة فى تقوية الاذهان وتنمية الفكر ، وهذا علم الفرائض الذي عده علماء الاسلام (نصف العلم) لا تكاد تفصل مشاكله وجامعاته وما يحيط بها من غموض، ومعرفة من يرث ومن لا يرث إلا بالرقم

---

١) الآية ٢٤ من سورة محمد.
٢) الآية ١١١ من سورة يوسف .
٣) الآية ٦٥ من سورة آل عمران .
٤) ومما نسب للشافعي (واني لفى ريب من مجموعه) : العلوم سبعة علم التفسير يخوف، وعلم الفقه يشرف ، وعلم النحو يكيس ، وعلم الحساب يحمق ، وعلم الشعر يرقق، وعلم الحديث يورع، وعلم التنجيم يكفر . وليس المجال مجال بحث هذه القولة.

والمدد ـ المدد الذي هو وحده الفصيل فى سائر الماجريات، وهانحن نرى اليوم ابن ست أوسبع سنوات يشرع فى تعلم الارقام بالمعهد متدرجا فى سلمها إلى أن يتخرج فى أبهائه وهو ابن العشرين فأعلى حاملا شهادته العليا، وما مر عليه يوم من ايام الدراسة الطويلة دون أن يجري عملية من العمليات الرياضية – فليتأمل عالمنا هذه الحقيقة ·

أما الادب الذي هو نقطة الارتكاز، ومحور العلوم جميها، فكان حظه هو أيضاً أسوأ لدا الطائفة المتحدث عنها، إذ كانوا ينظرون إليه كشيء يتفكه به ليست له أهمية مرموقة فى عالم المعرفة بل بلغ بجرأة البعض أن كان يفتخر ـ أنه لايستطيع تحرير رسائله الخاصة بل يحيلها على أحد التجار، ياله من سخف، ويالها من مهزلة ـ ألا يعلم هذا الغر ما للعلوم الادبية بجميع فروعها الاثنى عشر من مقام فى عالم الفكر والثقافة،ومالهاً فى ميدان الآلية العلمية من مكانة لاتقوم علمية العالم دون أن تكون له قدم راسخة فى مقاماتها القولية والمعنوية بل لاتكاد تدرك علوم الحياة فى مجموعها أن لم يكن للمثقف ضلاعة فى الادب ومناحيه ·

والمؤلف لايزال يستحضر صورة من صورتك المهازل التى لمس أثرها السيء ايام الدراسة وهو لا يستطيع تحرير ابسط رسالة وقتاً كان يجاب فيه من طرف بعض الاساتيذ اذا ما اشتكى هذا العجز الشائن بالكلمة التالية :

– «من قرأ العلم أي شيء فاته».

فكان هذا الصنف من المعلمين رحم الله الجميع يرى ان المعرفة محصورة فى اقتباس قواعد وحفظ ضوابط من النحو والصرف وما اليهما من الفنون

الآلية دون ان يكون لها أثر نفساني فى التطبيق والتعبير عن خلجات النفس ومايجري فى الخاطر من آراء وأفكار أكيدة الظهور والعرض على جمهور القراء.

وبهذه الطريقة الهادفة الى الفراغ والعقم فى المجموع كانت تلقى الدروس فى المساجد والزوايا من غير ان ينكر تخرج طائفة من مزاوليها على علتها معتمدين على تكوينهم الشخصي رغم الطرق التى عاشوا متخبطين فى خضمها المضطرب.

الدراسة وحلقاتها في المساجد والزوايا وطريقة الالقاء

بدهى ان الدراسة العتيقة التى درجنا فى معاهدها كانت تجري بالمساجد والزوايا فلم تكن لها أمكنة خاصة (مدارس) منظمة كاليوم بله مدارس لسكنى الطلبة فى جل مدن المغرب.

فكانت الدروس العلمية تبتديء بعد صلاة الفجر عقب الورد القرآني (الحزب المنظم[1]) بسائر المساجد مرتين فى اليوم على اختلاف فنونها الى صلاة العشاء الاخيرة وبعبارة سحابة النهار وزلفا من اليل.

يجلس الاستاذ مستقبلا القبلة (حسب الطريقة القديمة) ويصطف أمامه التلاميذ والطلبة فى حلقات متراصة يستمعون لاملاءاته وشروحه لنصوص المدروس وتحليله وبأيديهم نسخ من شرح المتن او المقروء[2] على

---

1) على اجرة يتقاضاها المقرئون من وقف وقفه المحسنون لذلك.

2) من كلماتهم هنا : «من الذل حضور المجلس بلا نسخة والملة في ذلك لاتخفى.

نحو ماقرره أبو على اليوسي(١) فى الطريقة قائلا : الاقراء تصحيح المتن او حل المشكل . والزيادة على هذا ضررها أكثر من نفعها قال : ولا بد ان يدرج فيما ذكر من تصحيح المتن او حل المشكل التنبيه على النقص والحشو وتوجيه ما يحتاج الى التوجيه، وتلك وظيفة الاستاذ الماهر مع المبتدئين أما غيرهم فيعاملون بما يتلاءم ومستواهم .

وقد تتعدد الحلقات فى المسجد الواحد حسب سعته وكبر المجلس هنا، وآخر هناك، وثالث ازاء الصومعة أو بيت القناديل وقتاً كان للقناديل بيت خاص(٢) ولمكان السعة التي يتوفر عليها الجامع ما كان يقع بين الدروس اصطدام وتشويش يقلق راحة الاساتيذ والطلبة والمستمعين .

واجمالا كانت جل مساجد الرباط وسلا وسواهما من مدن المغرب وقراه ما كان منها فى الشوارع الكبرى او داخل الدروب والسكك وحتى الزوايا كالناصرية، والقادرية، والتجانية، الكل يعج بالدروس العلمية على اختلاف ألوانها ومستويات تلاميذها .

فنون الدراسة وكتبها

من العلوم التي كان المغاربة يعتنون بها (٣) النحو الذي يعد الاساس الاول لعلوم الآلة العربية ويندرج ضمنه الصرف.

وأول كتاب كان علماؤنا يفتحون به دراساتهم فى الفن ـ رسالة ابن

---

١) في محاضرته المطبوعة طبعة فاسية .
٢) توضع فيه الزيوت والسلاليم وادوات الايقاد والاطفاء.
٣) واظن في كل بلاد الاسلام شرقاً وغرباً.

آجروم المقدمة للشيخ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي ولادة ووفاة ت. : ٧٢٣هـ ـ ١٣٢٣م المقدمة الي ذاع صيتها شرقاً وغرباً، واعتنى بشرحها والكتابة عليها كثير من العلماء حتى نظمها البعض منهم كشيخ شيوخنا أبى حامد محمد المكى البطاودى، والقاضي أبي العباس بناني الرباطي وسواهما.

ولما كان لها من أثر حميد على الدراسين أطلق على اوليات العلوم ومقدماتها أجرومية تيمنا ان يحصل لقرائها ماحصل من فتح لاصحاب الرسالة الصنهاجية، وكان رجال العلم على اختلاف مداركهم ومشاربهم من أدركنا منهم ومن سبق يبتدئون دروسهم اول ظهورهم فى الميدان العلمي بدراسة المقدمة (الاجرومية).

وإذا ما ختموها أقاموا حفلا علمياً يوم الختم بالمسجد الذى يدرسون فيه يحضره علية علماء المصر ومن جاوره حيث يملي عالم الختم على تلاميذه والحاضرين ماشاء له حفظه واطلاعه فى إطار الفن إلا ما ياتي على هوامشه من استطرادات لها مسيس وشيج به، وربما أقام الخاتم عشية اليوم حفلا تكريمياً بهيجاً بمنزله يستدعي له العلماء والطلبة، وقد يقيم بعض بمساعدة الطلبة نزهة بأحد البساتين.

وللمؤلف ختم عليها، كما للمرحوم جعفر الكتاني ختم عليها احتوى فوائد قيمة، ولمحمد بن عمر دينية ختم ضم نحو عشرة علوم.

وأدركنا جماعة من الشيوخ اعتنوا عناية حاصة بالمقدمه فكانوا كلما ختموها فتحوها فتارة مجردة من الشرح تسهيلا على المبتدي الذي يصعب عليه لاول مرة ان يدرج بين متن وشرح جميعاً، وتارة بالشرح اذ يكون

التـلميذ قد أطل على الفن فى اجمال، وأصبح يجري على لسانه وخاطره من ألفاظه ما يدلل بين يديه عقبات الشرح وتعابيره .

وقد اعتنى المغاربة بشرح ـ خالد بن عبد الله الازهرى المصرى المعروف بالوقاد تـ ٩٠٥ ـ ١٤٩٩م من مؤلفاته «المقدمة الازهرية فى علم العربية(١).

ومن علمائنـا الذين كان لهم ولوع خـاص بالرسالة الاجرومية حيث كانت دروسهم الاسبوعية لاتخلو من حصصها شيخنا محمد بن التهامي الرغاي (وفى ظني ان له شرحـاً علـيها) هذا الشيخ الذي أعطي لقب رباني أثنـاء رجمته بالاصل الجزء الثاني اعلام الفكر المعاصر،ومنهم السيد قاسم الحاجي الرباطي الذى كان اخصائياً فى تدريسها أماشيخ الشيوخ دائرة المعارف أبو اسحاق التادلى الرباطي فله عليها شروح :

ـ ١) الشافى المختصر من الكافى حلل فيه الفاظها ممثلا لدراسيها المبتدئين بأمثلة تستسيغها مدار كهم .

ـ ٢) الكافى توسع فيه اكثر، كل هذا رغبة منه كعادته فى كل فن أصيل فى المادة ان يعمل على تقريب ابعاده ومسائله من اذهان المبتدئين فيه.وللشيخ التادلي هذا اختصار المقدمة الاجرومية اختصاراً سماه «الهداية لاهل البداية» اورد فيها علاوة على مسائلها قواعدا لجمل واعرابها بل كشف أسرارها بأبلغ من هذا فوضع عليها شرحاً أسماه: «النهاية على الهداية(٢)» ومن عنايته كذلك بالفن والعمل فى جهد على تبسيطه للمبتدي شرحه «لنزهة

---

١) مطبوعة .

٢) مخطوطان معاً يوجد بخزانة المؤلف.

الطرف فى علم الصرف» لابي محمد بن هشام رتبها على مقدمة ، ومقـالتين وخاتمة(١) لقبه : «بالملحة على النزهة» يقع فى نحو كراسة ونصف فرغ من تأليفه آخر سنة ١٣٠٩هـ ومن العناية المعطاة للمقدمة ان جماعة من العلماء عقدوها ونظموها منهم الاستـاذ القـاضي احمـد بناني الرباطي (٢)

ومنهم الشيخ أبو عبد الله ميمون الفخار الذي يقول بعد الافتتاح

كلامنا لفظ مركب مفيد بالوضع هذا الحد عنه لاتحيد

ومن شراحها العـالم احمد السوداني ت. : ١٠٤٤هـ ١٦٣٤م وشرحه كان متداولا بفاس كما قال الشيخ أبو عبد الله القادرى فى النشر(٣) .

ثم بعدما يصبح التلاميذ مشرفين على الفن - ينتقل بهم الاستاذ إلى مرحلة أعلى - فيدرس معهم لامية محمد بن مالك الطائي تـ ٦٧٢ هـ ١٦٧٣م فى تصريف الافعال مجردة عن الشرح أولا ، فإذا أعيدت دراستها مرة - أخرى اعتمد فيها على الشرح تدريباً للتلاميذ على النظر فى تحليل النظم ومعرفة ما للشارح حوله من بيان وتنبيهات وزيادات .

من شروحها المتداولة - شرح الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بحرق تـ ٩٣٠هـ - ١٥٢٣م المختصر من شرحه الكبير ، وممن كتبوا عليها من المعاصرين — الشيخ أبو حامد البطاورى ، وتلميذه شيخنا المربى محمد

---

١) ضمن الخاتمة مخارج الحروف .
٢) يوجد طرف منه بخط الناظم بخزانة المؤلف.
٣) طبع طبعة حجرية يوجد بخزانة المؤلف ، ذكروا ان العلامة المرحوم احمد بن الجيلاني افتتحها مع جماعة من التلاميذ فلما بلغ ذلك علماء الجامعة هرعوا مسرعين للاستماع اليه والتبرك بأخذها عنه وذلك منه (رحمه الله) عندما رأى عدم اكتراث الطلبة لدراستها واحتقار من يقرؤها.

الرغاى ومن الشراح ـ يعقوب المكلاتي (١).

ثم فى هذه الاثناء ـ تدرج لامية المجرادى السلوى فى الاعراب — كتب عليها جماعة — منهم أبو إسحاق التادلي شرحاً مطولا — ومنهم العلامة الرهوني التطواني ـ مطبوع ـ كما شرحها أبوحامد البطاورى (٢).

بعد هذا يحلق بهم إلى خلاصة الطائي (الالفية) متدرجاً بهم فى أبياتها من ثلاثه إلى أربعة فى الحصة حسبما يستطيعون ادراكه من قواعدها — دراسة قد تستغرق مدتها سنتين فأكثر ، ويكون لهذا الختم قيمتة العلمية الخاصة ـ فيهيء الاستاذ الخاتم حفلا مهيبا يحضره علماء البلد وطلابه ، ويقوم فى ذات اللحظة بإلقاء درس إملائي يملي فيه على أبيات الختم وما إليها من مزايا الفن والمتن المختوم بالاحرى ما شاء له اطلاعه واستحضاره ، وقد يقام حفل تكريمي عشية يوم الختم نحو ما سلفت الاشارة إلية .

والمؤلف ممن ختموا الالفية مع جماعة من الطلبة مرتين ١) بالزاوية الناصرية. ٢) بالمسجد الاعظم أملى فيه ما ينيف على الثلاث ساعات ، وقد اقترح عليه شيخه المغفور له محمد المدني ابن الحسنى ان يجمعه فى كتاب خاص وفعلا لبي الرغبة وكان الختم من جملة مؤلفاته المخطوطة .

وأقام عشية يوم الختم حفلا رائعاً بدار المرحوم الحسين بن محمد ملين.

ومرة أخرى يرتفع بهم الى اعادتها بأسرع من المرة الاولى اذ يكون التلاميذ قد تفهموا الخلاصة فى اجمال يخولهم ادراك معانيها والوقوف عليها فى سهولة.

---

١) مخطوط يوجد بمكتبة المؤلف .
٢) مخطوط يوجد بمكتبة المؤلف .

وكان شيخنا أبو عبد الله الرغاى يدرسها معنا سنويا فى شهري رجب وشعبان رغبة فى التمكن من المادة بأقوى ما يكون التمكن . وكثيراً ما كان يجري على لسانه السجعة المأثورة هذه : اللبغ لكيمي عله بخليل والالفية.

ومن الالفية اليها بأوضح المسالك الى الفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله بن هشام الانصارى ت. ٧٦١—١٣٦٠م وقد درسه أستاذنا ابن الحسني مع طبقة سبقتنا بالمسجد الاعظم بالرباط. (١)

ومن الادباء الذين درسوه بالرباط الشاعر المرحوم محمد الشنقيطي المعروف بالبيضاوي وكان المؤلف يحضر هذه الدروس التي كانت حلقاتها تعقد بين الظهرين بمسجد عطية قرب حي تحت الحمام من العاصمة لمكان قرب سكناه منه، وتلك عادة عامة لجل العلماء انهم كانوا يلقون دروسهم باقرب المساجد لبيوتهم.

وكان الاستاذ الشنقيطي يستحضر نصوص الموضح ويستظهرها بشواهدها مع اتمام بعضها ـ فإن ابن هشام يقتصر فى توضيحه على محل الشاهد، والاستاذ البيضاوي يعد فى صفوف الشعراء المجيدين بالمغرب.

وكان فى هذا الظرف يشتغل كموظف بجريدة السعادة ـ لسان الحكومة بصفته محرراً بها (٢).

ويعد الشنقيطي من أدباء النادى البوجنداري الشهير بعلمائه وشعرائه (٣).

---

١) منهم أخو المؤلف محمد الجرارى رحمه الله.

٢) تولى بعد هذا -- القضاء بوادي زم، ثم باشا بمدينة تارودانت وبها توفي.

٣) تحدث عنه المؤلف فى جماعة من النادى الجنداري ناشراً ذلك بمجلة الاذاعة الوطنية وصحيفة الانباء المغربية في خمس حلقات : سنتي ٦٨ — ٦٩م كما كانت تعقد أندية في الرباط في عدة بيوتات

بهذه الكتب كان النحو يدرس فيما عشناه وعاشه من سبقنا فى الدراسة. بيد أن العلماء الكفاة ـ كانوا يجلبون فى دروسهم نصوصاً من عدة أمهات فى المادة ـ كالكافية والتسهيل لابن مالك ، والفريدة للاسيوطي تـ ٩١١ هـ ١٥٠٥م[1]. وسواها من كتب القدماء فى الفن كالكتاب لسيبويه، والجمل الكبرى لابراهيم بن اسحاق الزجاجي، والمفصل للزمخشرى تـ ٥٣٨هـ ـ ١١٤٣م.

والشرح الذي اعتنى به المغاربة فى دراسة الالفية هو شرح المكودي عبد الرحمن بن علي الفاسي ولادة ووفاة ت. ٨٠٧هـ — ١٤٠٤م يقال انه آخر من درس كتاب سيبويه درسنا به مراراً على شيخنا الرغاى بالزاوية الكتانية بالبحيرة، والمسجد قربهاً المعروف بمسجد ابن القاضي ، كما درسناها بنفس الشرح على أستاذنا المشارك محمد المدني ابن الحسني بالزاوية القاسمية ـ شارع بوقرون ـ الرباط.

وأخيراً صار المغاربة يدرسونها بشرح بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن القرشي الهاشمي المصرى الذى قال عنه أبو حيان : ماتحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل[2] ولاهميته وافادته ترجم الى اللغة الالمانية ت.٧٦٩هـ١٣٦٧م

ودرسها الشيخ أبو شعيب الدكالي مع طبقة من الطلبة بشرح نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الاشموني، وحاشية محمد بن علي الصبان بجامع القبة تحت الحمام، وفى نفس الوقت كان أبو العباس أحمد بن الفقيه السلوى المتوفى سنة ١٣٥٣هـ ١٣٣٤م يدرسها بالاشموني فى المسجد الاعظم بسلا

---

١) شرحها أبو عبد الله بن زكري مطبوع . التسهيل شرحه العلامة الدمامينى.
٢) تلك شهادة خزيمة .

كما أخبرني أحد تلاميذه(١) قال : وكان الشيخ ابن الفقيه يقول : عندما يأخذ فى مراجعة حاشية الصبان : لقد صبنت قلبنا ياصبان .

كما أقرأها شيخنا محمد المدني ابن الحسني بشرح السيوطي الملقب «بالبهجة المرضية» الشرح الذى يضع الكلمات والعبارات بمقدار حيث تكون المعاني الغزيرة منطوية تحت ألفاظ معدودة .

وممن درسوها من علمائنا المرحوم محمد ملين الذى تولى وزارة الاوقاف فى عهد الملك المغفور له محمد الخامس، وكانت دروسه بمسجد درب مولاى عبد الله جوار شارع العلو، ولواوعه بالشرح وضع عليه حاشية مفيدة أظن بلغ فيها الى أبواب جموع التكسير . ومن علماء الرباط الذين درسوا الخلاصة الزاوية التهامية شارع سيدى فاتح محمد بن العياشي، ومولاى المهدى العلوى المدغرى العضو بالمجلس الاستيناف الشرعي آنذاك أطال الله حياته .

وكان المرحوم المؤرخ عباس بن ابراهيم المراكشي ت. ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩م أيام كونه موظفاً بالاستيناف الشرعي كعضو من أعضائه يلقى دروساً فى النحو بالالفية يسرد يومياً جملة وافرة من أبياتها ٥٠ فأكثر مع طبقة من كبار الطلبة بالزاوية القاسمية بين الظهرين(٢) ومن العناية بالفية

١) الاخ الاديب مصطفى بن محمد الغربي الرباطي الذي سكن سلا مع أسرته مدة أربع سنوات ونصف تقريبا.

٢) ابن ابراهيم من رجالات الثقافة الواسعة خاصة التاريخ والانساب له آثار علمية اهمها : الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام — طبع منه إلى حد الان خمسة مجلدات ، وباقي المجلدات توجد فى مبيضاتها بالخزانة العامة بالرباط . وقد تصفحها اخونا السيد عبد السلام ابن سودة آخذاً ما افاده في وفاياته العامة . ترجمه المؤلف في كتابه «التأليف ونهضته بالمغرب فى القرن العشرين» ما زال القلم لم يجف من تصنيفه .

الطائي ان الأديب الشاعر المرحوم التهامي الغربي الرباطي(١) شطر أبيات خطبتها قال

قال محمد هو ابن مالك ❀ العلم خير مسلك للسالك

وخير ماتقول فى مة الك ❀ أحمد ربي الله خير مالك

الى آخر التشطير. ومن هذا المعنى ان المرحوم أبا عبد الله محمد الكردودى خصص خطبتها بشرح يقع فى نحو ملزمتين طبع طبعة فاسية(٢).

مادة الفقه

كانت مادة الفقه الاسلامى تدرس فى الاوليات بنظم عبد الواحد ابن عاشر الفاسي ت. ١٠٤٠١ هـ موافق ١٦٣٠م المحتوى علوماً ثلاثة :

١— التوحيد ٢— الفقه ٣— مبادى التصوف· شرحه جماعة فى مقدمتهم الشيخ ميارة بشرحين صغير وكبير ، وعلى الصغير حاشية لمحمد الطالب ابن الحاج ت.١٢٧٤ هـ ١٨٥٧م وممن شرحوه محمد بن عمر والغلاوي المعروف بنابغة الاغلال طبع بتونس سنة ١٣٤٥هـ موافق ١٩٢٦م(٣).

كما شرحه شيخ الرباط أبو إسحاق التادلي بما أسماه : «المعين على المرشد المعين» وأظن أن له غيره .

---

١) تاتي ترجمته بالجزء الثاني .

٢) يوجد بخزانة المؤلف — والكردودي هذا هو صاحب نظم — إضاءة الادموس في إصطلاح القاموس — لاحمد بن عبد العزيز الهلالي المسمى : «حلية العروس بجمعة إضاءة الادموس» طبع طبعة فاسية بهامش الاصل — الاضاءة — يوجد بخزانة المؤلف

٣) غير انه لا يروج بل ولا يعرف عند الاكثر .

وللعلامـة القادرى .. حاشية كبرى على شرح الشيخ الطيب ابن كيران على توحيد المرشد، تقع فى مجلدين (١).

ومن المرشد (الذى معناه فيه) يتدرج بالتلميذ إلى أعلى فيدرس معهم رسالة بن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير المتوفى سنة ٣٨٤هـ ٩٩٤ م ومن أسمائها الدالة على قيمتها العلمية : الجميلة، وباكورة المذهب، وباكورة السعد، وزبدة المذهب ـ الرسالة التي قال عنها الزناتي والاقفهسي، والشيخ زروق، والابهرى، وابن ناجي، والحطاب : أنها مع اختصارها ـ فيها أربعة آلاف مسألة مأخوذة من أربعة آلاف حديث ـ فما من مسألة منها إلا وهى من حديث. وقد ألف الابهرى كتاباً فى إسنادها ونسبها كلها للنبي صلى الله عليه وسلم ـ سماه : «مسلك الجلالة فى مسند الرسالة».

وعلى هذا السنن بل وما يرمي إلى التسمية ـ سار العلامة احمد بن محمد بن الصديق ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠م فوضع شرحاً عليها لقبه بـ «مسالك الدلالة فى شرح متن الرسالة» يقع فى مجلد (٢).

والشرح الذى اعتنى المغاربة بدراسته ـ هو شرح أبي الحسن بن محمد المنوفى المصرى المسمى كفاية الطالب الرباني تـ : ٩٣٩هـ ـ ١٥٣٢م كتب عليه الشيخ على الصعيدى العدوى حاشية مفيدة تـ : ١١٨٩هـ ١٧٧٥م وكان يدرسها بالشرح وحاشيته المذكورين العلامة المرحوم عبد الرحمان بن القرشي الامامي تـ : ١٤٥٨هـ ـ ١٩٤٩م بين العشائين بالزاوية

---

١) طبعت طبعة فاسية.

٢) طبع بدار العهد الجديد للطباعة — القاهرة

القاسمية ـ وقت وجوده بالرباط (العاصمة) كوزير للعدل أيام السلطان المولى يوسف رحمه الله ، كما كان يملي عليها تقريرات إضافية المرحوم المولى ابن المامون البلغيثي تـ : ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م فيما بين العشائين بضريح العربي بن السائح تـ ١٣٠٩ ـ ١٨٩١م فكان يبتدىء الدرس بصحيح مسلم بن الحجاج ، ومن آخر حديث منه يتخلص لموقف الرسالة قائلا هذا معنى قول ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله ، ولا يتفطن لهذه الالتفاتة البارعة إلا أذكياء الطلبة (١) وكان الشيخ البلغيثي فى هذا الظرف يشتغل كعضو من أعضاء مجلس الاستيناف الشرعي . وممن درسوها ـ الاستاذ المهدي العلوي بمسجد القبة بين العشاءين ـ بتحت الحمام ـ ومن علمائنا الذين اعتنوا بدراستها ـ المرحوم محمد بن عمر عاشور بمسجد عطية بين العشاءين وكان يسرد بين يديه ـ الاخ الاستاذ محمد المكي الناصري ، كما كنا ندرسها على شيخنا أبي عبد الله محمد الرغاى بعد العصر بالزاوية الكتانية بالبحيرة ، وأقرأها الفقيه المرحوم محمد العبدى بسيدى الغندور ـ جوار باب الاحد .

ومن الشروح التى وقع الاقبال عليها شرح العلامة عبد المجيد الشرنوبي المالكى المصرى الازهرى ت : ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م لاختصاره وافادته ، وقد درسنا به وبالشرح قبله .

---

١) وقد شاهدت ليلة من الليالي حضور شيخ شيوخنا أبي حامد البطاوري بالضريح لاستتمام الدرس المزبج بمسلم والرسالة وكيف يقع التخلص منه إليها ، وقد عرفنا البلغيثى من بين كتاباته وتحريراته — كالابتهاج ، وتشنيف الاسماع ، والنظرة فى احكام الهجرة وغيرها مما تحدث عنه المؤلف في كتابه : « التأليف ونهضته بالمغرب فى القرن العشرين » : مخطوط .

وبعد هذه المرحلة يدخل الطالب المتقدم الى درجة أعلى فى المـادة فيجد بين يديه مختصر خليل الفقهاء أبي الضياء بن اسحاق الفقيه المالـكى المصرى البطل الجندى[1] ت. ٧٦٧هـ ١٣٦٥م الذى استغرق فى تصنيفه عشرين سنة مبيناً ما به الفتوى، والمحتوى مائة الف مسألة من منطوق الفقه، ومثلها من مفهومه يقول الفقيه ناظما

حصله حفظاً واصرف الهمة له فقد حوى مائة ألف مسألة

نطقـا ومثلـها من المفهوم وان شككت اعدده فى المرسوم

وقد ذاع صيته، ونال إعجاب المتقدمين والمتأخرين فوضعوا عليه شروحاً وحواشي لا تخفى كثرتها وأهميتها وكانت العنـاية فى دراسته عند المغاربة بكتاب الرجل الصالح ابي عبد الله محمد الخرشي[2] ت. ١١٠٢هـ ١٦٩٠م له عليه شرحان صغير وكبير.

وبكتـاب الشيخ أبي البركات احمد الدردير ت. : ١٢٠١هـ١٧٨٦م بحـاشية شمس الدين محمد الدسوقي ت. ١٢٣٠ هـ ـ ١٨١٤ م تلميذى أبي الحسن على العدوى. كما يدرس بشرح عبد الباقى بن يوسف الزرقاني المالكي ت : ١٠٩٩ هـ ١٦٨٧ م تلميذ الشيخ على الاجهورى عليه حاشية قيمة للعلامة محمد بن الحسن بناني تـ ١١٩٤ هـ ١٧٨٠ م.

وكان بعض علمائنا بفاس يحضر عدة شروح يتناوب الطلبة على سرد الموضوع المقروء منها، وعلى هذه الطريقة كان المرحوم الفقيه القاضي عبد

---

١) كما للقاضي تقي الدين محمد بن احمد المالـكي مؤرخ مكة — بشفاء الغرام فى أخبار بلد الله الحرام.

٢) بكسر الخاء نسبة إلى خرشة بكسرها من اعمال القاهرة.

الله بن الهاشمي ابن خضراء يقرئه أيام توليته قضاء فاس. نم كان المختصر عند هؤلاء لايختم الا بعد عشرات السنين لهذه الحالة التى لاتساعد عليها الاعمار من جهة، وتزاحم العلوم و كثرتها من جهة أخرى : كان البعض من نبغـاء الطلبة يتردد على حلقات متعددة لمختلف الشيوخ فى نفس المختصر رغبة فى الاطلاع على محتوى أبوابه كلها عبادات ومعاملات وما اليها فى مدة مناسبة؛ وقد كانت تبلغ دروس المختصر بالمسجد الاعظم بالرباط أحد عشر درساً فى اليوم كما نقل من خط شيخ الجماعة المرحوم المكي البطاورى ونصه بتصرف ما الشيخ ابراهيم التادلي صباحاً بالمسجد الاعظم قبالة باب الجنائز، والفقيه علي دنية فى الجانب الآخر من المسجد، والفقيه الهاشمي الزياني مقابل المنار من نفس المسجد، والفقيه عمر عاشور وسط النهار فى جامع الزناقي، والفقيه محمد البريبري بزاوية حنصالة فى الزوال ، والفقيه محمد بن ابراهيم صباحاً بالزاوية الناصرية، والفقيه المكي ابن عمرو بين العشاءين بجامع الزناقي، والفقيه التهامي بناني بالمسجد الاعظم عند الزوال ، والفقيه عبد الرحمن لبريس(١) بمسجد القبة صباحاً، والفقيه احمد ملين بالمسجد الاعظم على الساعة العاشرة صباحا، والفقيه الجيلانى ابن ابراهيم. كل هؤلاء العلماء كانوا يدرسونه فى فى التسعينيات من القرن الماضي .

والجيلاني ابن ابرهيم المذكور : ت ١٣٣٦هـ ١٩١٧م كان من حفاظه يستحضره وما كتب عليه من تقريرات وحواش .

ومنهم الحافظ المحدث أبو شعيب الدكالي بضريح مولاي المكي بعد

---

١) الموقت الشهير صاحب الحصة المعتمدة لدا متأخري الموقتين .

الفجر، وكان يتولى سرده بين يديه المرحوم الكاتب أحمد بن فقيرة المكناسي (١) كما درسه وختمه شيخنا المحدث المشارك الواعية محمد المدني ابن الحسنى ت ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م بالزاوية القاسمية صباحاً حضر المؤلف أواخره، وكان لختمه حفل بهيج أقامه الشيخ بمنزله بعد انهاء آخر درس منه عند الزوال.

وكان أثناء الدراسة يكتب تقييداً يتتبع مااحتواه الكتاب من أحاديث وآثار ماأسماه بعد تحرير جملة منه : «إقامة الدليل على مختصر خليل أو منار السبيل على مختصر خليل بالحجة والدليل»(٢).

وممن درسوا بعض أبوابه بالرباط المرحوم محمد بن العربى العلوى ت ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م أيام كان رئيساً لمجلس الاستيناف الشرعى فقد ابتدأه من أبواب الحج موقف دراسته له بفاس. وكان المؤلف يحضر هذه الدروس ويتولى سرد شرح أبى البركات الدردير.

كما كان يدرسه الفقيه القاضي السيد أحمد البدراوي(٣) مبتدئاً من أبواب النكاح مرتين فى الاسبوع بمسجد القبة. وأقرأ منه باب القضاء والشهادات المرحوم الفقيه محمد الرندة الرباطي كما درس أحزاباً منه الفقيه محمد المبدى بضريح سيدى الحسن بن سعيد — شارع بوقرون، ولما للمختصر من مزايا وأهمية لاتبارى أقبل عليه جماعة من رجال الثقافة فى المغرب علاوة على الشرق كابراهيم بن هلال السجلماسي ت : ٩٠٣هـ ١٤٩٧م وعلي بن أبى بكر

١) ابن فقيرة هذا كان من حفاظه تاتي ترجمته في الجزء الثاني.
٢) وقد تحدث المؤلف عن هذا الشرح الغريب في بابه — في الذكرى السادسة التي اقيمت بمنزل الشارح الفقيد نور الله ضريحه، ونشر الحديث بمجلة الايمان، عددها السادس السنة الثانية شهر محرم عام ١٣٨٥ موافق مايه ١٩٦٥ رقم ٤٧. ٣) تاتي ترجمته في الجزء الثاني.

المصمودي قاضي مراكش، وأحمد زروق الفاسي، وأحمد بن على بن قاسم الزقاق، وعبد الله بن محمد بن مسعود الدرعى التمكروتي ت ٩٨٠هـ١٥٧٢م ومحمد بن غازي المكناسي ت: ٩١٩هـ ١٥١٣م وعبد الواحد بن عاشور ت: ١٠٤٠هـ ١٦٣٠م ومحمد بن احمد ميارة ت ١٠٧٢هـ ١٦٦١م وأحمد الهلالي السجلماسي، وأبو علي بن رحال ت: ١١٤٠هـ ١٧٢٧م ومحمد بن قاسم جسوس ت ١٢١٢هـ ١٧٩٧م ومحمد بن الحسن بنانى ١١٩٤هـ ١٧٨٠م ومحمد التاودي ابن سودة ت ١٢٠٩هـ ١٧٩٤م ومحمد أحمد بنيس ١٢١٢هـ ١٧٩٧م ومحمد الرهونى ت ١٢٣٠هـ ١٨١٤م وأبو عبد الله محمد بن المدنى كنون ت ١٣٠٢هـ ١٨٨٤م وأبو إسحاق التادلي الرباطى ١٣١١هـ ١٨٩٤م.

وأول من أدخل المختصر لفاس هو محمد بن عمر بن الفتوح التلمسانى ثم المكناسي عام خمسة وثمانمائة كما فى الروض الهتون(١).

ومن كتب الفقه التي اعتنى علماء المغرب بدراستها تحفة الحكام فى نكت العقود والاحكام، أرجوزة فى الفقه المالكي تعرف بالعاصمية تحفة كاسمها سلسة عذبة منسجمة على خلاف ماتوجد عليه أنظام المسائل الفقهية لما يعلوها من مسحة الطابع الاندلسى، لناظمها أبى بكر بن محمد بن محمد بن عاصم الغرناطى ولادة ووفاة ٨٣٩هـ ١٤٣٥م من فقهاء المالكية وقضاتها بالاندلس، شرحها جماعة من العلماء كالشيخ التاودى ابن سودة، والشيخ ميارة، والفقيه محمد ابن يوسف الكافى بشرح مختصر، والاقبال فى الدراسة على شرح التاودي، وقدوضع عليه الفقيه النوازلي المهدى الوزانى حاشية قيمة ت: ١٣٤٢هـ١٩٢٣م.

---

١) لابن غازي المكناسي.

درسها جماعة من علماء الرباط — منهم الشيخ المدني ابن الحسنى بالزاوية القاسمية وبالمسجد الاعظم عام ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م، والفقيه احمد بن عمر ابن جلون بالمسجد الاعظم اثر الزوال، والمحدث الشيخ أبو شعيب الدكالي بمسجد القبة — عقب صلاة الفجر. والمؤلف حضر كل هذه الدروس. ومن العلماء الذين كانت لهم عناية بالعاصمية — أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الرندة درسها مرات، وعبد السلام بن ابراهيم القاضيان،(١) وممن أقرأوها — السيد عبد الرحمن الغريسي بمجسد لبيرة أيام كان موظفاً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط. ومن كتب الفن الشهيرة لدا فقهائنا — لامية علي بن قاسم الزقاق تـ: ٩١٢ هـ ـ ١٥٠٦م فقيه فاس فى عصره — وضعها فى علم القضاء ـ وبشرح التاودى تدرس عندنا، وقد كتب عليه حاشية مفيدة ـ المهدى بن محمد الوزاني السالف الذكر. كما حشى عليه الفقيه علي بن عبد السلام التسولي تـ: ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م، وشرحها شرحاً مختصراً القاضي ـ أبو العباس احمد ابن ابراهيم الرباطي (٢)، وكتب عليها كتابة قيمة شيخ الجماعة أبو اسحاق التادلي الرباطي لا تزال مخطوطة توجد ببعض الخزانات الخاصة فى الرباط (٣).

واعتنى باقرائها وتدريسها طائفة من العلماء.. محمد الرندة، وعبد السلام ابن ابراهيم، وعبد الرحمن الشفشاوني وشيخنا المدني ابن الحسنى وغيرهم خاصة من كانت له علاقة بالقضاء والتوثيق.

---

١) أما الفقيه الرندة فقد تولى وزارة العدل.
٢) طبع طبعة فاسية.
٣) تقع في نحو ٤٠ كراسا.

ومن كتب المادة التشريعية كتاب «القوانين الفقهية» لابي القاسم محمد بن جزى الغرناطي تـ ٧٤١ هـ ـ ١٣٤٠م[1] درسنا أوائلها على الشيخ المدني ابن الحسنى بضريح السيد العربي بن السائح بين العشاءين، كما درسها مع طبقة أخرى وختمها . والقوانين وضعت لمسائل الفروع الفقهية على مذهب الامام مالك إذ هو الذى اختاره أهل الاندلس والمغرب،ثم أضيف الى هذا كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين امام دار الهجرة وبين الائمة ـ محمد بن ادريس الشافعي ، وأبي حنيفة ، واحمد ابن حنبل رغبة من المؤلف ابن جزى فى اتمام الفائدة[2].

التـوحيـد

من كتب التوحيد التى كانت تدرس عندنا السنوسية (أم البراهين) المنسوبة الى محمد بن يوسف السنوسى الحسنى ت ٨٩٥هـ ١٤٩٠م له عقيدة أهل التوحيد يسمى العقيدة الكبرى وام البراهين العقيدة الصغرى يدرسها البعض مجردة من الشرح، ثم بعد يلقنها بشرح الشيخ المكى البطاورى المطبوع وللعلامة الانبابى تقررات على حاشية العلامة البيجوري عليها، وكانت دراسة العقيدة كثيراً ماتكون فى شهر رمضان كأنهم يلاحظون فيه أنه شهر الطهر والتعلق بالله فكانت المناسبة ماسة، ومن شراح العقيدة محمد بن أبى القاسم بن نصر الفجيجى[3] كما كانوا يدرسون العقائد بنظم

---

١) مات شهيداً بوقعة طريف وهو يحرض المسلمين على الاقدام فى المعركة .
٢) وقد تكون القوانين هذه كشرح لبداية المجتهد ـ لابن رشد.
٣) مخطوط يقع في نحو خمسة كراريس يوجد بخزانة المؤلف.

ابن عاشر المصدر بالفن[1] وبجوهرة ابراهيم اللقانى برهان الدين ت ١٠٤١هـ ١٦٣١م وهى عبارة عن منظومة فى العقائد سلسة سهلة كتب عليها عدة شيوخ منهم ابرهيم البيجورى، وشيخ شيوخنا ابو حامد البطاودى شرحاً أسماه «الحلل المجوهرة فى شرح الجوهرة»[2].

كما يدرس برسالة بن أبى زيد القيرواني المصدرة بالتوحيد على الطريقة السلفية التي لاتعقيد فيها ولاالتواء يؤديان الى التشكيك.

وظهرت أخيراً كتب جديدة فى المادة العقائدية كتوضيح العقائد لعبد الرحمن الجزيرى، ورسالة الشيخ محمد عبده والرد على الدهريين لجمال الدين الافغانى، وسواها من الكتب التى احتوت المبسط والمعقد، وللولي الصالح الشيخ ابى مدين عقيدة تحدث فيها عن الصفات فى إجمال تقع فى ورقتين خطيتين ضمن مجموع به حزب الشيخ ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجزولي.

المنطـــق

من العلوم التى اعتني بها المغاربة كغيرهم علم المنطق الذى فسح المجال للمثقفين فى البحث والمناقشة والمناظرة على الطريقة الجدلية الفلسفية، فكان علماؤنا يخوضون غماره ويستخدمونه كآلة لحل عدة افكار وآراء خاصة العقائد وما يمكن أن يجرى فى بعض مسائلها من غموض وتعقيد يفضيان أحيانا الى

---

١) أشير إليه قبل.

٢) مخطوط يقع في ازيد من ثمانية كراريس يوجد بخزانة المؤلف.

طبع النفوس بطابع الالحاد فما فوق لحد قد يحفز البعض الى التحذير منه وتحريمه، والبعض الى جواز الاشتغال به لمن نضجت قرائحهم، ورسخت عقيدتهم.

وكان المغاربة يدرسونه فى الغالب بنظم عبد الرحمن بن محمد الاخضري الجزائري من أهل بسكرة ت : ٩٨٣هـ ١٥٧٥م له عليه شرح مطبوع، ويدرس كذلك بشرح القويسني حسن بن درويش المصرى ت : ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م مطبوع وبشرح العلامة بناني الفاسي.

ولشيخ الجماعة إبراهيم التادلي على النظم ـ شرحان : صغير وكبير (١) مخطوطان ، وبشرح تلميذه الخاص شيخ شيوخنا المرحوم المكي البطاوري ، وبه قرأنا أخيراً ـ مخطوط (٢).

ووقعت عناية كبيرة بالنظم المذكور فكتب عليه جماعة من المثقفين غير من ذكر ـ فللقاضي المرحوم محمد بوعشرين حاشية على بناني مطبوعة ، وللشيخ الصبان حاشية على شرح الملوي مطبوعة .

كما أن علماء الاصول أوائل مؤلفاتهم يصدرونها بنبذة هامة من الفن ـ كالغزالي فى المستصفي ـ والسبكى فى جمع الجوامع وغيرهما لافتقار مسائل العلم ومشاكله وتحليلاتها كي تفهم فهما صحيحاً إزاء آراء الفقهاء وأفكارهم حول نصوص التشريع من كتاب وسنة وباقي المصادر ـ إلى المنطق الذي لا تذر براهينه شكا لجاحد أو مريب .

ودرسه بالرباط جماعة فى مقدمتهم الشيوخ المؤلفون التادلي، والبطاوري

---

١) على عادة الشيخ في جل ما يكتبه على الفنون.
٢) توجد هذه الشروح المخطوطة بخزانة المؤلف.

وتلاميذهما كشيخنا محمد الرغاي، درسناه عليه مرتين، وكالاديب الشاعر التهامي بن المعطي الغربي الرباطي، والفقيه محمد ملين بشرح القويسني، والعالم محمد بن عمر دنية، ومحمد بن على دنية، صاحب تاريخ الرباط له مؤلفات كثيرة فى مختلف العلوم؛ كما درس الاخيران عدة فنون كالفقه والنحو[1] والفقيه الرندة، ومحمد العبدى بالزاوية الناصرية بيناني عند العصر، والفقيه عبد الرحمن الشفشاونى

ألف فيه أخيراً هيأة من الاساتذة لابناء المدارس الثانوية رغبة فى تقريبه وتبسيطه بطريقة جديدة منهم محمد طه محمود فى كتابه «مبادىء علم المنطق» «كالمنطق المشجر» لجماعة من الاساتيذ «وكتاب المنطق العربى» لمحمد وهبة الشربيني «والمنطق والمعرفة» لمحمد أبى النجا عمر[2].

العروض والقوافي

علم وضع لمعرفة صحيح الشعر من فاسده، ولتكوين الاوزان الشعرية العربية سائرة على سنن الوزن العربى ودبدبته الموسيقية المحببة الى النفوس والاذواق، ورغبة فى الوصول الى هذه الحقيقة الفنية عن علم وخبرة ـ دون العرب والادباء منهم بصفة خاصة متونا ومصنفات تحفظ لنا هذا التراث الجميل.

فكان من هذا المجهود ـ نظم ضياء الدين الخزرجي الذى اعتنى بدراسته

---

١) ودنية والغربي قد اغفلا قبل.

٢) ثم ما وقع في تعاطيه والخوض فيه من خلاف اهو واجب عبى او كفائي او مندوب او حرام؟ فقد تكفل ببسط هذه الاقوال المولى احمد البلغيثي في كتابه الابتهاج ج ١ص ١٦٨ وما بعدها. كما تعرض للبحث عدة علماء قديما وحديثاً.

العلماء ، وضياء الدين هذا ـ هو أبو محمد عبد الله الخزرجي المالكي ت ـ ٨٢٧هـ ١٤٢٤م بشرحه الشيخ زكرياء الانصارى شرحا سماه « فتح رب البرية » وبهامشه شرح بدر الدين الدماميني

وللشيخ التادلى الرباطى شرحان عليه صغير وكبير مخطوطان ، وقد درسنا لاول عهدنا بالفن الصغير تدرجاً فى سلم علم الشعر والقافية، كما درسناه بعد بشرح تلميذ التادلي الشيخ المكى البطاوري (١) على الاستاذ الرغـاي ، وتوجد فى فني العروض والقوافى كتب منها الـكافى لابى العباس احمد بن شعيب الشافعي شرحه عدة أدباء ، وممن كتبوا عليه من المعاصرين السيد عبد الرحمن بن محمد الازامي التطواني سكني مخطوط لم يطبع بعد. كما كتب فيه من القدماء أبو عمر بن الحاجب وضع فى قواعده منظومة شرحها أبو القاسم بن عبد المالك التجموعتى ، ومن الذين جالوا فى الفن المرحوم ابو العباس احمد بن المواز السليماني فوضع فيه نظما احتوى مقدمة وخاتمة ضمنه مدح المولى الحسن الاول قدس الله روحه أسماه :

كتاب اللؤلؤ السني فى مدح الجناب الحسني ختمه بكلمة فيما ورد فى مدح الشعر (٢)

واليوم ظهر شعر جديد عرف بالشعر الحر — هو إلى النثر المسجع أمس منه بالشعر الموزون — نعم يوجد منه نوع احتوى تفعلات لها وزنها ورنتها الموسيقية شعر له أنصار من شعراء الشباب وكتابه (٣).

---

١) مخطوط.

٢) طبع طبعة حجرية.

٣) تكلم المؤلف عنه فى مقدمة الجزء الاول من كتابه « من شعراء المغرب الاقصى وأدبائه المعاصرين.

الريـاضيـات والحساب

الحساب من ضروريات الحياة لما لرقه الحكيم من أثر فى الضبط والوصول إلى المطلوب بكل ما يبعث على الاطمئنان والهدوء للدقة التي تأتي من عملياته السليمة ، ويكفى فى فضله ـ أن الله تعالى وصف نفسه فى قوله : «وكفى بنا حاسبين» وبالسرعة فيه فى قوله : «إن الله سريع الحساب» ودعا صلوات الله عليه لمعاوية رضي الله عنه بقوله : «اللهم علمه الكتاب والحساب ، وقه العذاب» قال المحلى:

علم الحساب — علم قديم اتفقت الامم مع اختلافها على فضله . ومن فوائده الملموسة ـ استخراج المجهول من المعلوم ، ومنها حفظ الحقوق كالفرائض حتى عرفوها بقولهم : معرفة من يرث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث ، وطبعاً أن هذا المقدار لا يعرف بالضبط إلا بالحساب .

يقول أبو بكر الطرطوشي الاندلسي الاسكندرى فيه ت ٥٢٠هـ ١١٢٦م :

علم الحساب علم رفيع ... فيه عون إذ تشترى وتبيع

لم يضع لك درهم بحساب ... وألوف بلاحساب تضيع

علاوة على ماله من أثر فى تقوية العقل يقول الشافعي رحمة الله عليه: من نظر فى الحساب جزل رأيه. كما أنه يورث الصواب فى الفهم، والصدق فى الكلام حتى قال بعض المربين من أحسن التعليم للولدان : الابتداء بعلم الحساب كما هى طريقة بعض الشرقيين .

كانت الرياضيات وعلوم الحساب والهندسة تدرس ببلادنا، وكانت البداية بكتاب القلصادى على بن محمد السطي ت ٨٩١هـ ١٤٨٦م المسمى «كشف الاسرار عن علم حروف الغبار» وكان الاستاذ الرندة يلقي دروساً به. كما كان الفقيه المرحوم عبدالرحمن بريطل يقرىء به الفن سواء بالرباط او بمكناس أيام كان قاضيا بنواحيها واذ كان الطالب خاصة المبتدى يجد صعوبة فى دراسة كتاب الاسرار: قام الشيخ التادلي الرباطي المشارك الكبير بوضع كتاب فى الاصول الاربعة والكسور واستخراج المجهول سماه. «تحفة الاحباب فى أعمال الحساب» مبسوط فى التعبير على عادته رغبة فى تقريب العلم وتسهيل عملياته على اذهان النشء المبتدى. وكثيراً مايستدل بنظم منية بن غازي فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٦هـ(١) كما ان بعض علماء الرياضيات عندنا كانوا يهتمون بدراسة منية ابن غازي المكناسي العثماني ت ٩١٩هـ(٢) ١٥١٣م وللحيسوبي الميقاتي الكبير المرحوم محمد المهدى متجنوش ت ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م كتاب يحتوي اربعة مجلدات لايزال مخطوطاً يوجد بخزانة العالم المرحوم محمد الصبيحي الساوي (٣) كما يوجد ببعض خزائن الرباط، توجد نسخة تامة بالخزانة العامة بالرباط. وللشيخ المذكور شرح على فرائض خليل بالعمل(٤)، وله فى التوقيت والتعديل والهندسة الشيء الكثير، وقد كنا نأخذ عنه مبادىء الحساب صباح كل خميس بكتابه الواقع إزاء ضريح سيدي الحسن المسكيني. كما درسناه

---

١) مخطوط يوجد بخزانة المؤلف.

٢) مطبوعة توجد نسخة خطية بمكتبة المؤلف كتبت سنة ١٢٨٣هـ وهي تحت رقم ١١٦٧.

٣) راجع ترجمته بالجزء الثاني من اعلام الفكر المعاصر للمؤلف.

٤) توجد كراريس منه بمكتبة المؤلف.

على شيخنا المحقق أبى عبد محمد بن عبد السلام السائح الرباطى.

وكان نظم المقنع لمحمد بن سعيد السوسي المرغيثي تـ : ١٠٩٨هـ ١٦٧٨م يدرس بعناية لاحتوائه على مبادىء التوقيت . ومعرفة شهور العام وأيام السنين العربية والعجمية ، شرحه المؤلف نفسه بشروح متعددة(١). وممن كتبوا عليه ـ الشيخ التادلي الرباطي بما أسماه : « المطلع على معاني المقنع » فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٠هـ موافق ١٨٦٣م(٢) كما كانت العناية بالتوقيت بصفة خاصة ـ فكان يدرس برسالة المارديني محمد بن احمد سبط المارديني زيد سنة ٨٢٦هـ موافق ١٤٢٢م ، وكتابة الحيسوبي الميقاتي الفشتالي أبو الربيع سليمان بن أحمد عليها تـ : ١٢٠٨هـ ـ ١٦٩٣م(٣) وقد وضع فلكي المغرب المعاصر المرحوم محمد بن محمد العلمي تـ :١٣٧٣هـ ١٩٥٤م حاشية قيمة عليه طبعت طبعة فاسية ، وكان المرحوم محمد الرندة يلقي دروساً فى الفن بالرسالة وبالمقنع؛ ولعلماء الرباط رسائل ومؤلفات فى الموضوع سنرى الاشارة اليها أثناء تراجمهم (فى الجزء الثاني).

من هنا نعرف القولة التي صدرت من المرحوم السيد محمد الحجوي ـ فى تأليفه «الفكر السامي» حيث ترجم لعدة مشاهير من الفقهاء فى رابع الاجزاء «وهو صنيع يستحق عليه الشكر لو تريث طالبا الحقيقة» نجده أثناء ترجمة الشيخ أبي اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي حاد عن الصواب فرمى

---

١) يوجد بعضها مخطوطاً بمكتبة المؤلف .
٢) مخطوط يوجد بخزانة المؤلف.
٣) رمز المكناسي لوفاته بقوله : « واحمد فشتال تلا اشعيبه شجايا تروق فى الاداء المفضل » (شجايا ١٠١٥) .

أهل الرباط بوصمة الجهل والانحطاط ، والتاريخ الامين شاهد عدل يفند كل ذلك، ويحكم بأن المؤلف كان بعيداً عن الحقيقة ـ والكمال لله

وهذا ما حفز بعض الكتاب والمؤرخين للرد عليه منهم المرحوم محمد ابن عبد القادر فرفرا الرباطى فى كتابه المسمى : «حجة الغيور فى الذب عن أرباب الصدور» مخطوط يوجد جله بمكتبة المؤلف .

وكتب المؤلف بدوره كلمة فى الموضوع كمحاضرة أذاعها على أمواج الاثير (بعد مشاق لاقاها في ذلك) أورد فيها جماعة من الرياضيين والفلكيين الذين كان الرباط يعج بكثرتهم فى الحقبة التي نفى فيها صاحب الفكر وجود رياضيين وحساب يستطيعون قسم التركات والفرائض مدعياً أن الذى كان يقوم بذلك هم ـ (البحارة ـ والطبجيون) ـ رؤساء المدافع والمهريس .

وطبعاً ان علم الفرائض والمواريث كان له الحظ الكبير فى الدراسة فكان يدرس بفرائض أبى الضياء خليل الفقهاء الذي كان خاتمة مختصره، وعليه كتب حاشية مفيدة احمد بن الحياط الزكارى وبتحفة أبي بكر بن عاصم. وأخيراً قررت جامعتا القرويين وابن يوسف وفروعهما (علاوة على ماذكر) دراستها بنظم ابن الشران وشرح المرحوم الفلكى محمد العلمى الفاسي أسماه العروة الوثقى.

وتوجد فى الموضوع كتب منها إيضاح الاسرار المصونة لاحمد الرسموكي.

وللمرحوم محمد مكوار الفاسي ت ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م أحد مفتشي التعليم العربى دروس فى الفرائض وضعها لتلاميذ المدارس الثانوية (١).

---

١) من علماء كلية فاس ، ومن شعراء الجيل — مع ولوع بالتوقيت والتعديل — عرف بالهدوء والسمت الحسن .

كما وضع السيد محمد النقاشي من تطوان كتابا فيها أسماه «لباب الفرائض» سلك فى عرضه طريقة السابق أسلوبا وتجديداً .

والتسمية هذه مسبوقة فقد الف محمد الصادق الشطى المالكى كتابا أعطاه إسم: « لباب الفرائض» والخطب سهل.

الاصـــول

الاصول تعد الدعامة القويمة لادراك ماللفقه الاسلامى من أسرار، وما تنطوى عليه قضاياه من مزايا اقتضاها التشريع فى كل مراميه ومقاصده اذ به تعرف أدلة الفقه الاجمالية، وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيدها، فموضوعه الدليل الشرعى الكلي كالكتاب والسنة من حيث كيفية استنباط الاحكام منهما.

وقد وضع حجره الاساسى الامام الشافعى ت ٢٠٤هـ ٨١٩م فهو أول من تكلم فيه وأخرجه من القوة الى الوجود، وألف فيه كتابه الرسالة التي أرسل بها الى ابن مهدى وهى مقدمة الام[1] بهذا يكون الشافعى خدم الفقه خدمة جليلة, وقرب بقواعده طريق الاجتهاد لمن يريده, وأصبح مناراً يهتدي به فى أسرار الكتاب والسنة يؤمن به من الزلل والخروج عن الجادة, يقول أبو حيان الجيانى المفسر من قصيدة يشير فيها الى ذلك :

هو استنبط العلم الاصولي فاكتسى❀ به الفقه من ديباج إنشائه وشيا

قال العلامة السيوطى الاجماع على أنه أول واضع لعلم الاصول

---

١) هذه الرسالة مطبوعة ـ والام تقع في تسعة مجلدات ، جمعها البويطي ويونها الربيع ابن سليمان مطبوعة كذلك .

ثم أشار الامام مالك فى الموطا الى بعض قواعده، وكذلك غيره من أهل عصره كأبى يوسف، ومحمد بن الحسن الشيبانى فهو من العلوم المركوزة فى طباع العرب ومفكريهم مأخوذ من استعمالاتهم فى محاوراتهم .

كان علماؤنا فى تلقينهم قواعده يبتدئون فى دراسته بورقات امام الحرمين ابى المعالى عبد الملك الجويني ت ٤٧٨هـ١٠٨٥م كاجرومية فى الفن ومقدمة فيه، ولاحمد بن محمد الدمياطى حاشية على شرح جلال الدين المحلى ت ٨٦٤هـ — ١٤٥٩ .

وللشيخ محمد الحطاب ت: ٩٥٤هـ - ١٥٤٧م كتابة وضع عليها محمد ابن حسين التونسي حاشية قيمة(١) غير أن الذي اشتهر من الشروح هو شرح المحلى ، وبه كانت فى الغالب دراسة الورقات - درسناها على أستاذنا محمد الرغاى ، كما درسها أستاذنا المحدث محمد المدني ابن الحسني - ولشغفه بها نظمها فى رجز حلو يقول فى مطلعه :

حمداً لمن قد أصل الاحكاما وبين الحلال والحرامـــــا

أطلق عليه اسم «المرقاة على الورقات» رغبة منه فى تقريب المادة الاصولية الى اذهان المبتدئين؛ شرحه بعض طلبة المدرسة المدنية المرحوم

---

١) وبنفس الهامش كتاب الاشارات في أصول المالكية للشيخ أبي الوليد الباجي، ولابي العباس جسوس الرباطي - حاشية على شرح الحطاب أسماها : « جلاء العين عن قرة العين » وهى كذلك مما يسمع من تصانيفه ولا يرى . ومن ابسط شروح الورقات واطولها - شرح العلامة الشيخ ابراهيم بن احمد الحلبي سماه : «جامع المتفرقات من فوائد الورقات ، وله عليها شرح آخر متوسط سماه : «التحارير الملحقات والتقارير المحققات في شرح الورقات» وشرح آخر مختصر اسماه : «كفاية الرقاة الى معرفة عرف الورقات» .

المكى ابن مسعود، وتشجيعاً له على المضى فى البحث والكتابة وضع المؤلف عليها تقريظاً(١).

وقد وضع عليها الشيخ أبو حامد البطاورى شرحاً أسماه «قرة العين فى شرح ورقات امام الحرمين»(٢) وممن أقرأوها بالرباط المرحوم الفقيه محمد العبدي(٣)

ومن الورقات ينتقل علماؤنا الى دراسة نظم مرتقى الوصول لابى بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطى ت ٨٢٩هـ ١٤٢٦م بشرح محمد يحيى الحوضي الولاتي(٤) المسمى «بلوغ السول، وحصول المأمول، على مرتقى الوصول، الى معرفة علم الاصول» مطلعه

الحمد لله المحيط علمه السابق الخلق جميعاً حكمه

وممن درسوه من علمائنا محمد المدني ابن الحسنى، وكان من نتائج ختمه له ان وضع عليه ختما أعطاه لقب «القول المنتقى فى ختم المرتقى» : قال وان شئت ان تجعله مؤلفاً مستقلا، ولبيان موضوعه مستهلا فسمه «ارتشاف السلاف من أسباب الخلاف» أو «الاشراف على أسباب الخلاف» يقع فى نحو سبعة كراريس كتب عليه عدة شيوخ ـ محمد المكي البطاورى، وأحمد بن

---

١) وبالود لو يخرجه ورثته الى الوجود ساعين في طبعه حفظاً له من الضياع الذي كم تعرض له من تراث غال.

٢) يوجد بخزانة المؤلف بخط الشارح البطاوري ضمن مجموع احتوى مخطوطات تحت رقم ١١٥٥ .

٣) كان أحد أعضاء مجلس الاستيناف الشرعي .

٤) طبع في جملة الكتب التي طبعها السلطان المغفور له المولى عبد الحفيظ العلوي ١٣٢٧ وبوسطه شرح «فتح الودود على مراقي السعود» لعبد الله بن الحاج الشنجيطي

المامون البلغيثي ، و محمد الرافعي الازموري ، وأبو شعيب الدكالي ، ومحمد المهدي الوزاني الفاسي،والشاعر احمد الازموري، وأحمد سكيرج،ومؤرخ الرباط محمد بن على دنية، ومحمد بن مصطفى بوجندار رحم الله الجميع(١) ـ .

ومن الاساتيذ الذين اعتنوا بدراستها شيخنا أبو عبد الله محمد السائح أخذها المؤلف عنه و برفقته الاخ محمد المكي الناصري بالزاوية القاسمية حصتين فى الاسبوع الخميس والاحد تاريخ حجة الحرام عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م .

ومن المرتقى ينتقل الطالب إلى جمع الجوامع للتاج السبكي عبد الوهاب تـ : ٧٧١هـ ١٣٦٩م بشرح جلال الدين المحلي وحاشية عبد الرحمن بن جاد الله بناني الافريقي المغربي تـ : ١١٩٨هـ — ١٧٨٤م(٢) ولبعض الادباء فى الكتابين :

أصول الفقه أضحت فى ارتفاع ... لجمع الجوامع التاج المحلّ
وأصبح بالجلال لها جمال ... بشرح كالنهار إذا تجلّى

وقد درسه أستاذنا محمد المدني ابن الحسني بالمسجد الاعظم،وكان يخلله أحيانا بدراسة تنقيح الفصول فى اختصار المحصول ـ لابي العباس احمد بن ادريس الصنهاجي القرافى من علماء المالكية تـ : ٦٨٤هـ ـ ١٢٨٥م إنما كان يجد مشقة فى اقرائه لما هى عليه طبعته من تصحيف وتحريف،ثم ظهرت بعد طبعة أخرى محررة .

---

١) كتب عنه المؤلف مقالا نشر بالعدد السابع من مجلة «الايمان» السنة الرابعة ص٦٩.
٢) نظمة العلامة السيوطي نظما سماه: الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع» على عادته من الجمع والاستدراك كما نظمه ابو الحسن على الاشمولي الشافعي شارح الفية ابن مالك ت:٩٢٩هـ ١٥٢٢م.وللسلطان المرحوم المولى عبد الحفيظ نظم سماه «الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع»

وممن قاموا بدراسة بعضه بالرباط الاستاذ المرحوم محمد بن العربي العلوي بمسجد القبة، وكان المؤلف ممن يحضرون هذه الدروس غير أنها لم تطل، كما اقرأ منه جملة وافرة ـ الفقيه محمد الرندة بمسجد مرين إزاء شارع الجزاء(شارع محمد الخامس اليوم) وله على شرح المحلى على جمع الجوامع طرر وتعليقات هامة لو جمعت لجاءت حاشية فى الفن (١).

وعندما أحدث نظام القرويين وجددت مناهجها وبرامجها ـ أدخل فى الفن ـ كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الاصول ـ للشيخ الشريف أبي عبد الله التلمساني تـ : ٧٧١هـ ١٣٦٩م (٢).

ولم يكن علماء الاصول ودارسوه ببلادنا يقتصرون فى عروضهم وتقريراتهم الدراسية على ما ذكر بل كانوا يسبحون فيما كتب عنه فيرجعون إلى « ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول » للحافظ محمد الشوكانى صاحب نيل الاوطار تـ : ١٢٥٥هـ ١٨٣٩م . وكتاب « الاصل الجامع لايضاح الدرر المنظومة فى سلك جمع الجوامع» للشيخ حسن آج عمر السيناونى الزيتونى المالكي ـ وضح فيه مؤلفه ـ درر ـ ألفاظ جمع الجوامع الذي جمع مقاصد زهاء مائة مصنف من المصنفات فى علم الاصول ـ فرغ من تأليفه فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٧م ، ونظم منهاج البيضاوي للحافظ العراقي فى الفن تـ : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

وممن كتبوا فى الفن بطريقة جديدة ـ محمد عفيفى الخضرى المعروف

---

١) توجد عند تلميذه اخينا الفقيه الشريف محمد بن الطيب الوزاني .
٢) قيل ان له عقباً بفاس بقي منهم اليوم — المهدي ومحمد -- كتبيان — لهما مطبعة حسبما اخبر المؤلف بذلك ـ المرحوم الفقيه الحسين ابن البشير .

بالشيخ خريج دار العلوم تـ : ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م لقب كتابه «أصول الفقه» (١)

ومن أوليات الكتب المصنفة فيه ـ كتاب (المستصفى) لحجة الاسلام أبى حامد الغزالي ، وكتاب القياس فى الشرع الاسلامى للسلفى الكبير أبى عباس بن تيمية .

علم الوضـــع

ومن عناية علمائنا بالمعقول ـ دراستهم علم الوضع ـ علم يعد من العلوم العربية ، لكنه ليس قسما مستقلا كالنحو والصرف ، وإنما هو ذيل كعلم البديع كما نبه على هذا المعنى العلامة الاخضري عند قول الالفية : (مقاصد النحو بها محوية) .

فهو علم باحث عن أحوال اللفظ العربى من حيث خصوص الوضع وعمومه ، وتعقل الموضوع له كذلك . (٢). ولعضد الدين عبد الرحمن الايجى صاحب المواقف فى علم الكلام : تـ ٧٥٦هـ ١٣٥٥م رسالة احتوت مقدمة وتقسيما وخاتمة عرفت برسالة العضد ، شرحها السمرقندى ، ووضع عليها حاشية مفيدة ـ محمد بن المهدى ابن سودة المرى ، كما شرحها الاستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى تـ : ١٣٦٥هـ ١٩٤٥م .

ولشيخ شيوخنا أبى حامد البطاوري شرح مختصر أجاد فيه كل الاجادة (٣) درسنا به على الشيخ محمد الرغاى ، كما اقرأه شيخنا ـ محمد

---

١) باسم عام للفن ـ والخضري هذا هو صاحب محاضرات ـ تاريخ الامم الاسلامية.
٢) عرفه صاحب عقود اللئالي فى رجزه فليراجع .
٣) مازال مخطوطا بخزانة المؤلف بخطه وقد وضع على هوامشه تقريرات مهمة أيام الدراسة يقع تحت رقم ١٣٣٦ .

المدنى ابن الحسنى ، وعند ختمه ـ كتب عليه كتابة قيمة كختم أسماه « اتمام النفع بختم رسالة الوضع »(١) وممن درسوها الفقيه محمد العبدى بالزاوية الناصرية بالرباط .

اصطلاح الحديث

هو علم من العلوم المهمة، يبحث فيه عن تقسيم الخبر الى صحيح وحسن وضعيف يقول العراقي :

واهل هذا الشان قسموا السنن الى صحيح وضعيف وحسن

ثم تقسيم كل من هذه الثلاثة الى أنواع،وبيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى، ومايدخل الاخبار من علل واضطراب وشذوذ، ومايرد به الاخبار ومايتوقف فيها الى ان تعضد بمقويات أخرى ، وبيان كيفية سماع الحديث وتحمله وضبطه، وآداب المحدث وطالب الحديث وغيرها مما كان فى الاصل بحوثاً متفرقة ، وقواعد قائمة فى نفوس العلماء فى القرون الثلاثة الاولى الى ان أفرد بالتأليف والجمع والترتيب شأن العلوم الاسلامية الاخرى فى تطورها وتدرجها.

وكان الفن عندنا يدرس بعدة مؤلفات فى مقدمتها منظومة البيقوني مطلعها .

أبدا بالحمد مصليا على محمد خير نبي ارسلا

وخاتمتها :وقدأتت كالجوهر المكنون سميتها منظومة البيقونى(٢)

١) لم تكن به عناية في بعض مدن المغرب .
٢) من الرجالات المغفلين الذين لا تعرف حياتهم.

وضع عليها الشيخ أبو حامد البطاوري شرحاً مختصراً الم فيه باهم مايحتاجه طالب الفن(١) وبه درسناه على أستاذنا الرغاي .

ومن المنظومة ينتقل الطالب الى شرح الفية العراقي المسمى: «بالتبصرة والتذكرة» لناظمها الحافظ زين الدين العراقي عبد الرحيم ت ٨٠٦هـ ١٤٠٣م درسه شيخنا محمد المدني ابن الحسني. وشرحها الشيخ زكرياء الانصارى الشافعي ت ٩٢٥هـ ١٥١٩م طبع الشرحان معاً بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس سنة ١٣٥٤هـ بتصحيح المرحوم محمد بن الحسين العراقي(٢) الحسيني، كما شرحها أبو حامد البطاورى الرباطى شيخ شيوخنا أيام دراستها بالزاوية التهامية شرحاً مفيداً يساعد الطالب على تناول الفن فى سهولة على عادة الشيخ فى تقاييده ومؤلفاته.

وهذه الفية أخرى للعلامة الاسيوطي نافس بها الالفية العراقية لحد انه فضلها عليها قال بعد المطلع.

وهذه الفية تحكي الدرر منظومة ضمنتها علم الأثر
فائقة الفية العراقي فى الجمع والايجاز واتساق

وهو أيضاً لم ينس ان يطري نظمه عند ختامه موصياً بالعناية به وتقديمه على سواه قائلا :

نظم بديع الوصف سهل حلو ليس به تعقد أو حشو
فاعن به بالحفظ والتفهيم وخصه بالفضل والتقديم

---

١) مخطوط يوجد بخزانة المؤلف وقد وضع على هامشه تعاليق مفيدة .
٢) يوجد شرح الشيخ زكرياء بخزانة المؤلف بخط شرقي رفيع وقد وضعت بهوامشه توقيفات عما احتواه من مسائل كتب في ١٢٢٥هـ.

وهذا الشيخ المدني ابن الحسني الرباطى رحمة الله عليه يدرسها بالمسجد الاعظم بعد صلاة العصر مع جماعة من الطلبة منهم المرحوم الاستاذ محمد المختار السوسي والمؤلف. واذ لم يوضع عليها شرح آنذاك اضطر ان يتابع الدروس بالكتابة عليها، نم بعد مدة يسيرة ظهر شرح لمحمد محيي الدين عبد الحميد(١) ففت ذلك فى عضده وتأخر عن الكتابة عليها ·

كان الاساتيد يرجعون الى ما كتب فى الفن كمقدمة ابن الصلاح عثمان ابن عبد الرحمن ت ٦٤٣هـ ١٢٤٥م،سابقاً (معرفة أنواع علم الحديث)ونخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر ، الذى يعدمتنا متيناً فى علوم الحديث للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ ١٤٤٨م ووضع عليه شرحاً أسماه : (نزهة النظر، فى توضيح نخبة الفكر)وشرح الشرح علي بن سلطان الهروى القارى ت ١٠١٤هـ ٦١٠٥م المسمى : (مصطلحات أهل الأثر على شرح نخبة الفكر). ثم الى كتاب « توجيه النظر الى اصول الأثر » تأليف الشيخ طاهر ابن صالح بن احمد الجزائرى الدمشقي ت تاريخ ١٣٣٨هـ ١٩٢٠م .

وكان أساتذة الحديث الاول كلما أرادوا شرح مصنف من المصنفات الحديثية الا ووضعوا له مقدمة تتناول اصطلاح فن الحديث والأثر كمقدمة الفتح للحافظ ابن حجر على صحيح الامام البخارى، ومقدمة العلامة القسطلانى احمد بن محمد ت ٩٢٣هـ ١٥١٨م عليه وضع عليها الاستاذ عبد الهادي نجا حاشية قيمة أسماها (نيل الامانى فى توضيح مقدمة القسطلانى).

---

١) المدرس في كلية اللغة العربية بالجامع الازهر.

دراسة الحديث

كان الحديث يسرد تبركاً وتيمناً بأقوال الرسول صلوات الله عليه وفى أوقات خاصة من السنة كرجب وشعبان ورمضان. فكانوا يتهيبون دراسته وتفهمه، وحل مشاكل ما يقع فى الفاظه عبادات واعتقادات ومعاملات، وآداب ورقائق، يقول المرحوم محمد بن علي دنية أحد مؤرخي الرباط فى أول تاريخه : وقد كان جل العلماء الذين أدركناهم يقتصرون فى الحديث على سرد الفاظه تبركا لعدم القيام بآداب تدريسه(١) نعم كانت قلة من العلماء تدرس بعض مصنفات الحديث كالاربعين النووية التي اعتنى بشرحها جماعة كالنووى نفسه، والشمائل المحمدية لابي عيسى الترمذي، ومختصر البخاري لابن أبي جمرة المسمى : (جمع النهاية فى بدء الخير وغاية) شرحها العلامة عبد المجيد الشرنوبي ومحمد بن علي الشنواني ت ١٢٢٣هـ ١٨١٧م.

درسه شيخنا محمد السائح بالزاوية القاسمية بالرباط بين العشاءين.

وكموطا الامام مالك درسها الشيخ أبو شعيب الدكالي بالمسجد الاعظم صباحاً وبغيره، كما ألقى فيها دروساً الشيخ المرحوم عبد الرحمن بن القرشي الامي بضريح مولاي الملي بالرباط وكان يسرد له المرحوم ـ السيد عبد السلام قديرة مقدم الطائفة الحراقية.

وقرأناها مرتين على شيخنا المرحوم محمد السائح الرباطي بالزاوية القاسمية.

أما شيخ الرباط المرحوم أبو إسحاق التادلي — فكان يدرس صحيح

---

١) مع ان الحديث لايتعبد بألفاظه كالقرآن على خلاف في ذلك.

البخارى دراسة بحث وتحقيق ، كما كان يدرسه متحدثا عن بعض أبوابه فى اختصار الشيخ العربي بن السائح العمرى ، وتلميذه أبو العباس احمد بن موسى السلوى ، شيخ شيخنا المدني ابن الحسنى .

ورغم هذا فكان علماؤنا يهابون دراسة السنة كما أشيرلذلك آنفاً ، وبقيت هذه الهيبة سارية فى الاوساط العلمية الى ان عاد الى المغرب أبوشعيب الدكالي (المحدث الكبير) واستقر بالرباط، فى هذا الظرف انفسح المجال لسنة الرسول وحديثه فأخذ الشيخ يدرس أمهات الحديث وكتب السنة كالصحيحين وسنن ابي داود ، والترمذي ، وابن ماجه، والنسائي ، وشفاء القاضي عياض، ووجد الشيخ الدكالي من أبناء الرباط ومثقفيه بالاخص إقبالا نادراً على دروسه التى كان جلها بالزاوية الناصرية تلك الدروس الاملائية والتحليلية التي كان لها الأثر الحسن على الافكار عموماً لماكانت تصطبغ به من سلفية بعيدة عن الخرافات والاوهام التى كانت تملا أدمغة البعض من أبناء المغرب، وفعلا خفت وطأة بعض السالكين من أهل الزوايا وأتباعهم مما كان يصدر منهم رقصاً وما اليه من أعمال قد لا تتفق فى المجموع مع تعاليم الاسلام الصحيحة .

إنها دروس تكون من بين حلقاتها نخبة من علمائنا وأشياخنا الذين أصبحوا وقد شقوا الطريق بجهة عالية لدراسة السنة غير هيابين لما كان ينشر قبل فى أوساطهم من إبعاد وتهويل .

ذلك ما دفع العلماء للاتصال بالسنة اتصالا دراسياً كباقي الفنون بدل السرد المعتاد .

منهم شيخنا محمد المدني ابن الحسنى — الذى تجرد لالقاء دروس فى الصحيح بالمسجد الاعظم بين العشاءين ، وأخرى بكتاب زاد المعاد لابي عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، وعمدة الاحكام — لابن دقيق العيد ، وبلوغ المرام فى أحاديث الاحكام لابن حجر ، ورياض الصالحين للنووى .

ومن علمائنا المرحوم الفقيه محمد الرندة فقد كان هو أيضا يلقي دروساً فى الحديث بصحيح البخارى صباحاً بمسجد دنية إزاء حمام العلو بالرباط أواخر عمره . كما كان يقرأ عمدة الاحكام لابن دقيق العيد بجامع مرينو على الساعة التاسعة صباحاً .

وقد كان ملوك الدولة العلوية يعتنون بدراسة الحديث . ويعقدون له مجالس طوال أشهر ثلاثة رجب . وشعبان . ورمضان فكان رجال الدولة وملوكها يحضرون علية العلماء والمثقفين من عواصم المغرب لالقاء دروس حديثية فى الصحيحين والموطا وشفاء عياض . فهذا المولى يوسف طيب الله ثراه كان يعمر الاشهر الثلاثة بدراسة حديث الرسول الاكرم صلوات الله عليه بمسجد القصر الملكي بالرباط ، وذلك بعد صلاة الظهر الى قرب العصر ، وكان يتناوب على السرد أربعة هم السادة : ١) محمد العربى الناصري السلوى ٢) والحاج محمد بن عمر عاشور ٣) واحمد بن عمر ابن جلون (رحمهم الله) وأبو بكر بن احمد بناني ؛ وفى عهد محمد الخامس قدس الله روحه اقتصر على قراءة الحديث فى شهر رمضان حيث تزاحمت أشغال الدولة وتتابعت ، وانتقلت الدروس من مسجد القصر الى المنزه منه وبقي القراء هم القراء ماعدا المرحوم محمد العربى الناصرى فإنه بعدما أصبح رئيساً للمجلس الاعلى

(الجنايات) تأخر عن السرد واكتفى بالثلاثة .

وكانت رياسة المجلس تسند لاحد من العلماء الاكفاء — فإذا أراد الملك تقرير باب من الابواب أوحديث منه طوى النسخة إشارة إلى الرئيس بالتحدث فى الموضوع،وللحين يأخذ فى تقرير الحديث والاتيان عليه من عدة جوانب ـ إسناداً وسنداً ومتناً،ثم ما يحتويه من معان ، وما يمكن أن يستنبط من أحكام تكمن بـين سطوره ، وقد تقع أحيانا مناقشات ومطارحات بين الحاضرين حول ما يمكن أن يشكل أثناء التقرير .

وكان أخيراً يترأس الدروس شيخنا المحدث أبو شعيب الدكالي،وعبد الرحمن بن القرشي ، وبعد هذا كان يتصدر للاملاء والتقرير شيخنا محمد المدني ابن الحسنى بما كان يدهش الحاضرين إملاء واستحضاراً كعادته فى كل الدروس ، وفى بعض الظروف كان يترأس الشيخ محمد بن العربي العلوى ، أو المرحوم محمد الحجوى ، أو المغفور له محمد الرندة(١).

ولاتكاد تنسى الدروس التى حدثنا عنها بعض أشياخنا أيام المولى عبد الحفيظ طيب الله ثراه التي كانت تعقد بقصر الرباط حيث تحضرها هيأة مختارة من علماء المغرب الذى كان منهم شيخ شيوخنا أبو حامد البطاورى، وقد طبعت دروسه أخيراً حاملة لقب الدروس الحفيظية التى برز فيها مما كانت له الجائزة الخاصة على تبريزه رحم الله الجميع،كما قام بإلقاء درس المرحوم ابو العباس جسوس الرباطي، وأبو الحسن على عواد السلوى .

---

١) كل من الفقيه الحجوي والفقيه الرندة ما قاما إلا بدرس واحد حيث اقتصر على الاستاذين محمد المدني ابن الحسنى ، ومحمد بن العربي العلوي .

أما اليوم وفى عهد الملك الحسن الثاني : فقد تجددت الدروس الحديثية والرمضانية ان شئت، وأصبحت تلقى دروس ممدودة فى ليال من رمضان يستدعي للمشاركة فيها نخبة من علماء الشرق الشام ومصر وتونس يحضرون هيأة من المثقفين المغاربة والوزراء ونواب كتاب الدولة ورجال السلك الدبلوماسي.

وكان مسك ختام دروس سنة — ١٣٨٦ — ١٩٦٧ درس الملك الحسن الثاني الذى تناول فيه حديث : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) الحديث الوارد فى مسند احمد وصحيح مسلم عن أبي سعيد والاربعة من حديث طارق بن شهاب عن أبي سعيد — تحدث عنه من جهات — قانونا وسياسة وأخلاقا عارضا لاقامة دعامة الشعائر الاسلامية فى المدارس والمعاهد، والحث على العناية باللغة العربية والحضارة الاسلامية فى المدارس والكليات، ومبديا آراء وأفكار كانت تدعو فى مضمونها إلى البحث والمناقشة (وتلك فكرة العاهل) بيد أن ضيق الظرف لم يسمح بذلك (١).

ومن حسنات هذه الدروس الحديثية وتجديدها — تكونت دار الحديث الحسنية المؤسسة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٥٤م التي من أهدافها تخريج محدثين وعلماء أكفاء فى المادة الاسلامية نحن اليوم أحوج مانكون لايجادهم بيننا حقق الله الآمال .

ولنعد الى دراسة الفن فأقول : ومن علية العلماء الذين كانوا يقومون

---

١) اعتنت بعض الصحف كمجلة الاذاعة الوطنية بطبع الدرس الملكي على حدة مقدمة إياه — كهدية إلى قرائها . عد ٤٥ السنة الثانية رمضان عام ١٣٨٦هـ موافق — يناير ١٩٦٧ — كما تحدث عنه المجلد الحادي عشر من انبعاث أمة.

بإلقاء دروس فى السنة المرحوم احمد بن المامون البلغيثى — فكانت له دروس بضريح ـ سيدي العربي بن السائح ـ بين العشاءين فى صحيح مسلم (١) كما كان يعطى دروساً فى شمائل أبى عيسى الترمذي بالزاوية التهامية صباحاً (٢).

وهذا شيخنا محمد السائح كان يدرس معنا شفاء القاضي عياض بالزاوية الناصرية بين العشاءين أيام المولد النبوى

واسترسلت دراسة الحديث دراسة علمية وأصبحت السنة مندرجة فى برامج المدارس والمعاهد حيث تحتوى مناهجها على أبواب من الصحيح (صحيح البخارى) .

السيرة

كانت السيرة النبوية تدرس قبل فى أيام خاصة فى شهر ربيع الاول شهر ولادة الرسول الاكرم صلوات الله عليه بمدة كتب فى مقدمتها شفاء القاضي عياض، وقصيدتي المديح البوصيرى محمد بن سعيد ت ٦٩٦هـ ١٢٩٦م البردة والهمزية، وأحيانا بلامية كعب بن زهير ت ٢٦هـ ٦٤٥و (٣)

وربما كان البعض يدرسها بسيرة ابن هشام ابي محمد عبد الملك المعافرى ت ٢١٣هـ ٨٢٨م كتب عليها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي دفين مراكش خارج باب الرب ت ٥٨١هـ ١١٨٥م كما كتب عليها من المتأخرين

---

١) شاهد المؤلف ذات ليلة حضور شيخ الشيوخ أبي حامد البطاوري على كبره وعجزه لاستماع هذه الدروس بالضريح المذكور .

٢) كان المؤلف يحضر كل دروسه .

٣) شاعر عالي الطبقة من أهل نجد له ديوان مطبوع .

مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي محققينها ضبطاً وشرحاً وفهرسة.

وكان بعض علمائنا يسرد بالمناسبة المذكورة المواهب اللدنية للشيخ شهاب الدين أحمد القسطلاني. وكانت المساجد والزوايا فى هذه الايام الطيبة تفيض بالدروس الحديثية المتضمنة سيرة الرسول وحياته المليئة حيوية ويقظة حيث تفتتح بالمديح وتلاوة الاشعار والمقطعات وتختم بهما، وروائح الطيب وبخور المندل الهندي وشذاهما يعبقان عباقة فى الاركان والزوايا بل يستوقفان المارة من خارج فرحا بالمولود الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وغالب هذه الدروس كانت تستغرق أحد عشر يوماً من فاتح ربيع الاول الى ليلة الحادية عشر منه حيث فى الليلة المباركة هذه تسرد قصة المولد النبوي غير ان الموالد الموجودة ضمت غثاً وسميناً علاوة على ما يجاممها من مخالفات تاباها المبادىء الصحيحة لذا يجب ان يوضع مولد طاهر من الخرافات والاوهام والاسرائيليات ليقرأ فى تلك المناسبة الخالدة كمولد المرحوم الشيخ رشيد رضا(١)

أما ملك البلاد فهو بدوره وبالمناسبة يقيم حفلة مولدية رائعة بمسجد القصر بالرباط تارة وبغيره من مدن المملكة تارة اخرى تنشد فيها المدائح والاشعار يحضرها العلماء والمادحون، والوزراء والكتاب. ورجال السلك الدبلوماسي، وتختم بالقاء قصائد يحبرها بعض شعراء المغرب كالشاعر محمد ممري وزير القصور الملكية،(٢) والسادة الادباء عبد الرحمن الدكالي

---

١) وقد اقترح على المؤلف وضع مولد من هذا النوع راجيا من الله التوفيق لذلك.
٢) غادر اليوم المغرب ملتحقاً ببلده الجزائر.

وادريس الجاى، والمدني الحراوى.

البـلاغـة

البلاغة من العلوم المهمة التى لها قيمتها الكبرى فى ادراك أسرار الكتاب والسنة ، ومقاصد العرب فى أمثالها وحكمها شعراً ونثراً ادراكاً صحيحاً لايكاد يعتوره خلل.

قال الاندلسي فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر ـ علوم الادب ستة ـ اللغة، والتصريف، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع. قال فالثلاثة الاول ـ لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب نظما ونثرالان المعتبر فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الاخيرة ـ يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم من المولدين لانها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فيها بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قبل من أهل هـذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب ، وأبى العلاء وهلم جرا .

يقول الاسيوطي فى عقود جمانه : «وقد اتجه لي من هنا بحث فقهي ذلك ان النووى ذكر فى شرح المهذب وغيره ان الاشتغال بأشعار العرب من فروض الكفاية لانها يستشهد بها فى علوم العربية التى هى من آلات علوم الشرع بخلاف أشعار المولدين فالاشتغال بها ليس كاشعار العرب بل ان كان فيها مايذم شرعاً فمكروه، والا فمباح ؛ ولاشك ان علوم البلاغة الثلاثة هى من أعظم آلات الشرع، بل ذكر ان كمال الايمان متوقف عليها لتوقف ادراك اعجاز القرآن الذى هو معجزة النبي صلى الله عليه وسلم على معرفتها»

وقد تقرر ان اشعار المولدين حجة فيها فلتكن كاشعار العرب من هذه الحيثية قال الاسيوطي : وقد نبهت على ذلك فى حواشي الروضة .

واذا كانت البلاغة بهذا الاعتبار اعتنى بها وبالبحث والكتابة فى فنونها جماعة من علماء الاسلام قديماً وحديثاً منهم العلامة يوسف ابن أبي بكر السكاكي ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨م الذى قيل فيه وفى الزمخشرى : لولا الاعرج والاصم لذهبت بلاغة القرآن، وقيل فيه :

(ومذهب السكاكي ليس يخفى ان سيوف الفهم فيه تحفى)

وهو صاحب « مفتاح العلوم » الذي لخصه محمد بن عبد الرحمن القزويني ت ٧٢٩هـ ١٣٣٨م وشرحه السعد التفتازانى مسعود بن عمر ت ٨٩١هـ ١٥٨٣م وهو أحد الشروح الاربعة عليه، وقد طبعت مجموعة فى أربعة مجلدات

وكانت دراسة الفن عندنا بالتلخيص وممن درسوه بالرباط — أبو العباس احمد جسوس - بالمسجد الاعظم، وأبو حامد البطاوري بضريح مولاي المكي ، وشيخنا محمد المدنى ابن الحسني بالمسجد الاعظم إثر صلاة العصر، والمحدث الكبير شيخنا أبو شعيب الدكالي ـ بضريح سيدي فاتح قرب داره ، كما كان يدرس أساس البلاغة للزمخشري .

وكانت البلاغة تدرس فى الابتدائيات بنظم ابي زيد عبد الرحمن الاخضري. وشرحه للشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (١) ت ١١٩٢هـ ١٧٧٨م وقد قرأناه بشرح ابى حامد البطاوري على شيخنا الرغاي(٢) كما

١) ولد بدمنهور من ارض مصر سنة ١١٠١هـ ١٦٨٩م قال عنه الشيخ التاودي في فهرسته : بحر لاساحل له،وشيخ مالقيت مثله،له مؤلفات في علم الحديث وغيره،

٢) مخطوط يقع فى نحو سبعة كراريس يوجد بخزانة المؤلف تحت رقم ١١٩٨ .

درسنا الفن لأول مرة بمنظومة الشيخ محمد الطيب ابن كيران الفاسي ت ١٢٢٧هـ ١٢١٨م بشرح التهامي البوري الفلالي وحاشية ابي العباس ابن الخياط الحسني(١)،وبشرح ابي حامد البطاوري كذلك.

ومنهم من درس الفن بنظم عقود الجمان للعلامة الاسيوطى وشرحه ، كما كان يدرس بشرح الصبان على السمرقندية.

ولاحمد الهاشمي صاحب جواهر الادب كتاب فيه أسماه : «جواهر البلاغة» نحا فيه طريقة جديدة . أما الزمخشرى فكان ينحو فى تفسيره الكشاف منحى الفن البلاغى فى كثير من آى الكتاب كاشفاً عن أسرارها وما تحمله فقرها المقدسة من مرامى وغايات ، وقد تتبع الاستاذ عبد المتعال الصعيدى بعض آى الكتاب وسوره متدرعا بأسرار الفن وأغراضه فى كتابه « النظم الفني فى القرآن » .

وللسيد قطب ـ «التصوير الفني فى القرآن» سالكا فى طريقته مسلك الفن.

ومن الكتب الجديدة المقررة فى المعاهد والكليات ـ البلاغة الواضحة ، لعلي الجارم المصرى، وموجز البلاغة ـ للشيخ الطاهر بن عاشور التونسي، وعلوم البلاغة للمراغى . وسواها مما كتب بأسلوب جديد .

التفسير

ان تفسير الكتاب الكريم كان من المحظور لدينا مزاولته اذ احتفت به مقالات وخرافات كانت تحول بين المثقفين ودراسته لحد جعلهم يتشاءمون

---

١) الكل مطبوع طبعة فاسية .

من تفسيره قائلين : ان ذلك مما يسبب موت رئيس الدولة وسلطانها، مهازل وحماقات لايبعد ان تكون نزعة استعمارية ترمى فى طياتها المشئومة الى ابعاد الانسان المسلم عن كتابه المقدس(١) وهيهات هيهات .

نعم ان التكلم فى آي القرآن وتفسيرها ليس بالامر السهل، وربما كان من أصعب الامور وأشقها، وما كل صعب يترك، لذلك لا ينبغي ان يمتنع الناس عن طلبه .

ان وجوه الصعوبة كثيرة ذلك ان القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لايكتنه كنهها على قلب اكمل الانبياء، وهو يشتمل على معارف عالية، ومطالب سامية، لايشرف عليها الا أصحاب النفوس الزكية، والعقول الصافية، وان الطالب له يجد أمامه من الهيبة والجلال الفائضين من حضرة الكمال مايأخذ بتلابيبه، ويكاد يحول دون مطلوبه .

بيد أن الله تبارك وتعالى خفف علينا بأن أمرنا بالفهم والتعقل لكلامه لانه إنما أنزل الكتاب نوراً وهدى، مبيناً للناس شرائعه وأحكامه، ولا يكون كذلك إلا إذا أعملوا أفكارهم وفهموه فهما جيداً. والمطلوب من التفسير ـ هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى مافيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة .

إن هذا هو المقصد الاعلى منه، وما وراء ذلك من الابحاث فتابع له أو وسيلة لتحصله .

أجل بقيت تلك الافكار البالية ممششة فى مجموعة من الادمغة الى ان

---

١) وقد سبقت الاشارة إلى هذا المعنى قبل .

حل بين ظهرانينا شيخنا المحدث السلفي أبو شعيب الدكالي هو وهو في مجموعة المثقفين الذى كسر تلك القيود الوهمية، وحال بيننا وبين سدودها الواهية. فدرس تفسير الكتاب العزيز بتفسير الجلالين(١) ثم اعاده مرة أخرى بتفسير العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد النسفي الحنفي ت ٧٠١هـ ١٣٠١م(٢)

كما ان شيخنا محمد المدني ابن الحسني عندما كان يدرس الصحيح بالمسجد الاعظم بين العشاءين وبلغ فيه الى كتاب التفسير تفرغ لدراسة الكتاب المبين وتفسيره فألقى دروساً قيمة حول آي الذكر الحكيم على عادته وأكثر، أما ما كتب عن القرآن الكريم من تفاسير فحدث عن البحر ولا حرج سواء منها القديم والجديد، وادخل أخيراً في برامج التعليم بالمدارس والمعاهد باختيار آيات في الاحكام وغيرها حسب المستويات وطبقاتها خاصة المعاهد الاصلية.

ومن التيسير على مريدي التفسير، والملهمين لورد سلسبيله النمير ان رجال الثقافة قديماً وحديثاً اعتنوا به عناية خاصة فكتبوا عن علومه وفنونه، وما يشترط في المفسر الحق، ومنهم بالمغرب من المعاصرين الاستاذ المرحوم محمد الرضى السناني طبع كتابه، ومنهم شيخنا الاستاذ محمد بن عبد السلام السائح اذ كان يحضر دروس المحدث الكبير ابي شعيب بن عبد الرحمن الدكالي وعندما بلغ سورة «الكافرون» عن له ان يكتب تفسيراً من السورة الى الختم، فكان هذا من أسباب التوسع في مبادىء التفسير وعلومه كمدخل

---

١) لم احضره لمكان صغرى واوليتي في العلم.

٢) كان المؤلف يحضر احيانا وقد سرد بين يدي الشيخ مرة في آيات من سورة التوبة.

يساعد المفسر على اقتحام ميدان الكتاب عن بينة وثقة بما يحاوله من بحوث وفهوم لآي الذكر الحكيم.

وقد أطلع الشيخ المؤلف على الكتاب وبعد تصفحه كتب عليه كلمة كتقدير وتقريظ[1] وقد ترجم القرآن الكريم لعدة لغات كالفرنسية والانجليزية.

كما فسره باللغة الفارسية يعقوب الشرخي من أشهر المكملين لطريقة محمد الخوجا بهاء الدين النقشبندي[2].

وإذا كانت القراآت لها علاقتها ببيان الكتاب وتوجيه معانيه وأغراضه — اعتني بها علماء الاسلام — تصنيفاً وبيانا ـ كالشاطبية فى القراآت السبع للشيخ أبي محمد قاسم بن فيرة الرعيني[3] الشاطبي وقد درسها شيخنا أبو شعيب الدكالي بالزاوية الناصرية صباحاً، وكان يسرد بين يديه الاستاذ المرحوم المكي بن احمد بريش الرباطي[4] مطلع القصيدة اللامية:

بدأت باسم الله فى النظم أولا تباركَ رحمانا رحيما وموئلا

توفي فى ٥٩٠هـ ـ ١١٩٣م ومن المؤلفات فى الفن ـ متن الدرر لتتميم القراآت العشر لابن الجزري ـ محمد بن محمد شيخ القراء فى زمانه — نشأ بدمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها «دار القرآن» ت ٨٣٣هـ ـ ١٤٢٩م وله

---

١) اشير الى هذا أثناء ترجمة الشيخ السائح فى الاصل الجزء الثاني من تاريخ الفكر.
٢) هو مؤسس الطريقة النقشبندية له قصيدة في التصوف طويله النفس، وممن شرحوها الشيخ ابو بكر بناني الرباطي والد الشيخ فتح الله بناني. مخطوط يوجد بخزانة المؤلف.
٣) نسبة الى قبيلة من قبائل المغرب.
٤) احد المكتبين اخذ عنه المؤلف قراءة المقرئ المكي واجازه كما أشير لذلك قبل.

قصيدة «طيبة النشر فى القرآت العشر» وله «منجد المقرئين ومرشد الطالبين» (١) ومن الكتب فيه ـ الوجوه المسفرة ـ للشيخ متولى ـ فى القرآت العشر. ومنها «عقيلة أتراب المقاصد» فى الرسم للشاطبي. ومنها متن الجزرية فى التجويد لابن الجزري السابق ، شرحها ابن سلطان القاري بما أسماه : «المنح الفكرية على متن الجزرية» كما شرحها الشيخ زكرياء الانصاري (طبعا معا).

ومن المنظومات فى التجويد الشهيرة بالمغرب أرجوزة ابن برى المسماة : «الدرر اللوامع فى أصل مقرا الامام نافع» مطلعها

الحمـــد لله الذى أورثنا كتابه وعلمه علمنا

وابن برى هذا هو أبو الحسن علي بن الحسن الرباطي ت : ٧٣٠هـ ١٣٣٠م (٢) شرحها جماعة منهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المسمى : «المختار من الجوامع فى محاداة الدرر اللوامع فى أصل مقرا الامام نافع ت : ٨٧٥هـ ١٤٧٠م. ومنهم الشيخ ابراهيم المارغني مفتي الديار التونسية ت: ١٩٣٠هـ ١٣٤٩م.

وكان لنظم الرباطي عناية خاصة بكتاتيبنا القرآنية ـ فكنا نكتب منه أبياتا فى مؤخر اللوح للاستظهار والتفهم لما احتواه من القواعد التجويدية ، والاقوال المقررة فى الفن على قراءة نافع برواية تلميذيه : ورش وقالون.

هذا وأول من اعتنى بالتجويد والتأليف فيه موسى الخاقاني أبو مزاحم ت ٣٢٥هـ ٩٣٧م.

ومن رجال الفن فى الدولة السعدية ابو الحسن على الراشدي التلمساني

---

١) طبعت في مجلدين.

٢) نسبة إلى تازا وهو القائل في الامام ابن الصائم :

لـك الحسنى أجرني أو أجزني فتلك من أجـاز من استجـازا

أستاذالقراء له قواعد اللغة والادب استهل علمه فى فاس بتدريس الكراريس- وهى المنظومات الاولية المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده، ثم أسند اليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء.

وهذا يدل بوضوح على المكانة التي كان فن القراءات يحظى بها خصوصاً الشاطبية الجامعة لاشتاته حتى كان كرسي خاص لتدريسها.

وميدان القراءات وضبطها وتجويدها ميدان فسيح وان غدا اليوم يعلوه ركود بل إهمال

الادب

أما الادب أو علم الحياة بكل معانيها أخلاقاً وسلوكا فكانت له مناسبات خاصة فى مقدمتها شهر ربيع الاول، ومولد الرسول الاكرم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه (وقد أشير لهذا المعنى أثناء الحديث عن السيرة النبوية) ولم يكن هذا يمانع من دراسة الادب ويشد الباب فى وجه حلقاته نهائياً، فقد كان بعض الاساتيذ يعني بدراسة مقطعات أدبية كلامية العرب للشنفري والتي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحث على قراءتها وحفظها مطلعها:

أقيموا بني امي صدور مطيكم فإني الى قوم سواكم لاميل

شرحها جماعة منهم أخيراً الاستاذ عبد الهادي التازي؛ ولامية العجم للطغرائي شرحها المؤرخ محمد بو جندار شرحاً مختصراً سماه : «فتح المعجم من لامية العجم» كما شرحها أبو حامد البطاوري شرحا يتلاءم وحكمها وأمثالها وما احتوته من ثروة لغوية، طبع كل من الشرحين. والقافية

الشمقمقية لابي العباس أحمد بن محمد بن الونان التواتي الاصل ت ١١٨٧هـ ١٧٧٣م كتب عليهاشيخان كبيران : ١) أبو العباس الناصرى السلوى بما أسماه: «زهر الافنان من حديقة ابن الونان» مطبوع طبعة فاسية فى مجلدين ٢) أبو حامد البطاورى بما أسماه : «اقتطاف زهر الافنان على قافية ابن الونان»(١)

وقد سبق إلى شرحها الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن احمد الجريرى السلاوى واستفرغ جهده فى ذلك ـ غير أنه شرح لا يزال حتى الآن فى حكم العدم ، ويقال : إن نسخة منه توجد ببعض الخزائن السلطانية ، وهذا ان صح فهو أعز من بيض الانوق ، وأبعد منا لامن العيوق، ويقول المرحوم الناصرى فى شرحها : أنه عثر على نحو عشر ورقات الى آخر قوله .

وقد عارضها ابو عبد الله محمد بن التهامى ابن عمرو الاوسي الرباطي بقافية فى مدح الرسول عليه السلام مطلعها :

مسحت فى الادلاج كل خيفق ❀ يراء سبسب يباب سملـــــق

ولشيخنا محمد ابن الحسني شرح على القافية أسماه : «الفتح القدسي على قافية الاوسي» وضعه سنة ١٣٢٢هـ١٩٠٤م قرظه له الشيوخ : ١) أبو حامد البطاورى قال : الحمد لله الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

لله ما أفادنا عنوان هذا الدفتر

من همة سرية دون علاها المشترى

اعيذه من كل سو بالبـارىء المصور

٢) ابو زيد عبد الرحمن بريطل قال : الحمد لله اللهم صل على سيدنا محمد وآله

---

١) يقع في مجلدين لا يزال مخطوطا يوجد بخزائن بعض العلماء .

وأزواجه وذريته ، فلله دره من شاب ظريف المعنى غطريف ، راق مجده وأدبه، وساعده نسبه وحسبه، روض فضله نضير ، ماله من نظير.

٣) الشاعر أبو العباس جسوس قال : الحمد لله قد عن ان أكون بعد هذا السيد الحلاحل القاضي الفاضل مصليا اذ كان حرسه الله مجليا ، فأقول حامداً مصلياً

قد جئت على أصلك أيها الشاب الظريف،وأنسيت ايها المولى الشريف الاخضرى وابن العفيف، وبرزت على الاقران ،وصار دون ماارتقيت اليه القمران .

يامن لعبت به شمول ماألطف هذه الشمائل

ولم يزل الادب معشوق شريف الطبع ورقيقه من كل مدني ، فكيف لا تهواه وقد سماك قطب الزمان مولانا السائحي قدس سره سيدي محمد المدني.

وقلما أبصرت عيناك ذالقب ❀ الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

والله يبقيك ويقيك ويرقيك،ويزيد فى معناك،ويسني سناءك وسناك آمين.

كما شرحها شيخنا أبو عبد الله السائح شرحاً مفيداً اسماه : «سوق المهر الى قافية ابن عمرو» وشرح كذلك الشمقمقية درسناها عليه بشرحه بالزاوية القادرية بعد الظهر(١).

وقد درس المؤلف بعضها مع طبقة من الطلبة بضريح سيدى بلعباس بسويقة الرباط إثر العصر من كل يوم ، وشرحها الاستاذ عبد الله كنون فقرب ألفاظها ومعانيها فى إيجاز واستيفاء.

---

١) يوجد جله بمكتبة المؤلف مخطوط .

كل هذا والفضل للمتقدم فقد كشف حجبها وأبان أسرارها للادباء الفقيه الجريرى السلوى الذى كان المصدر جملة للمرحوم الناصرى(١).

وكانت لامية أبي حفص عمر بن الوردى ت ٧٤٩هـ ١٣٤٨م ذات المطلع :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

تدرس أحيانا لما تشتمل عليه من أمثال وحكم وأخلاق كريمة يجب أن يتصف بها كل مسلم.

شرحها الشريف مسعود بن حسن القناوى الشافعي شرحاً أسماه : «فتح الرحيم الرحمن» كما كان البعض من أدبائنا يدرس المعلقات.

وقد درس المؤلف مع هيأة من الطلبة ديوان الحماسة لابي تمام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١هـ ٨٤٥م بمسجد تيليو بدرب الجراوى قرب العلوكان يسلك فى دراسته أسلوبا جديداً لم يكن يطرق قبل فى الدراسة العتيقة. شرح الديوان أبو زكرياء التبريزى ت ٥٠٢هـ ١١٠٨م(٢).

أما العروض، وقد سبق الحديث عنه والذي يذكى (ولا عجب) روح الادب والشعر يحفز متعاطيه من الطلبة ليترسموا خطط الادب الشاعر عن علم، فكان له الحظ الوافر فى دراساتنا الادبية كما أشير لذلك قبل. وكان أدباؤنا ومثقفونا يستظهرون مقصورات ابن دريد وحازم والمكودى بعد القائل

وحازم قد عد غير حازم ❀ وابن دريد لم يفده ما درى

وما كتب عنها الكتاب والادباء، وما جاء من معارضات جدية وهزلية

---

١) وقد لمح لهذا في شرحه فليراجع .

٢) مطبوع يقع في أربعة مجلدات .

ومن عناية أبي حامد البطاوري أنه وضع على مقصورة المكودي شرحاً قيما[1] كما شرحها الاخ الاستاذ عبد الله كنون شرحاً مختصراً طبع[2].

وبهذا الفن أقف القلم عن الخوض فيما كان يدرس بالمغرب من علوم وفنون.

ثم كل ما جرى الحديث عنه من الفنون والقائمين بتدريسها وتلقينها بمساجد الرباط وزواياه ـ هو نفسه وحذو القذة بالقذة ما كان يدرس بسلا الشقيقة ويقوم به علية مثقفيها ـ كالمؤرخ احمد بن خالد الناصري، وأبي محمد عبد الله ابن خضراء، وأبي العباس احمد بن الفقيه، وعلي عواد، واحمد بن عبد النبي، ومحمد المنصوري، والقادري، والطيب الناصري، والطيب بن الشلح ومحمد المريني، وأبو عبد الله الصبيحي وسواهم من العلماء الذين كانت مساجد سلا وزواياها تعج بعلومهم ومعارفهم كالمسجد الاعظم، وضريح سيدي حجي بالصف، ومسجد باب حساين، والزاوية الناصرية وغيرها كضريح سيدي عبد الله بن حسون، وكان الاستاذ الحاج محمد الصبيحي يلقي دروساً ببيته كل صباح مع عدة طبقات من الطلبة؛ وختم فنونا مختلفة ـ فقهية وعربية وأدبية ورياضية ـ حساباً وتوقيتاً وتعديلا ـ. ومن أريحيته أنه كان يفطر الطلبة كل صباح عقب الدرس[3].

ولم تكن هذه الحالة الدراسية التي سجل القلم نتفة منها خاصة بالعدوتين

---

1) لا يزال مخطوطاً.

2) احتوت المقصورة ٢٩٤ بيت رغم اقتباسه من الغير فإنه اجاد في بعض ابياتها إجادة نادرة

3) وفي ذلك من التشجيع وبعث القرائح وتقدير ـ الطالب خاصة الفقير ـ ما له قيمته الحميدة في التكوين ولا ننسى الوارد : لولا اولاد الفقراء لضاع العلم.

الرباط وسلا بل كانت عـامة فى مدن المغرب وعواصمه وعلى رأسها فـاس الفيحاء مكان الاشعاع الثقافى، ومراكش الجميلة التي لاتقل عن شقيقتها فاس.

ثم لم يكن مترجمو كتاب (من أعلام الفكر المعاصر بالمغرب) يقتصرون فى مجموعهم على ماتلقوه من معارف ومعلومات تشريعية وأدبية وعقلية واقفين فى تحجر أمام ما توحيه مسائلها الواقعية أو المفترضة، وماتحملـه ألفاظها من معاني ومدلولات قد تفضي فى بعض مباحثها الى فراغ وعقم ينهبان الوقت الثمين نهباً لاجدوى وراءه، بل كانت لهم مواقف جد مشرفة فى شتى المناحي الانسانية سياسياً واجتماعياً وخلقياً قد لانغالي ان قلنا إنها تعد نواة اولى شقت الطريق للجيل الجديد وكونت منه جمهرة طيبة ضربت بسهم وافر فيما جد من معارف، وبدا للوجود من علوم وفنون على مسرح الحياة كالتحرر من قيود التزمت والانطلاق فى ميدان المعرفه أيا كانت مادتها الفنية كالقصة والرواية والموسيقى والتلحين ومارق من جميل الفنون

التاليف في الرواية والقصة

يعد المؤلف من الروائيين والمصنفين فقد كتب روايتين أولاهما «حاجتنا الى خلق وتهذيب» ضمت ثلاثة فصول ومناظر أربعة قام بتمثيلها مرتين نخبة من شبـاب المدرسة الحرة المصغرة التى كان يديرها المؤلف، رواية نالت صدى طيبا فى الوسط الرباطى، ونوهت بها صحيفة السعادة وقتئذ.

تركز فحواها على حديث صديقين ـ انقطع أحدهما عن الدراسة لاول حياته ـ فجعل رفيقه المحظوظ يطرح عليه أسئلة فى الموضوع، والصديق

يحكى له فى ألم قصته التي كانت يتما أخره عن المتابعة ؛

ومن هنا انجر الحديث إلى التعليم المبكر وأثره الحميد فى النفوس ، نعم إذا ما فات الشخص ركب الثقافة فى شبابه الاول عليه أن يسعى فيه رغم كبره

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

وإن عاكسته الظروف أخيراً فعليه أن يتدارك ذلك فى أبنائه فيكرس حياته على تثقيفهم والاعتناء بهم عناية ترجع ما ضاع عليه فى نفسه.

واستمر الحديث فى باقي الفصول حول التعليم وحاجة الشعوب اليه بكل أنواعه ـ لسانا وتشريعا واجتماعا واقتصادا.

وكان الباعث الاكبر لوضع الرواية هو ما كان الاستعمار يسعى إليه فى تفقير وتجهيل أبناء الشعب ، وإذ اخذ بصيص من الوعى يدب فى مجموعة من المغاربة ـ اندفع الواعون منهم لفتح كتاتيب قرآنية علمية فى بعض مدن المغرب وعواصمه ـ كفاس والرباط والبيضاء حفاظا على اللغة العربية ومبادىء الاسلام التي كان الفرنسيون والاسبان يعملون على طمس معالمهما. ولم يكن المواطنون يجرؤون على تسمية تلك الكتاتيب مدارس خوفاً من العرقلة والاغلاق الذى كان يصيب بعضها من آونة لاخرى . فكانت الرواية لذلك العهد بعثاً جديداً، وجذوة وقادة حركت كوامن الايمان الدفينة فى أبناء المغرب لحوض غمار العلاج والسعي حثيثاً فى فتح مدارس تحت ستار الكتاتيب القرآنية ، وعلى الرغم من هذا ـ بسطت عليها رقابة صارمة كان من نتائجها السيئة منعها من دراسة الحساب والجغرافيا والتاريخ.

غير ان القائمين عليها كانوا يلقنونها أبناء الكتاتيب فى خفاء، وفى

أوقات خاصة .

ومن بين هذه السطور القليلة ندرك مزية التعليم الحر وماقامت به المعاهد الاسلامية كالقرويين وما اليها فى تنوير الافكار وتثقيفها شيء لولاه لكان القضاء (لا قدر الله) على قيم العروبة والاسلام بهذه الديار المغربية.

لذا كان تأليف المسرحية لذلك المعهد المحاط بكلاليب وأشواك مركبة ذاتا وعرضاً من أهم الدواعي لفك القيو،دوكسر الاغلال المفروضة على كل مواطن فى ترابه .

ولم يقف قلم المؤلف عند هذا فقد لبي الرغبة الملحة من جمعية قدماء تلاميذ مدرسة «جسوس» إذ طلبوا ترجمة رواية أو تأليفها من جديد،فقام بتصنيف رواية لقبها ب «نحو الكمال» رواية اجتماعية أخلاقية تدور على الولد الصالح — والصديق الناصح — والعالم المخلص — وسعيد المضياف والجلاد فى آن واحد(١)

وهذا أخونا الشهيد الاستاذ محمد القرى نراه هو أيضاً يقوم بتأليف رواية أسماها : «اليتيم المهمل» تناولت الوضع آنذاك وما كان يعيش عليه المغاربة تحت ضغط الاستعمار ومساوئه وكيده للمبادىء والقيم بوجه أخص، والسعي لفرنسة الافكار،وتعجيم الالسن بل خطا خطوات أمرّ وأمقت جاهداً في تنصير طائفة غير قليلة من المواطنين المسلمين ـ فكان المؤلف يرمي فى فصول الرواية إلى لفت الانظار فى قالب قصصي وتعابير رمزية لا تفتأ

---

١) كتبت بتاريخ ١٩ أبريل — ١٩٥٢ — رجب ١٣٧١ — قدمت إلى الجمعية في التأريخ وبقيت مبيضتها بخزانة المؤلف .

تهدى المستعمين خاصة الواعين منهم لاغراض المستعمر الغاشم كاشفة القناع عن نياته السيئة . وطبعا كان لمفهوم الرواية — اليتيم المهمل الممثلة فى عدة مدن — أثرها الحسن على الافكار .

السبق الى الكتب في أساليب التعليم وطرقه

هـذه أساليب التعليم الجديدة وطرقها السهلة التي أصبحت فى متناول المدرسة الحديثة . وتلوّن فى أفانيها إخصائيون فى التربية والتعليم ـ طرقها شيوخنا وفقهاؤنا فهذا الاستاذ محمد أقصبي أحد رجال «أعلام الفكر المعاصر» يسير فى بعض كتاباته العربية على النهج المسلوك فى المدرسة الابتدائية الجديدة فى الوضع والعرض ، أمثلة متعددة وأسئلة عليها ثم تمارين تفتح الاذهان، وتساعد التلاميذ على التحصيل (١) فى سهولة كما أن العالم المرحوم أبا العباس ابن المواز عند ما طلب منه أحد الاجانب الفرنسيين بيانا عن التعليم وطرقه فى المغرب كتب له نبذة فى الموضوع متحدثا عن أساليب التلقين وطرقها معطياً رأيه بصراحة فى إصلاح الوضع وتحسين المناهج بأفيد من المتعارف، وهذا المؤرخ الشاعر محمد بو جندار نجده كذلك ينحو هذا المنحى فى كتابه الاول من ـ الدروس الاولية، للمدارس الثانوية فى المبادىء والاصطلاحات الجغرافية ـ احتوى فاتحة ومقدمة فى فوائد العلم وتاريخه فى الاسلام، وجعله سبعا وعشرين درسا يختم كل درس بتمرين هو عبارة عن أسئلة تحفز الطالب للتفكير والتحصيل ، أما غير من ذكر من الشيوخ السابقين فكان

---

١) تقع في بضعة كراريس مخطوطة .

البعض منهم كابي إسحاق التادلي الرباطي يسلك مسلكاً آخر فى تقريب الفنون إلى أذهان الناشء الطالب بتعدد المصنفات فى العلم الواحد، والسير فى التعبير سيراً يتناسب والدارسين قوة وضعفاء فتجد له الشرح الصغير والوسط والكبير على المتن الواحد حيث يصعد مع التلميذ فى نموه العلمي حسب مستطاعه وما يقدر على استساغته من المادة .

ونجد أستاذنا محمد السائح فى كتابه : « المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية » يدرج على هذا المنوال فيقسم منتخباته قسمين :

١) أورد فيه نبذة عمومية عن تاريخ المغرب الاقصي، ثم نظرة عن سير العلم فى الممالك الاسلامية عارضاً تراجم رجالات الفكر المغربي كالقاضي عياض، والمكودي، واليوسي وسواهم.

٢) أتى فيه بنظرة عن فتح الاندلس ودولها، ثم الحديث عن جمهرة من رجالها وأعلامها — كابن عبد ربه ، وابن بسام، وابن الفرضي، وابن الخطيب فى عرض مختصر سهل يعرف الطلاب بتاريخ العدوتين وبعض اللامعين من رجالها. وكان التاليف هذا باقتراح من مدير المدرسة الثانوية اليوسفية بالرباط (١) وقتا لم تكن فيه أمثال هذه المؤلفات السهلة الجامعة فى عالم الكتاب بالمغرب شيء برهن فى وضوح على أن شيوخنا وعلماءنا كانوا بدورهم من السباقين لميدان الاحسان فى التلقين والتعبير القريب من أذهان التلاميذ والطلاب .

هكذا نجد علماءنا ـ خريجي القرويين وغيرهم ممن درجوا فى حلقات

---

١) السيد نجل أول مدير لثانوية مولاي يوسف بالرباط .

المساجد والزوايا ـ يسهمون فى فني الرواية والقصة وفى تيسير طرق التلقين وأساليبها فى ظرف مبكر واضعين الخطط الاولى للجيل القادم ، ومبرهنين فى نفس الوقت عن حيويـة وتحرر من قيود فرضتها عادات مقيتة ساندها الجمود والتحجر ٠

اسهام العلمـــاء في التحرير

ان ثورة ١٩٣٧ — فى وجه الاستعمار الفرنسي بعدما رفض مطالب الشعب والمطالب المستعجلة تلوها ضاربا عرض الحـائط بكل محتواها ومعرضاً عما تضمنته مذكرة الكتلة الوطنية بمن فيها من شباب وكهول وشيوخ المقدمة الى دوائر الحكومة الفرنسية فى ٣ غشت ١٩٣٦ معلـقة آمالها على حكومة الجبهه الشعبية ومحملة المسؤولية الكبرى الى سياسية الاقامة العامة ، شاركت فيها هيأة من علمائنا وشيوخنـا الى جانب شبـاب الكتلة الواعي .

ويبدو جلياً ان المذكرة المشار اليها وأمثالها كثيراً بما القته من أضواء على جهود العاملين من رجال الكتلة وما حاولوه مع حكومة فرنسا رجاء التنازل لميدان التفاهم المجدى ومديد الاصلاحات المفيدة للمغرب والمغاربة كل ذلك لم يحرك من فرنسا ساكناً،ولا حفزها للسير بالبلاد طبق ماتوحى به القوانين، وتفرضه العهود والمواثيق بل على العكس من ذلك، اذ كانت المغبة وخيمة،والعاقبة اليمة،عاقبة الاضطهاد والقمع،وملء السجون والصحارى خاصة السنة المتحدث عنها ١٩٣٧سنة استأسدت فيها حكومة الحماية،وكشر

استمارها الغاشم عن أنيابه للفتك، وجرت فى هذه الاثناء حوادث مكناس الدامية دفاعاً عن مائهم الحيوي فى ثاني شتنبر ١٩٣٧ ثم اضطرمت الفتن والمظاهرات فى جل مدن المغرب كبيرها وصغيرها شيء استأسدت معه السلطة الفرنسية أكثر ممعنة فى التعذيب والتنكيل برجال الكتلة ومن انضوى فى سبيلها من أحرار الشعب وشرفائه وعلمائه شباب وكهول وشيوخ؛

فنى أواخر اكتوبر من السنة ١٩٣٧ ألقت شبكتها الانتقامية على جماعة من الوطنيين السادة :

— علال الفاسي — الحاج عمر بن عبد الجليل — محمد اليزيدي — مكوار — محمد بن الحسن الوزاني وغيرهم كثير.

نعم قلما كانت تقوم هذه الانتفاضات وما اليها من ثورات دون ان يكون لعلماء الامة وشيوخها السهم الوافر فى المشاركة

حوادث المطالبة بالاستقلال في ١١ يناير ١٩٤٤

لاأدل على هذا المفهوم من حوادث المطالبة بالاستقلال فى ١١ يناير سنة ١٩٤٤ التي قام المغرب فيها قومة رجل واحد وراء العاهل المقدس محمد الخامس حيث توالت العرائض من سائر الطبقات لاسيما الطبقات الواعية من مثقفين ومفكرين وقضاة الذين كانت تتابع أفواجهم على القصر الملكي بالعاصمة صاخبين محتجين على أعمال فرنسا التى لاتألوا جهداً فى العبث بمعالم المغرب والسعي فى غير توان لاقبار مجده وسيادته ضمن سياستها التعسفية المبنية على الاستعباد والتفقير والتجهيل تحت وعود تعددت مواقيتها

دون ما انجاز تطويلا منها للمسافة وربحاً للوقت .

فما ذا كانت النتيجة يا ترى ؟ كانت توجيه قوتها وجبروتها فى وجه المواطنين بملء السجون، وإبعاد الاحرار، وإعدام المستميتين، وبث الرعب فى النفوس، والقضاء على التجمعات والمظاهرات، وكان من بين المبعدين عن وظائفهم وزير العدلية الاستاذ المرحوم الشيخ محمد بن العربي العلوى (١)

أثر المدرسة الحرة في التوعية

بعد هدوء موقت وسكون أوجبته ظروف القوة أخذ الحماس يتجدد من فينة لاخرى بواسطة الثقافة وحركة المدرسة الحرة ومالعبته من أدوار فى تغذية النشء وتربيته تربية أخلاقيـة وطنية ألهبت فيه جذوة الـوعي والشعور بالمسؤولية المليئة بالمقدسات الانسانية والتربية مرداداً مابين الآونة والاخرى أناشيد قومية توقظ فيه روح الحماس والتقدم لميدان العمل عن عن بينة ويقظة .

واذ كانت لاتهدأ للاستعمار استفزازاته للمواطنين من مرة لاخرى كان أبناء الشعب وأحراره خاصة منهم رجال التعليم يكونون هيئات وجمعيات للمذاكرة والتشاور فيما يمكن ان يتخذ من إجراءات وحلول ضد ماتقوم به فرنسا من مناورات ومكايد، وترويع وافزاع متلونة فى ذلك حسبما يوحى خبثها الماكر، فى هذه الظروف العصيبة وقبلها كان الادباء من الشيوخ والعلماء يحضرون بعض المجتمعات للمشاركة بآرائهم وأفكارهم النيرة لدعم

١) أنظر كتاب صفحة من صفحات الكتلة الوطنية للمؤلف المطبوع سنة ١٩٥٨م.

الرغبات التي تهم كل مواطن .

تقديم عرائض

هذا وفد من أعيان رباط الفتح فى مقدمتهم الاستاذان المرحومان العالم محمد بن احمد بن العياشي، والاديب الحاج محمد ابن اليمنى الناصري يقدم عريضة الاحباس الى ملك البلاد المغفور له محمد الخامس غيرة منهم على الاوقاف الاسلامية والمعاهد الدينية، وحفاظاً على حرماتها المقدسة من عبث المستعمر الغاشم (١).

ومن هذا النوع العريضة التي قدمها وفد جمعية المحافظة على القرآن الكريم من بينهم العدل احمد ابن الغازي (٢) تضمنت مطالب أهمها إصلاح الكتاتيب القرآنية فى مجموع المغرب بصفتها مراكز لحفظ القرآن ـ ومدارس عمومية لتعليم أبناء المسلمين كتاب الله واللغة العربية ، ثم إنشاء مراكز جديدة خاصة فى البوادي لتعليم أبناء البادية كتاب الله ولغة القرآن.

ولا ينسى التاريخ الامين لابناء الثقافة مواقفهم وغيرتهم الدينية على القيم والمبادىء السامية من ذلك وفد من رجال سلا وعلمائها مركب من السادة : ادريس الشـدادي ، الحاج محمد عواد ، محمد العلوي ، أبوبكر القادري ، أبوبكر عواد ، وعبد الهادي الطوبي (٣) قدم إلى الملك المرحوم

---

١) انظر صورة الوفـد بالجزء السابع السنة الاولى من مجـلة السلام حجة ١٣٥٢ — ابريل ١٩٣٤ .

٢) انظر صورة الوفـد بالجزء الثامن السنة الاولى من مجـلة السلام — ١٣٥٣ — مايو ١٩٣٤ . وقدم الوفد مصحفاً كهدية إلى الملك .

٣) انظر صورة الوفـد التاريخية بالجزء ٩ من المجـلة السنة الاولى صفر ١٣٥٣ — يونيه ١٩٣٤ .

محمـد الخـامس ـ عريضة حول فظائع الخمـر وانتشارها فى جميـع الاحياء حتى لاتخلو مدينة من المدن ولاقرية من القرى من الخمارات التي تستغـل جهالة البسطاء والضعفاء . وفى مدينة سلا بالخصوص قـد انتشرت الخمارات انتشاراً فظيعاً فى أماكن لا يوجد فيها يهود ولا مسيحيون بل هى أماكن عربية خاصـة بالمسلمين ، وفى جوار المعاهد الدينية ، ومروجو تلك الخبائث جماعة من الجزائريين والاسبان والسنغال، ولم تقف الحالة عند هذا الحد بل خطت خطوات أشأم وأفظع فاتخـذت الاماكن كمراكز للعهر والدعارة واجتماع المومسات مما سبب عدة حوادث خطيرة فتنت المسلمـين وأصبحوا مهددين فى أعراضهم وكرامتهم .

هكذا كانت الجمعيـات والهيآت تساق بأفكار الشيوخ وآراء العلماء فى كل الميادين الدينية والسياسية والاقتصادية، وقد قوى هذا الحماس واشتد فى سنتي ١٩٥١ — ١٩٥٢ وخاصة ١٩٥٣ حيث أبعد رمز البلاد المغفور له محمد الخامس هو وأسرته الى مدغشقر. هناك وهناك بالاخص ثارت ثائرة الشعب المغربي عن صدق للمعمعة وتصدى أحراره للفداء بأموالهم ودمائهم، وتبارت أقلام الكتاب والعلماء فى تحرير المناشير والعرائض المنددة بسياسة الشدة والقمع والارهاب والتفتيش شيء كان المغاربة الاباة لا يزدادون معه الا اندفاعاً وقوة إيمانا منهم بعدالة المطالب التى فى مقدمتها عودة العاهل واستقلال التراب (١)

ولا يفوت القلم ان يسجل لبعض الشيوخ من أدبائنا نشيداً حماسياً

---

١) تكفل بذكر هذه الفـترات كتاب المؤلف «من تاريخ نهضتنا الحديثة» مخطوط .

فى الثورة الريفية(١) :

يابنى المغرب ما هذا الرقـاد مـالكم صرتم كامثـال الجماد
فدعوا النوم وقوموا للجهـاد واسألـوا الله انتصار المسلمين

يابنى المغرب مـا هذا الفتـور كل فرد منكم حر غيور
طهروا الاوطان من كل كفور واسألوا الله انتصار المسلـمين

يابني المغرب ان الوطنـا تقتضي سمعتـه طرح الـونا
فاحملوا الصمصام مع سمر القنا واسألـوا الله انتصار المسلمين

يابنى المغرب سيروا للامام وارفعوا راية مولانا الامام
فخرنا عبد الكريم ابن الكرام واسألوا الله انتصار المسلمين

أنتم والله شجعان الرجال واستعدوا للوغى قبل النزال
يا بنى المغرب هيـا للقتـال واسألـوا الله انتصار المسلمين

يابني المغرب هبوا هبـــة واضربوا وجه فرنسا ضربة
ذكرها يبقى عليها سبـة واسألوا الله انتصار المسلـمين

يا بني المغرب موتـوا شهـدا لا تعيشوا تحت اذلال العدا
مزقوا الكفر وشراك الردا واسألـوا الله انتصار المسلمين

السياسة والاستماتة في الحق

لم يخل هذا الميدان من شيوخ مارسوه عن إيمان لحد الاستماتة خاصة

---

١) نشره اخيرا صاحب كتاب الادب المغربي لمنشئه الاديب ابي بكر بن احمد بناني الرباطي.

ماانتهكت المقدسات او ديست الكرامات، فهذا شيخ الجماعة المرحوم ابو اسحاق التادلى نجده يسهم فى الشؤون السياسية ويخوض غمارها من ذلك ماقيل : انه حمل رسالة موقعة من هيأة من أعيان الرباط الى السلطان عبد الحميد التركي قصد ربط علائق المغرب بتركيا عندما أحس المغرب بخطر الاستعمار وتكالبه، وهذا يدل على ان الرجل كانت له خدمات إنسانية شعبية فضلا عن رسالته العلمية التى عرف بها، ومن هذا القبيل ما أخبر به الاديب المرحوم الحاج احمد الزبدى المؤلف : انه رأى مبيضة رسالة لشيخ الجماعة المغفورله ابي حامد البطاورى يحث فيها المولى الحسن الاول على الشورى(١) ونتبين من بين هذا قيمة العلماء وما لعبوه من ادوار فى مختلف الميادين .

إذا لا بدع أن تكون تلك الآثار نماذج حية توحي لشباباو َمن يأتي بعد من أجيال بما قدم الاولون من شيوخ وآباء من خدمات وتصميمات ساعدت على وضع الاسس ، وارساء الدعائم مع الايمان أنه لا وجود بدون وجود ـ نعم لا ينكر ما ساند تلك الخطط وأعان على صوغها فى قالب الجدة والدقة بما جد فى عالم المعرفة والفن من ابتكار وتقنية .

فما كان التاريخ لينسى أو يغفل ما سجله علماء المغرب ومثقفوه من أيادي بيضاء، ووقفات مشرفة فى أحرج الظروف،وأشد الازمات،والامثلة فى الموضوع كثيرة منها وقوف العالم المرحوم أبي زيد عبد الرحمن بن القرشي الامامي (٢) وهو وزير العدل فى عهد السلطان المولى يوسف

---

١) لست ادري هل رفعت الرسالة إلى المقام المعنى بالامر ام بقيت في مبيضتها .
٢) المتوفى سنة ـ ١٣٥٨هـ ١٩٣٠م. وقد الف فيه الاستاذ الفقيه مولاي احمد الشبيهي تاليفاً سماه « ارشاد الراغب المنشى الى ترجمته ابي زيد ابن القرشي ».

طيب الله ثراه ضد المرسوم الصادر فى فرض بعض الضرائب على الشعب شيء أثار حماسه وإيمانه فاستقال من المنصب الخطير، وانعزل عن الوظيف نهائياً.

وهذا المغفور له العالم احمد بن المامون البلغيثي (١) هو أيضاً لا ينسى له التاريخ صرامته ايام توليته القضاء وما كان جرى له بمكناس الزيتون مع يهودي طغى ومس الدين بما لا يليق فثارت ثائرته المؤمنة الهاشمية وكان منه ما كان نحو الاسرائيلي المتجبر مما سجله التاريخ الذهبي له فى صفحاته الخالدة، وهذا وأكثر ما كان منه وهو عضو من أعضاء مجلس الاستيناف الشرعي لا تراه يكثرت لسطوة الفرنسيين وغطرستهم وقتاً كان المندوب الفرنسي يتفقد المجلس ويتتبع ماجريات نوازله وقضاياه.

ثم لا نذهب بعيداً فهذا الاديب الشاعر التهامى بن المعطي الغربي (٢) أحد المترجمين باعلام الفكر هو أيضا يتبرم من سياسة السيطرة الاستعمارية وفرض مايتصادم وحرية الفكر بل ونصوص التشريع أحيانا وينتفض انتفاضة مومنة مستقيلا من خطة القضاء الذي زاوله بأحواز الرباط وهو لا يملك قوت يومه أضف الى هذا غيرته الدينية التى برهنت عن ايمان كامل عند ما رشح قبل أستاذاً بالثانوية اليوسفية لاول عهدها وشاهد الحاداً سافراً من مسيرها ومديرها نجل الفرنسي يدس بين أطفال المسلمين وأبنائهم التلاميذ وهم على الفطرة.

فانعزل لحينه ساخطاً على الوظيفة، وتالياً سورة الاخلاص «قل هو الله

---

١) المتوفي في رجب عام ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠م.

٢) توفي في: ١٣٧٨هـ — ١٩٥٩م.

أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد

ومما لا يعزب عن البال ان الاستعمار قد استغل كثيراً من رجال الزوايا وشيوخها لخدمة مصالحه، ولكن وجد شيوخاً أحراراً مومنين رفضوا ذلك فى إباء وعزة نفس فى مقدمتهم الشيخ فتح الله بن أبى بكر بنانى الرباطى الذي طالما راوده الاستعمار للعمل فى أغراضه الخسيسة وأبى إباء المومنين المخلصين مما اضطر معه فى الاخير الى التعلق بباشا البلد المرحوم الحاج عبد الرحمن بركاش ـ رغبة فى الدفاع خشية الوقوع فى شبكة الطمع والخيانة.

كما شاهدنا ما يرمي جملة لهذا الهدف المقيت أيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) حيث ألزمت فرنسا علماء المغرب وشيوخه بإلقاء محاضرات خميسية بواسطة الاثير والاذاعة للدعاية وتحذير الاعصاب،والنيل من أعداء الحلفاء من دول المحور ـ وعلى رأسها المانيا النازية.

وكان الشيخ المرحوم المحدث الواعية — محمد المدني ابن الحسني من المخاطبين بالمشاركة بيد أنه أبى متعلقاً بوزير القصور الملكية الاستاذ محمد المعمري ليدفع عنه وصمة الوقوف أمام المذياع كمشارك ، وبعد أخذ ورد فى صعوبة بالغة أعفى . وهذا منه رحمه الله ـ برهان واضح عن إيمانه القوي، ووطنيته الصادقة عكس ما كان يعد فى جانبه البريء ، والحق أننا لا نزال نستحضر أولى حركاتنا السلفية بالمغرب ـ حركة الاصلاح المبنية على أساس الانقاذ من براثن التزمت والتقليد الاعمى المنبعثة سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م وقتاً وقف فيه شيوخ الطرق المزورون من أبناء الزوايا وأذناب الاستعمار

وعملائه على الاخص ـ حجر عثرة فى سبيل حركة الشباب الواعي والسعي في مناقضتها ، والعمل على اقبارها فى المهد .

وكان السلفى الكبير المحدث أبو شعيب الدكالي ينادى فى دروسه الحديثية والتفسيرية والادبية هنا وهناك ـ بالتحرير الفكري فى ظلال السلفية الصالحة، والبعيدة عن الخرافات والشعوذة، كما كان تلميذه الشيخ محمد بن العربي العلوي هو أيضاً كتلاميذه يصيحون فى جنبات المساجد وزوايا فاس داعين الى تحرير الفكر من قيود الجمود. وكانت فى هذه الاثناء ترد على المغرب من مصر الشقيقة نشرات ومجلات كالفتح والاسلام والمنار، صحف كان لها الأثر الفعال فى تنقية الافكار وتهذيب النفوس وتطهيرها من رواسب العادات السيئة ، وأقوال الجامدين من أدعياء المعرفة والفقه.

وكانت الجزائر الشقيقة آنذاك تعمل على نشر الاسلام الصميم بين شباب الامة وإنقاذ الشعب من براثن الاستعمار وسمومه الفتاكة فحمل، راية الدعوة المغفور له (عبد الحميد بن باديس) وجماعة من إخوانه الاباة وفتحوا مدرستهم السلفية فى وجه أبناء الشعب كما بعثوا صوتهم المدوي فى جنبات العالم العربي على صفحات الشهاب والبرق(١) ومحاربة «بلاغ» الشيخ ابن عليوة المدفوع هو وجماعته من طرف الاستعمار الخبيث .

وأثناء الحركة ـ اندفع أحد الفريقين ـ الشيوخ والشباب ـ للدعوة إلى المباهلة حيث يكون مقر إقامتها الجزائر الشقيقة ـ غير أن الموقف الذي تحدثت عنه الآية ـ ومآل الدعوة هو ماجرى فى الحركة المغربية ـ إذ تهيب

---

١) وعلى ضوئهما ـ صحيفة الجحيم القوية اللهجة · لكنها لم تطل ،

أحد الفريقين الدخول فى جو المباهـلة حيفة الفضيحة، ولكن أبـى الله تعالى إلا أن تنتصر الحركات الاصلاحية، ويضمحل الباطل وأهله بفضل جهاد شيوخ السلفية وتجنيد طاقتهم العلمية لتنوير الافكار، ومحو أثر الشعوذة منها.

والف البعض فى الموضوع كمحمد الملكي الناصري كتابه «إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة» الذي لمح له الاديب أبو بكر بناني الرباطي فى بيتيه قائلا

عظمت للصغار فينا المزايا صغرت عندها مزايا الكبار

لاعجيب اذا تبدت تنادي بين قومي حقيقة الاظهار (١)

وكأخيه المرحوم الاديب الشاعر الحاج محمد بن اليمني الناصري فقد الف كتابا فى نفس الحركة أسماه: «ضرب نطاق الحصار» كما كانت الاقلام تتبارى مشيدة بالسلفية وتحرير الافكار من نير الاباطل وخرافات المغرضين (٢).

وليست هذه اول الحركات بل تقدمتها انتفاضات أولية قام بها جماعة من الشعبيين الاباة من الاخوان الرباطيين هم: الحاج محمد البحراوي، وأبو بكر ابن الكرة، والحاج المعطي جوريو، والمحجوب الازرق (٣) قاموا جبهة واحدة مومنة بالحق فى وجه فرض ضريبة جديدة عن وقاية الدكاكين (كيام) بتاريخ ١٣٣٩هـ ١٩٢١م شيء دفع الفرنسيين الى نفى البعض وسجن البعض فكانت، وثبة كأولى وثبات وطنية ظهرت بالمغرب تلتها حركات موفقة كان النصر حليفها.

---

١) قال الاخ بناني . ان البيتين خمسها أو شطرهما الاستاذ علال الفاسى .
٢) في هذه الحركة بدأ المؤلف يكتب ويحرر.
٣) البحراوي نفي إلى الصويرة. وابن الكرة إلى آسفى. والمحجوب الازرق إلى الجديدة والحاج المعطي جوريو فر بعد تهديد من المراقب الفرنسى إلى طنجة أو البادية.

والامثلة من هذا القبيل كثيرة. وهى فى أمس الحاجة الى إفرادها بالتأليف، وإبرازها للشباب المسلم كي يرى فيها ما خلده الآباء والاجداد من صفحات خالدة تفسح له المجال للاستيحاء من قصصها ما يكون له عبرة ونبراساً يستضيء بقبسه فى حياته وسلوكه.

ومن أبهاء هذه المعاهد الدراسية العتيقة تكون رجال الفكر المعاصر ومثقفوه من أبناء المغرب وعلمائه الذين ضم تاريخ الفكر منهم نخبة طيبة كان لها جميل الاحدوثة، وكبير الفضل على القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) اذ ملات فراغها بجهادها العلمي المتواصل. والآن أدع المجال فسيحاً بين يدي القارىء الذي قد لاشك انه سيجد مرتعاً خصباً فى تراجم رجالات الفكر وحياتهم التى لايعزب عن بال المنصف ما يكون المؤلف قد لاقاه فى تهيئها وتحريرها من مشاق وأتعاب سائلا فى الختام العلي القدير ان يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

كان الفراغ منه عام ١٣٨٤هـ موافق سنة ١٩٦٤م

ويليه الجزء الثاني الخاص بتراجم الاعلام

احدى الغرف مع تلاميذها ص 63)

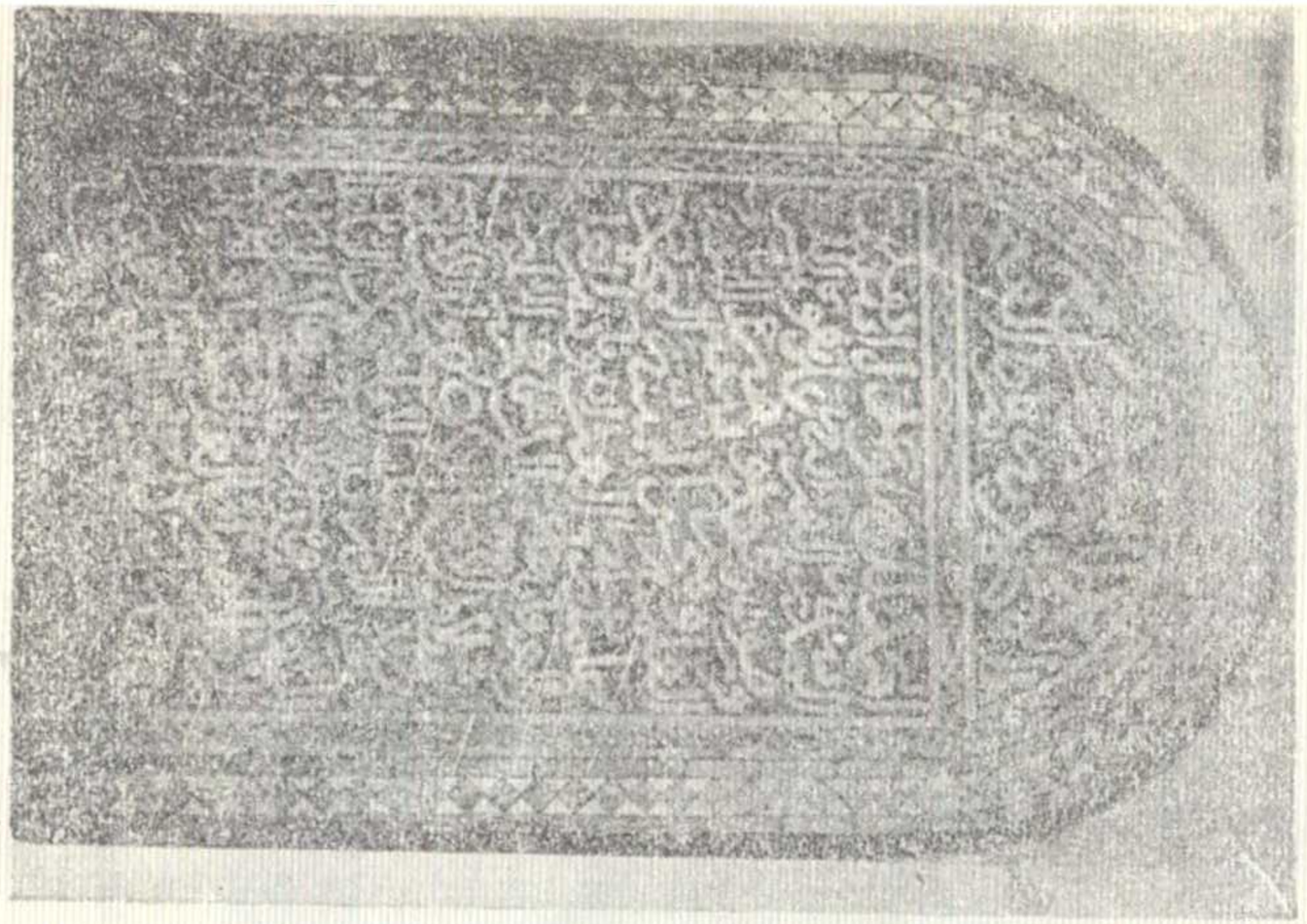

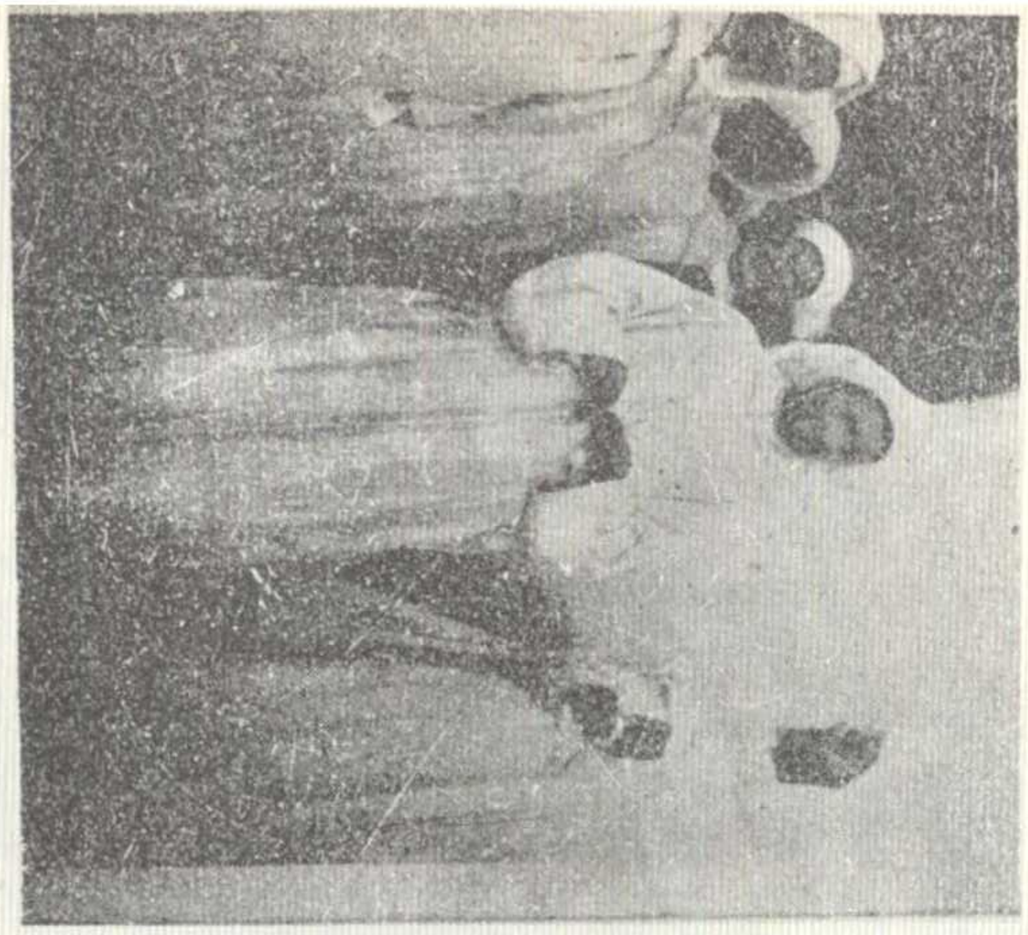

تدشين المدرسة المحمدية بالرباط
(ص 109)

اللجنة المشرفة على تأسيس مدارس محمد الخامس

باب مدارس محمد الخامس (ص 100)

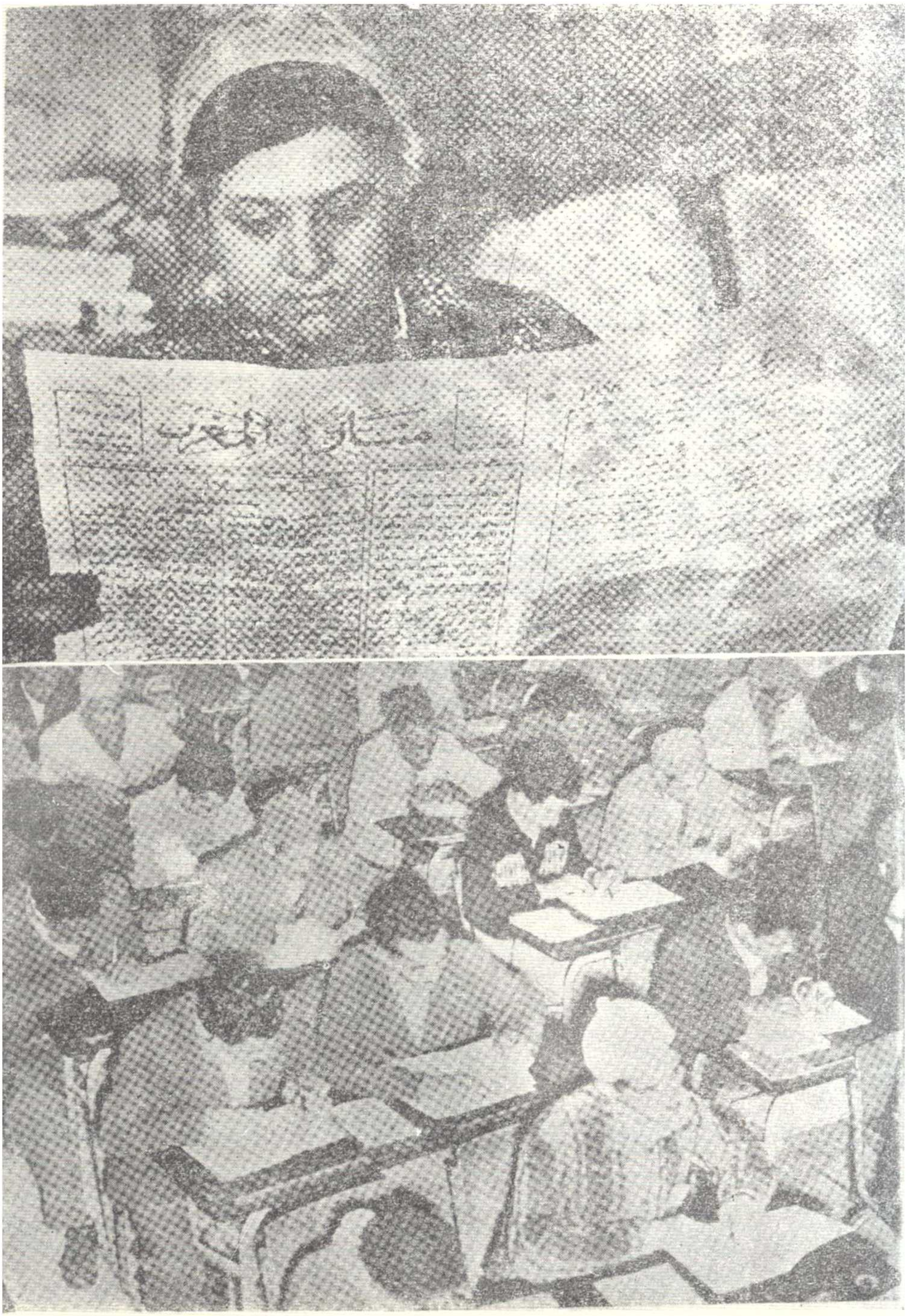

حول محاربة الامية (ص 140)

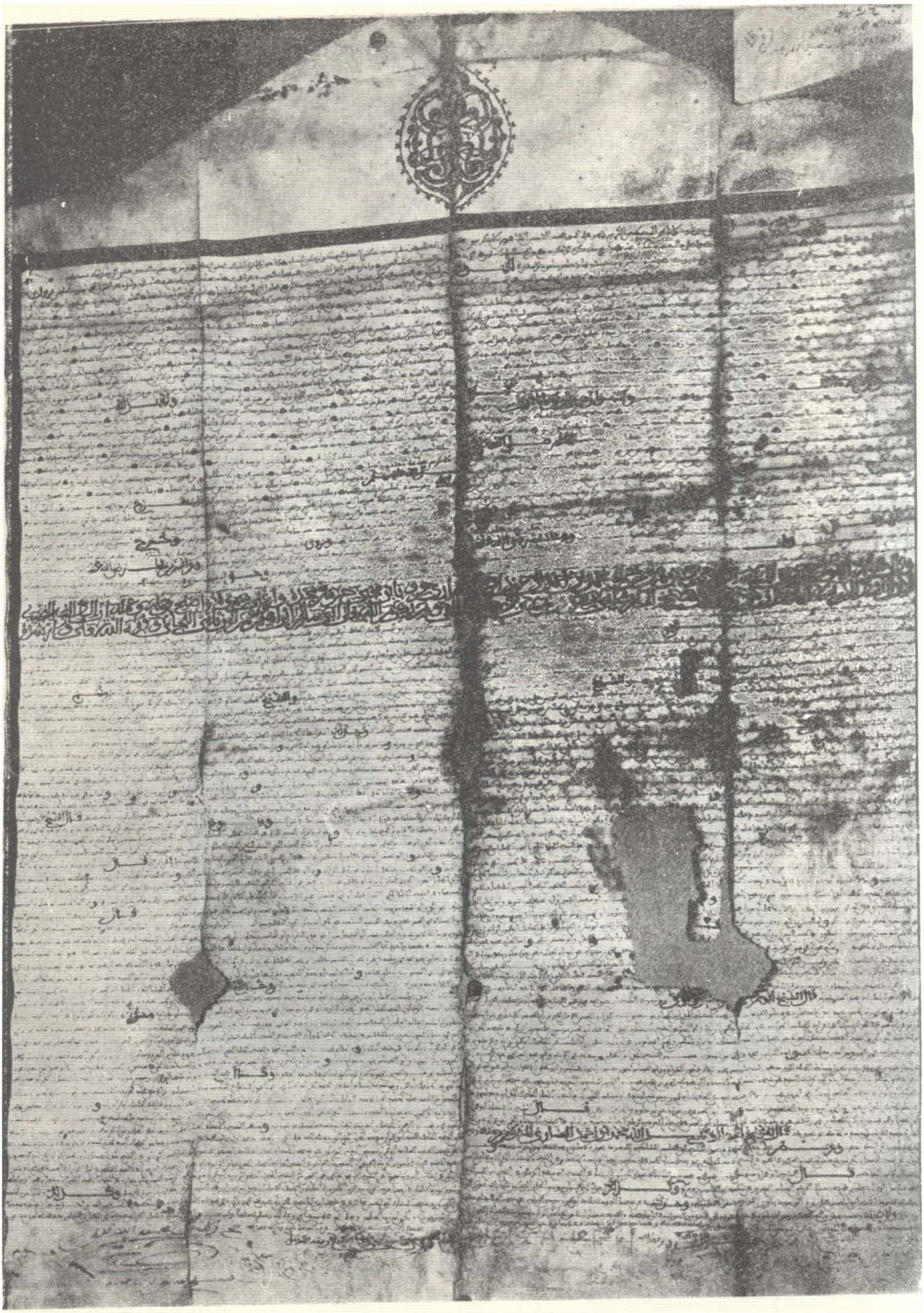

شهادة قرآنية فى القراءات السبع (ص 164)

فرقة التمثيل التى كونها المؤلف من نخبة تلاميذ
معهده الحر ـ المسماة : «فرقة السعى والفضيلة»
سنة 1929 .

فهرست الموضوعات

الاهداء	٢
الافتتاح	٣
الرباط وسلا في التاريخ	٧
أمكنة التعليم والدراسة	١٦
حرمة المكتب	١٨
اختيار المعلم	٢١
أجرة المعلم	٢٣
حكم الاجرة على تعليم القرآن	٢٤
سن التعلم	٢٦
الحذقة	٢٨
محو اللوح وكتبه وما يتبع ذلك	٢٩
طريقة الدراسة القرآنية	٣٥
كيفية الجلوس لدا الكتابة	٣٧
العناية بالرسم القرآني	٤٠
الكتاب القرآني أثناء رمضان	٤٤
مرحلة تهدف إلى اليقظة	٤٨
جولة في التعليم الحر	٥٤
العود إلى الحديث عن الكتاتيب	٥٩
كتاتيب قرآنية خاصة بتعليم البنات	٦٣
دور المعلمات	٦٤
تعليم البنت تعليما جديدا	٦٦
حالة التعليم الحاضرة	٧١
برنامج الدراسة	٧٢
تحديد السن	٧٢
تفصيل مواد الدراسة	٧٢
تطبيق برنامج الدراسة	٨٤
قصيدة في الموضوع إلى الفتاة المغربية	٨٦

من نتائج تعليم الفتيات — اختيار بعضهن لمزاولة فن التوليد	٧٨
تهيء فتيات لمهنة التوليد	٨٨
تقوية الايمان بهذا التعليم والسير به قدماً	٩٢
المضي فى تأسيس مدارس البنات والبنين	٩٣
تأسيس مدارس محمد الخامس بالرباط ، وبنى دغوغ بمراكش	١٠٠
تاسيس المدارس يتتابع	١٠٩
الرحلة الى مراكش	١١٣
زيارة سوس	١٢٠
إلى مدينة الجديدة	١٢٣
زيارة فاس الفيحاء	١٢٥
الرحلة إلى طنجة — ١٩٤٧ — وما كان لها من اثر سياسيا وثقافيا	١٢٧
تعليق إذاعة القاهرة على رحلة طنجة	١٣٨
في اثناء العودة من طنجة	١٣٨
ازمة الكتاب المدرسى	١٣٩
انتشار التعليم في كل امة هو مقياس تقدمها والعكس	١٤٦
كيف تتغلب الشعوب الحرة على مكافحة الامية	١٤٦
توجيه الشباب لمكافحة الامية	١٤٨
احد علماء المغرب يجيب عن اسئلة وجهت إليه حول مكافحة الامية	١٥٠
مقاومة الاستعمار للعاملين في محاربة الامية	١٥٢
اسس جديدة لمحاربة الامية فى فجر الاستقلال	١٥٣
تأسيس مصلحة للتعليم الاسلامي - بوزارة التربية الوطنية	١٦٢
العناية بالكتاب القرآني	١٦٣
نص تقرير فى الموضوع	١٦٣
العود إلى الكتاب القرآني فى اداء رسالته	١٦٧
اقتراحات جديدة حول الكتاب تقدم لوزير التربية الوطنية	١٧٠
مدرسة المقرئين بفاس	١٧٣
زيارة مدرسة المقرئين	١٧٥

المساجد واثرها في إصلاح العقول وتطهير النفوس	١٧٧
الاهتداء لتكوين المدارس	١٨١
العلم ودراسته عبر التاريخ	١٨٣
الدراسة وحلقاتها في المساجد والزوايا وطريقة الالقاء	١٩٠
فنون الدراسة وكتبها	١٩١
النحو	١٩١
مادة الفقـه	١٩٩
التوحيد	٢٠٧
المنطق	٢٠٨
العروض والقوافى	٢١٠
الرياضيـات والحساب	٢١٢
الاصول	٢١٦
عـلم الوضع	٢٢١
اصطلاح الحـديث	٢٢٢
دراسة الحديث	٢٢٥
الســيرة	٢٣١
البلاغـة	٢٣٢
التفســير	٢٣٤
الادب	٢٣٩
التأليف في الرواية والقصة	٢٤٤
السبق إلى الكتب فى اساليب التعليم وطرقه	٢٤٧
إسهام العلماء في التحرير	٢٤٩
حوادث المطالبة بالاستقلال في ١١ يناير ١٩٤٤	٢٥٠
أثر المدرسة الحرة في التوعية	٢٥١
تقديم عرائض	٢٥٢
السياسة والاستانـة في الحق	٢٥٤
الصور .. وتحت كل صورة رقم صفحتها من الكتاب	٢٦١

كلمة شكر

يرجع فضل طبع هذا الكتاب بجزأيه
الاول والثاني
إلى المرحومة السيدة الزهرة معطية الرباطية
والدة الاخوين الفاضلين محمد بن العباس
حكم وأخيه بنعيسى

الطبعة الاولى

الرباط

جمادى الثانية 1391 غشت 1971

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة الأمنية ـ الرباط

من انتاج المؤلف : المطبوع منه

١) القول المحتم فى لبس الخاتم .
٢) ذكريات المؤمن — عبارة عن مواعظ.
٣) نقض النقد لما احتوى عليه الدر المنظم من الحل والعقد.
٤) دروس التاريخ المغربي — في خمسة اجزاء.
٥) صفحة من صفحات الكتلة الوطنية وتجليها سنة ١٩٤٤.
٦) الغاية من رفع الراية .
٧) تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لاروبا .
٨) التربية الاسلامية بالاشتراك في اجزاء للسلك الثاني الثانوي.
٩) من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط — وسلا في جزءين.

غير المطبوع

١) الجزء الاول من شعراء المغرب الاقصى وادبائه المعاصرين.
٢) من تاريخ نهضتنا الحديثة — في جزءين.
٣) المجالس الادبية.
٤) من اعلام الثقافة والفكر .
٥) هذه مذكراتي في جزءين لم تتم بعد.
٦) من روض المقالة او من سوانح القلم في اجزاء ثلاثة لم تتم.
٧) جزء من المعجم القرآني احتوى خمسة احرف : ص. ض. ه. و. يـ.
٨) عشرة أيام في مراكش — رحلة .
٩) اختصار جذوة الاقتباس.
١٠) التأليف ونهضته بالمغرب فى القرن العشرين فى مجلدين.
١١) فتاوى عامة فقهاً وادباً وتاريخاً في جزءين .
١٢) رسالة — الموسيقى الاندلسية والشباب.
١٣) وله عدة رحلات مغربية احداها عن ليبيا ١٩٥٦.
١٤) مجموع — كإفادات وإنشادات .